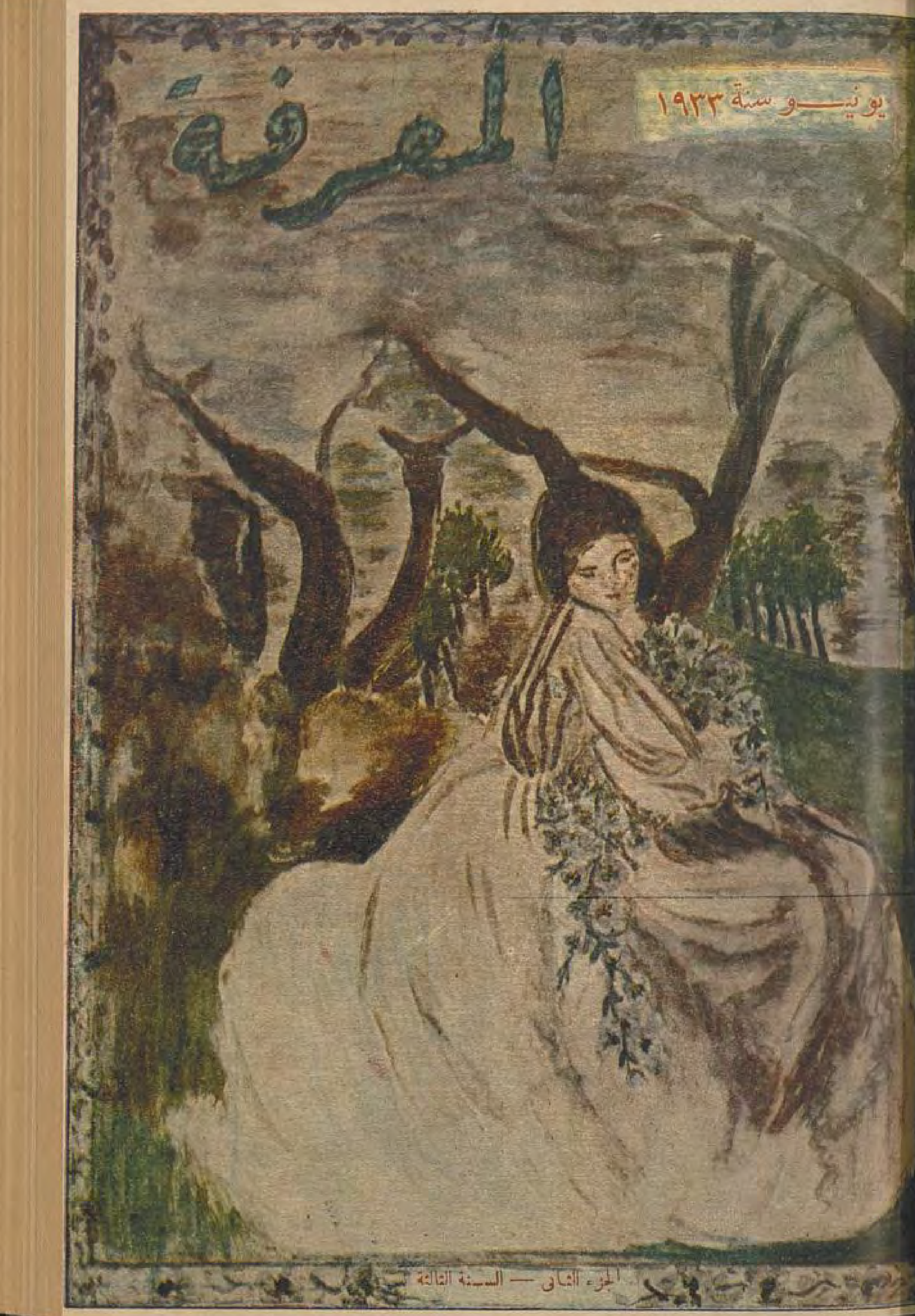


المعرفة
يونيو سنة ١٩٣٣
الجزء الثانى — السنة الثالثة

هدية السنة الثانية

فى التربية والتعليم

لكبير المربين الأستاذ الجليل

أحمد فهمى العمروسى بك

يسرنا أن نذيع لحضرات قراء « المعرفة » ومشتركيها الفضلاء ، أن دار المعرفة قد أنجزت طبع هذا الكتاب القيم الجليل القدر ، وهو يقع فى ٣٢٠ صفحة من الحجم الكبير من الورق الجيد الناعم ، وبه ٢٢ صورة مطبوعة على ورق مصقول .

والكتاب يتناول أهم مباحث التربية والتعليم فى القرن العشرين ، وأحدث العلوم والفنون التى تتصل بها ، كالفنون الجميلة والأشغال البدوية والرسم والموسيقى والتصوير . . . . الخ

وحسبنا أن نقول إن الكتاب متوج بكلمة حكيمة لجلالة مولانا الملك ، كان لحضرة المؤلف شرف سماعها من جلالته عند ماتشرف بالمثول بين يديه فى يوم ١٠ مايو سنة ١٩٣٣ .

***

وقد أرسلناه إلى حضرات المشتركين الذين سددوا قيمة اشتراك السنة الثانية بالخارج أولاً ، فالأقاليم ، أما حضرات المشتركين بالقاهرة ، فقد أخذنا فى إرساله إليهم بواسطة عمالنا الخصوصيين .

وما نشك فى أن حضرات المشتركين الذين لم يسددوا قيمة اشتراك السنة الثانية ، يحرصون على اقتناء هذه الهدية النفيسة ـ التى تعتبر دائرة معارف عامة فى أهم بحوث التربية والتعليم ـ وسيحفزهم حرصهم إلى تسديد القيمة لتتاح لهم فرصة الحصول على نسخة من هذا الكتاب القيم قبل نفاد نسخه المحدودة لدينا .

أما حضرات الذين يودون الحصول عليه من غير المشتركين ،فيرسلون ٤٠ قرشاً مصرياً ثمناً له ، يضاف إليها ٥ قروش أجرة بريد .

الجزء الثانى السنة الثالثة		يونيو سنة ١٩٣٣ صفر سنة ١٣٥٢



مجلة — شهرية — جامعة

[مقررة فى وزارة المعارف العمومية]

لصاحبها ، ناشرها ومحررها المسئول

عبد العزيز الإسلامبولى

المجلد الخامس — شعارها : اعرف نفسك بنفسك

صورة الغلاف

تفضلت سيدة من كرائم السيدات بإهدائنا صورة الغلاف التى يراها القارىء فى صدر هذا العدد ، وقد كنا نود لو تفضلت السيدة الفاضلة بذكر اسمها الكريم ، لنقوم لها بواجب الشكر . أما ما ترمز إليه الصورة فيمكن معرفته من قراءة القصة الآتية التى جاءتنا مع الصورة مرموزاً إليها بالعبارة الآتية :

لا تنسنى

« لا تنسنى » اسم لزهرة شهيرة بين الغربيين ، وقد سرت شهرتها إلى الشرقيين أيضاً ؛ وكم تتوق نفس الانسان إلى معرفة أسباب تسمية هذه الزهرة كذا وتلك كذا .

الاسم « لا تنسنى » نفسه يبعث فى نفس الإنسان البحث عن حقيقته بنوع خاص ، لما يحمله من معان قد تثير فى النفس كوامن متعددة ، ولعل القارىء يجد فى النبذة الآتية ما يتوق إلى معرفته : —

فى قلب الشتاء حيث الطبيعة جامدة فى مختلف مظاهرها ، وحيث تكمن فيها الحياة والقوة اتحدت قوتان من تلك المظاهر الروحية فى شخصين اثنين ، فسرت فيهما روح الحياة . وإذ أوشك فصل الجمود أن ينقضى ويخلفه فصل الانتعاش الحقيقى ، تفتحت آمال الكمين من الزهر المبكر . فاتجها نحو الغدير يبللهما ندى الصباح الباكر فأنعش فؤاديهما ؛ وأشرقت عليهما الشمس فأيقظت فى قلبيهما

النشاط والازدهار، ولم تلبث أن تفتحت الأكمام وصارت زهراً عبقاً يضوع شذاه الأراضين والسموات

رنت الفتاة خفية إلى أزهار زرقاء اللون بديعة التكوين تنمو على حافة الغدير، وتمنت لو تنال بعضاً منها، فأسرع فتاها إلى تحقيق أمنيتها، وليته ما أسرع ! فقد أبت الأقدار القاسية إلا أن تهوى به الصخرة - التى وضع عليها قدمه - ليتمكن من قطف الزهر فاغتاله التيار فى الغدير بلا شفقة ولا رحمة، والمسكينة فى ذهول لاتصدق ماترى عيناها، إلى أن ردها إلى صوابها مارماه إليها من الأزهار . التى لم يدعها تفلت من يده، وتوسل قائلا : لاتنسنى.

فأى تضحية وأى نبالة وشجاعة أبلغ من هذه؟!! وكيف تنسى ! وهى التى أطلقت آخر رجاء له اسماً على تلك الزهرة الخالدة ما شاء لها الخلود !! -

إن لما تركته هذه الحادثة من أثر عميق فى نفس من سمعوا بها، أن صاروا يكتبون عنها الأشعار الغنائيــة الشجية ويترنمون بها كلما دعت الذكرى .

والأشعار الانجليزية الآتية نموذج لتلك الأغانى :

Forget me not is all I ask,
Cast on me a little thought;
And in the depths of your affection,
Cast one sweet forget- me - not.

وقد عربنا هذين البيتين إلى العربية فيما يلى :

اذكرينى ولا أريد مزيداً بعض ذكراك فى الهوى يكفينى
واذكرى للوداد عهداً قديماً وكفى فى الوداد أن تذكرينى

وإذا نحن طبقنا هذا المثل على صاحب « المعرفة » أو طالب « المعرفة » ، فسنجد أنه مهما ضحى فلن تنساه « المعرفة » ، بل ستظل حاملة له لواء التضحية وذكرى إحيائها والسلام

باس

نتيجة استفتاء

الشعر والشعراء

نعتذر لحضرات القراء من نشر نتيجة هذا الاستفتاء الذى أعلنا عنه فى العددين السابقين؛ وذلك لأسباب : أهمها الحرص على صفاء الجو الحاضر بين الشعراء وجماعاتهم ، وعملا بنصيحة أصدقائنا منهم .

الفلسفة والتصوف

حدودهما والفروق بينهما

نحاول فى هذه الصفحات القليلة أن نعالج هذا الموضوع الخطير، لما نراه قائماً فى أذهان عامة الناس وخاصتهم من تضارب فى فهم الحدود التى يقوم عليها كل من الفلسفة والتصوف، ومعرفة الفروق الدقيقة البعيدة الغور التى تعترض سبيل الباحث فى الفلسفة عامة والروحية منها بصفة خاصة.

ونحن إذ نحاول معالجة هذه المشكلة الدقيقة لا ندعى الإحاطة بموضوعها أو الإلمام بأطرافها، وإنما نقصد تيسير سبلها على الذين يعنون بدراسة هذه البحوث، ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً.

***

فى اعتقادنا أن الفلسفة والتصوف يختلفان عن بعضهما تمام الاختلاف، وإن بديا فى صورة واحدة، لبحثهما فى أحيان كثيرة أموراً واحدة، وتناولهما فى مواضيع كثيرة أغراضاً واحدة، على أنا نرى - رغم ذلك كله - أن وجهة كل منهما تختلف عن الآخر فى البحث وتفترق، تبعاً لاختلاف وجهة نظر كل فريق من الآخذين بهما.

فالفلسفة مثلا تكاد - منذ عرفها اليونان الأقدمون - تبحث فى كل شيء: فتتناول الكلام عن أصول الأشياء، وفى معرفة أعراض الوجود وجواهره، مستندة إلى المنطق، وبمعنى آخر معتمدة على الدليل والبرهان؛ ولا يمنع هذا من أنها تطورت فى النظر إلى حقائق الوجود وأصول الأشياء بتطور الفلاسفة أنفسهم وتقادم عهودهم، إلا أن ما وضعه فيثاغورس وسقراط وأفلاطون وأرسطو وزينون مثلا أخذه الآخرون بحذافيره تقريباً، رغم ما أدخل عليه من تعديل يسير، على أن كلا منهم كان له فهم خاص وعقل خاص، طريق خاصة فى فهم الحقائق والوصول إلى معرفتها بطريقة تختلف باختلاف المنظور إليه: إن حساً وإن معنى.

والتصوف يبحث، وإن أردت دقة فى التعبير، يطلب الاتصال بالجوهر الفرد: أنى كانت طريق الاتصال به، فسواء لدى أربابه أكانت تعبدية ظاهرية أم رياضية باطنية، نظرية أم تدربية، فكرية أم تلقينية، بصرية أو بصيرية، عقلية أو قلبية، علمية أو عملية، شريعة أو طريقة، منطقية أو ذوقية،

حسية أو وجدانية ، نفسية أو روحية ، مباشرة أم غير مباشرة ، اندماجاً أم كموناً ، وحدة أم حلولا ، اتحاداً أم شمولا .

وهذا القصد ، أو تلك الغاية ، إن بدت متفقة فى الظاهر ، فى كل من الفلسفة والتصوف، فهى مختلفة فى السبل اختلاف كل منهما فى فهم الحقائق معلولة وغير معلولة .

لسنا ننكر أن التصوف نوع من أنواع المعرفة ، ولسنا ننكر أن الفلسفة تشمل أنواعاً شتى من المعرفة العامة على اختلاف صورها وتعدد مناحيها ، ولكننا ننكر أن تكون الفلسفة أكثر من التصوف ، أو أكبر قيمة وأعلى درجة منه . ذلك بأن بداية التصوف نهاية الفلسفة ، إذ أولى درجاته معرفة الحق فى أية صورة من الصور الوجدانية ، التى لا تتم بغير الحكمة ، تلك الحكمة التى تعتبر نهاية درجات الفيلسوف .

يقول (مالبرانش Malebranche) فى هذا المعنى : لست أستطيع أن أسمى الفيلسوف حكيما وإنما طالب حكمة ، لأن الحكمة من شأن فلاسفة اللاهوت لا فلاسفة المنطق (يقصد ما يسميه المتصوفة – وما كان يسميه السبعة المعرفون بأساطين الحكمة عند اليونان ، أو ما كان يسميه أفلاطون – المثاليين Idealists ، وهؤلاء تقوم المعرفة لديهم على تذكر المثال الأول Remembrance) .

قد تبحث الفلسفة فى الإلهيات كما يبحث التصوف ، ولكن هذا لا يعنى أن لهما طريقة واحدة إذ أن الغاية واحدة ، والحق أن لكل منهما طرقاً تخالف طرق الآخر ، فما هى هذه الطرق ؟

عند ما قسم أفلاطون درجات المعرفة ، قسمها ثلاثة أقسام :

١ – المعرفة الحسية ، وهى التى تقوم بشهادة الحس على الواقع كائناً ما كان الحس والمحسوس ، وهذه أسفل درجات المعرفة .

٢ – المعرفة العقلية . وهى التى تقوم على الدليل والبرهان ، نتيجة ما يدركه العقل إدراكاً يقينياً أو ظنياً ، ويدخل الفلاسفة المحدثون التأمل فى هذه ، وإن كانوا يسمونها « الملاحظة » ، أى ملاحظة العقل لأعمال الحواس ، وهذه المعرفة هى موضوع الفلسفة والعلوم جميعاً .

٣ – المعرفة المطلقة ، وهى التى تقوم بالتدبر المباشر ، أو بالعقل القلبى ، ولا نقول « العقل الباطن » ، لأن مرمى هذه الكلمة فى علم النفس الحديث ، يخالف تمام المخالفة المعنى القديم لها عند فلاسفة اليونان ، وأخصهم بالذكر فيثاغورس وأفلاطون وأرسطو ، وفلاسفة الأسكندرية وأخصهم بالذكر فيلون Philon وأفلوطين Plotin ، وجميع فلاسفة الإسلام ، وأكثر فلاسفة القرون الوسطى فى أوروبا ، وقد كان المقصود بها تبليغ رسالة الروح إلى النفس ، أو مراقبة العقل المباشر لأعمال العقل الواعى ، كما يباشر العقل الواعى أعمال الحواس الظاهرية .

وهذه المعرفة قد تكون أيضاً بالقلب والوجدان ، أو بالذوق والخاطر، وهذه يطلق عليها ابن سينا عبارة «المعرفة الحدسية»، وهي التي يتوصل إليها الانسان دون طلب أو برهان، وبعبارة أخرى تكون نتيجة للوحي أو الإلهام ؛ أو التصور العالي للحقائق الكونية ، وهذه هي الحكمة أو الإدراك بالفطرة دون حاجة للتعليل أو استخدام وسيلة من وسائل البحث والاستقراء .

تتبع هذه الدرجة الأخيرة درجة أعلى وأرفع ، تلك هي درجة التصوف ، ويمكننا هنا أن نقول إن التصوف بدايته الحكمة التي هي نهاية الفلسفة ، فهو أكثر من الحكمة التي هي أكثر من الفلسفة ؛ وذلك لاعتماده على الذوق والوجدان ، ولأن أساسه معرفة الإنسان نفسه ، و« لأنه قبيح بكل عالم أن يدعى معرفة حقائق الأشياء ، وهو لا يعرف نفسه ، ويجهل حقيقة ذاته وهو يتعاطى الحكمة (١) ، لأن مثل ذلك كمثل من يطعم غيره وهو جائع ، أو يكسو غيره وهو عريان ، ويهدى غيره وهو ضال في الطريق الأنهج ، وقد علم كل عاقل ذاته في هذه الأشياء ، بأنه ينبغي للإنسان أن يبتدىء أولا بنفسه ثم بغيره ، والإنسان لا يمكنه أن يعرف نفسه على الحقيقة إلا أن ينظر ويبحث ، وذلك من ثلاث جهات ؛ أحدها الجسد بمجرده عن النفس ، والثاني النظر في أمر النفس والبحث عن جوهرها بمجردها عن الجسد ، والثالث النظر والبحث عن الجملة المجموعة من النفس والجسد معاً (٢) »

وكما أن للإنسان خمس حواس حساسة ، كذلك له خمس قوى أخر روحانية « سيرتها غير سيرة الخمس الحساسة الجسمانية ، وهي القوة المتخيلة والمفكرة والحافظة والناطقة والصانعة ، وذلك بإدراك رسوم المعلومات إدراكاً روحانياً من غير هيولاها ؛ فأما الحساسة فلا تدرك محسوساتها إلا في الهيولى (٣) » .

ولبيان ذلك نقول : إن كل قوة من القوى الحساسة مختصة بإدراك جنس من المحسوسات الخاصة ، فالباصرة لا تدرك الأصوات ، ولا الأطعمة ، ولا الرائحة ، ولا الملموسات ، وكذلك السامعة لا تدرك الألوان ، ولا الأطعمة ، الخ ، وهكذا كل واحدة لا تشارك غيرها فيما تدركه ، و« أما القوى الخمس الروحانية فإنها كالمتعاونات في إدراكها رسوم المعلومات ، وذلك أن القوة المتخيلة إذا تناولت رسوم المحسوسات كلها وقبلتها في ذاتها كما يقبل الشمع نقش الفص ، فإن من شأنها أن تناولها كلها إلى القوة المفكرة من ساعتها ، فإذا غابت المحسوسات عن مشاهدة الحواس لها بقيت تلك الرسوم مصورة صورة روحانية في ذاتها ، كما يبقى نقش الفص في الشمع المختوم

---

(١) هذا رأي اخوان الصفا ، وقد كان الاصطلاح الفلسفي القديم للمشتغلين بالعلوم الفلسفية اطلاق كلمة حكيم على المشتغل بها ، يريدون بهذا أن المشتغل بالحكمة أقل من المتصوف ، وهذا ظاهر من معنى الازراء بهم .

(١) اخوان الصفا ٣ : ٣٤٩

(٢) اخوان الصفا ٢ : ٣٤٩ و ٣٥٠

مصوراً بصور روحانية مجردة عن هيولاها، فيكون عندذلك لها كالهيولى، وهى فيها كالصورة[١]،
وما يقال عن المتخيلة يقال عن القوى الأخرى . وإذن فيصح أن نعتبر الفلسفة خطوة تمهيدية للتصوف فى بعض الأحيان ، ولا نقول فى جميعها ، ووسيلة من وسائله فى بعض الأحيان أيضاً ، فلا يجوز اعتبارها أساساً للتصوف أو وسيلة ضرورية له ، لأن مجاله أفسح ، والسبل إليه متعددة فضلا عن طريق الفلسفة : منها النظرى البحت ، كما أن منها التلقين والإيحاء والإلهام والمشاهدة القلبية أو المشاهدة العيانية التى تدرك بالعقل المدرك .

وكلمة «فلسفة» هى فى ذاتها دليل على أن «التصوف» أكثر منها وأعلى ، فالتصوف يرادف الحكمة اصطلاحاً ، كما أن الصوفى يرادف الحكيم فى اصطلاح الفلسفة اليونانية القديمة ، أما كلمة « فلسفة » فلا يؤدى معناها إلا طلب الحكمة وليس الحكمة ذاتها ، والفيلسوف هو طالب الحكمة أو محب الحكمة أو رفيق الحكمة الذى يريد الاتصال بالحكمة ، وليس هو الحكيم الصوفى .

وتاريخ الفلسفة القديمة يثبت أن فلاسفة اليونان الأقدمين عندما بدءوا وضع القواعد والأوضاع للفلسفة، قرروا أن ثمة شيئاً آخر أعلى من الفلسفة ذاتها، وأن له طريقاً أخرى باطنية تخالف طريق الفلسفة ، ولذلك لا نستطيع مطلقاً أن نسمى كل فلاسفة اليونان فلاسفة أو حكماء فحسب ، وإنما نستطيع أن نسمى بعضهم صوفيين، واضعين فى قائمة هؤلاء: فيثاغورس وسقراط وأفلاطون ، ونخص بالذكر منهم أفلاطون الذى عرف باسم «أفلاطون الإلهى» ، والذى وضع نظرية « المثال » على قياس نظرية « الأرقام » عند فيثاغورس ، وقد كانت لكل منهم فى تعاليمه طريقتان تماثلان طريقتى أقطاب التصوف : طريقة التعليم الخارجى وهى الطريقة الفلسفية ، وطريقة التعليم الداخلى الذى يختص بالحكمة الحقة .

كانت هناك إذن طريقتان ، وكان بتلك الحالة يوجد ارتباط حقيقى بين الفلسفة والمعرفة العليا أو الحكمة أو التصوف، أو أى اسم تختار ، سمه ما شئت ، فلن تعدو أبداً الإقرار بأن ثمة شيئاً أعلى من الفلسفة ، ذلك الشىء هو الذى لا يصل إليه الانسان بالحس ولا بالعقل الانسانى ، وإنما بما هو أرفع من ذلك وأشرف .

وفى بعض الحالات يتضح هذا الارتباط بين الفلسفة والتصوف كأنه ارتباط وثيق جداً ، وآية ذلك تلك الآراء التى بعثتها الأفلاطونية الحديثة وذاعت فى مدرسة الأسكندرية، وفى أوائل العصور الوسطى ، وفى بعض المدارس الفلسفية الحديثة التى تتأثر آراء فلاسفة خاصين كاسبينوزا Spinoza أو مالبرانش Malebranche أحياناً ، وليبنتز Lebnitz أحياناً أخرى .

والخلاصة أن الفلسفة فكر ونظر، أما التصوف فذوق ووجدان ، الفلسفة علم، والتصوف عمل ، الفلسفة طلب معرفة بالدليل والبرهان ، والتصوف تلقى المعرفة دون طلب أو برهان ، الفلسفة مجالها العقل ، والتصوف مجاله الروح ، الفلسفة معرفة الصور العقلية بما يعرف عن

(١) اخوان الصفا ٢ : ٣٤٩ و ٣٥٠

هذه الكلمة فى علم النفس الحديث . وليس بما عرف عنها فى حدود الفلسفة القديمة ، خصوصاً عند أفلاطون الذى كان يفهمها على أنها الإدراك العقلى المباشر للروح ، والذى نستطيع أن نقول إنه كان يفهمها على أنها المعرفة لذاتها وحقيقتها، الحقيقة التى يصبح العارف بها عارفاً بكل الأشياء ومحتوياتها فى نفسه هو، كما هى فى نفسها هى. وكما هى فى المبدأ الأوحد، مبدأ وحدة الوجود.

الفلسفة قوانين وحدود ، والتصوف إطلاق ولانهائية ، الفلسفة استنتاج واستقراء ، والتصوف بدهيات وتسليمات ، الفلسفة كلام وكتابة ، والتصوف إشارات ورموز ، الفلسفة اكتساب ، والتصوف فطرة، الفلسفة فى مجموعها غائية ، والتصوف فى مجموعه ذاتية ، الفلسفة عمومية ، والتصوف خصوصية ، الفلسفة حديثة ، والتصوف قديم ، لأنه نزعة لازمت البشرية فى كل عصورها ، بخلاف الفلسفة فإنها لم تعرف إلا فى القرن السادس قبل الميلاد ، وفى قطر معين هو اليونان ، أما التصوف فقد شمل بقاع العالم أجمع ، لأننا نقدر أنه كان لابد من وجود طريقة أخرى لمعرفة الحقائق فى ذاتها قبل نشأة الفلسفة ، وقد ثبت أن رجالا معروفين كانوا موجودين قبل القرن السادس قبل الميلاد فى الهند وبعض الأقاليم الشرقية كالهند والصين وفارس ، فكانت لهم طرقهم الخاصة فى معرفة الوجود .

وفى التدليل على صحة ما قدمنا من الفروق بين الفلسفة والتصوف، نذكر القصة الآتية التى تعزى إلى ابن سينا عند ما لقى شيخ متصوفة عصره «أبا سعيد بن أبى الخير» فى خلوة بنيسابور، ذلك أنهما بعد أن تذاكرا مسائل فى الفلسفة والتصوف افترقا ، فقال الفيلسوف عن المتصوف «كل ما أعرفه يراه »[1]، على حين أن المتصوف قال « كل ما أراه يعرفه[2] »، وفى رواية أخرى قال الفيلسوف « كل ما أراه يعرفه » ؛ وليس أدل على الفرق الشاسع بين الفلسفة والتصوف من عبارتى هذين الرجلين ؛ فإن الفيلسوف يصور المعرفة على أنها وليدة العقل بعد إعمال الفكر وقيادته بالبرهان والأشباه والنظائر وقياس ما غاب بما حضر وترتيب المقدمات للوصول إلى النتائج ، على حين أن الصوفى يصور معرفته على أنها رؤية وشهود قلبى وإدراك مباشر للحقيقة الأولى المطلقة، وهذه المعرفة اصطلح فلاسفة الإسلام على تسميتها «المعرفة الحدسية»، واصطلح المحدثون على تسميتها «المعرفة المباشرة Connaissance immédiate»

بقيت هناك فروق كثيرة لو شئنا تعدادها لاحتجنا إلى أكثر من هذه الصفحات، فلنقف الآن عند هذا الحد ، راجين أن تتاح لنا فرصة أخرى لتفصيل ما أجملنا ؟

---

(١) أى يراه المتصوف بقلبه دون طلبه او برهان عليه

(٢) أى يعرفه ابن سينا بعقله، أى بالعلل والبرهان

اجتماعيات

حياتنا

للسيد حسن القاياتى

تلك الحياة وهاتيك التقاليدُ ... لا العيش حالٍ ولا الآداب تخليدُ

كم أنة ولغات الحزن يجمعها ... أن يستريح إلى الأنَّات مفئود

القائل المنطقُ اليوم منفردٌ ... والناس بَعْدُ بلاهات وتقليد

قضية الباطل الخلاّب ناهضةٌ ... وصرعة الحق عيد بعده العيدُ !!

لم ينبل الحق إلا وهو مُطَّرحٌ ... ولا هوى الزيغ إلا وهو مشهود !!

إن الأضاليل إن لج الهتاف بها ... عادت وأكذبها قدس وتوحيد

العلم كالنبل دعوى غير قائمة ... والدين كالشعر تخييل وتوليد

فُتيا هى الدين أنّى يستطاب لها ... حكمان: محتفلٌ يسراً، ومنكود ??

***

ياسادن الدين لا تجعله فاجعةً ... إن الحياة أغاريدٌ وتوريدُ

أكلما قيل: طيب، قيل: ممتنعٌ ... وكلما قيل: رأى، قيل: مردودُ ??

النبل يلهو ولم يشهد بطيبةٍ ... قميصُ يوسف إلا وهو مقدودُ

قيل: العفاف حياة، قلت: مصطبرٌ ... عَلّ المسيح الذى ترجون مولودُ

يشق بنا الحسن تيّاهاً وما نظرت ... عيناى كالحسن يشق وهو معبودُ !

***

أين الجديد وهل من جدّة عجبٍ ... للحسن أن تكشف اللبات والجيد ??

سئمت كل جديد غير مبتكرٍ ... حتى خفوق فؤادى وهو ترديد !!

حسن القاياتى

فروبـــــل

مؤسس رياض الاطفال

تناولنا فى الجزء الماضى الكلام عن نشأة فروبل ، وحياته كمدرس ، ثم أشرنا إجمالاً إلى المعاهد التى اشتغل فيها بالتدريس ؛ وفى هذا الجزء نتكلم عن عمله فيها تفصيلا ، ثم نذكر مؤلفاته ونعرض لأسلوبه الكتابى ، وفلسفته فى التربية .

المعاهد التى اشتغل فيها بالتدريس

اشتغل فروبل بالتدريس فى خمسة معاهد هى :

١ — مدرسة (فرانكفورت)، وهذه اشتغل فيها بطريق الصدفة ، وقد كان ذلك على أثر مقابلته أحد أصدقاء والده الذى كان يشغل وظيفة مدير مدرسة فرانكفورت ، ويدعى (جروز) ، وقد رأى من فروبل ميلاً للإصلاح ، وحباً فى العمل ، فنصحه باتخاذ مهنة التعليم حرفة له ؛ فلما أحس منه القبول عرض عليه وظيفة مدرس فى مدرسته ، فتقبلها فروبل راضياً ومكث فيها سنتين .



٢ — معهد (بستالوتزى) بفردن . وفى هذا المعهد اشتغل سنتين أخريين مصطحباً معه تلاميذه الثلاثة الذين أخذهم معه إليها ، على أن (فروبل) رغم عمله كمدرس فى ذلك المعهد ، كان يشعر بعدم قدرته وكفايته كمدرس فيه ، كما كان يحس من نفسه الحاجة إلى الاسترشاد بآراء بستالوتزى ، الذى اتخذه أستاذه وقدوته حيث تشبع بأفكاره وطرقه .

ولهذا اضطر لترك مهنة التدريس فى المعهد . مفضلاً الالتحاق بإحدى كلياته ليتمم دروسه

ولكنه لم يقض مدة كافية ، بل تركه فى السنة نفسها . ليتطوع فى الحرب الألمانية. الفرنسية

٣ — مدرسة جريسهيل : أما هذه المدرسة فهى أولى مؤسساته ، ذلك أنه فى سنة ١٨١٦ ترك متحف آثار برلين الذى كان يعمل فيه من قبل، وأنشأ هذه المدرسة مع زميليه : لانجاتول Langhataul وميدندورف Middindorff وفق اتفاق سابق بينهم فى ساحة القتال ، وقد سارت المدرسة سيراً حثيثاً نحو الرقى بجد هؤلاء الشركاء الثلاثة الذين بذلوا مجهوداً عظيماً رغم ما لاقوا من صعاب ، وقام فى سبيلهم من عراقيل ، أهمها عدم توفر المال اللازم .

على أن هذا لم يكن ليفت فى عضدهم ، بل اتخذوا من ضعفهم المادى قوة يدفعون بها عجزهم ، فكان أن نجحوا نجاحاً كبيراً ، حدا بهم إلى نقل مدرستهم إلى بلد أكبر ، ليضمنوا إقبالاً أكبر وإنتاجاً أوفر ، فاستقر رأيهم على نقلها إلى كيلهاو .

٤ — معهد كيلهاو : وهنا يبدأ نجم فروبل فى الصعود ، وتبدأ آراؤه فى التركز والاستقرار ، إذ أضاف إلى طرق بستالوتزى طريقة جديدة ، هى إشراكه البنات مع البنين فى التعليم ، حتى يجعل المدرسة نموذجاً كاملاً للأسرة . ويكون لمعهد مكانا مستقلا قائماً بذاته . فيشعر التلاميذ بنات وبنين — بضرورة التضامن والتعاون اللذين لا مفر منهما للأخذ فى أسباب الحياة والسعى فى سبيل الرزق .

ورأى أن خير طريق لتحقيق ذلك ، أن يشتغل الصبية فى الحقول وما تطلبه فلاحة الأرض ، وفى ذات الوقت يقوم البنات بإدارة المدرسة إدارة منزلية ، أعنى أن يعنين بالتنظيف وإعداد الطعام وطهيه . . . إلخ ، على أن يكون ذلك كله فى أوقات الفراغ .

لذلك لم يمض وقت كثير حتى اشتهر المعهد وعظم قدره : وأضحت مكانته ممتازة ، فتعهدته الحكومة بالإشراف والتفتيش والإنفاق على ما تتطلبه إدارته وبحوثه الاجتماعية وتجاربه العلمية والنظامية من نفقات .

٥ — روضة الأطفال بيلا كنبرج : أنشأ فروبل هذه الروضة نتيجة لأفكاره وبحوثه فى السنوات الأخيرة ، وبعبارة أخرى بعد إذ قام لمدة بحوث فى سبيل تعرف أحسن الوسائل وأنجع السبل فى إيجاد «مجتمع إنسانى سعيد» ، فألف كتابه «تربية الإنسان» ، وسنعرض لبحثه فى مجال آخر ، وكتابه «أغانى الأم» ، وقد أنشأ هذه الروضة لكى يطبق فيها مبادئه وطرقه التى وضعها فى كتاب «تربية الإنسان» على الأطفال ، بإشراكهم بنين وبنات فى التعليم العملى والتشويق ... الخ .

ولقد تحقق بالتجربة أن خير مرب للطفل هى المرأة ، لذلك لم يلبث قليلا حتى ألحق بهذه

المدرسة «الروضة» فرقة من الطالبات علمهن طرق تربية الأطفال، فنجحن فى عملهن نجاحاً باهراً .

مؤلفات فروبل

أما مؤلفات فروبل فلم تعد مؤلفين اثنين هما : «تربية الإنسان» و«أغانى الأم» .

١ — كتاب تربية الإنسان :

ظهر هذا الكتاب فى عام ١٨٢٦ ، وكان الغرض منه بث روح جديدة فى التربية عامة والاهتمام بتربية الصغار خاصة .

والكتاب مكون من جزءين ، يتناول أولهما آراءه الفلسفية ، أما ثانيهما فوقف على تطبيق هذه الآراء فى طريقة تدريس المواد المختلفة .

ويستدعى هذا الكتاب اهتماماً كبيراً لدقته وغموضه؛ ولذلك كان من أهم وجوه النقد التى وجهت إليه ، أنه صعب الفهم ، لعدم ترتيب نقطه ترتيباً يساعد القارىء على سرعة إدراك محتوياته وفهم أغراضه .

وهو — إلى ذلك — يحتوى على كثير من مبادىء علم النفس الحديث ،وخصوصاً ما كان منها متصلاً بالفلسفة العامة وبفلسفة تربية الأطفال اتصالا وثيقاً . حتى إنه ليعتبر حتى الآن — رغم انقضاء أكثر من قرن كامل على تأليفه — عماد علم النفس الحديث وأس مراجعه .

والكتاب — فوق ذلك أيضاً — تجده من ناحية المبادىء التى قررها وأشار إليها وما انتثر بين دفتيه من فلسفة عميقة ، جليل القدر نادر الأخطاء ؛ وإن كان هذا لايمنع من القول بأن بعضاً من تلك الآراء ظهر خطؤه واضحاً ، خصوصاً فى الوسائل التى ينصح فروبل باستعمالها فى تدريس بعض المواد .

٢ — كتاب أغانى الأم :

هذا هو الكتاب الثانى والأخير مما ألف فروبل . ألفه بعد كتابه الأول ليبين فيه طريقته الصحيحة التى تتبع فى تربية الأطفال من وقت ولادتهم .

وقد ذكر فى هذا الكتاب أنه لاحظ — بعد التجربة والاختبار — أن الأطفال ميالون بطبيعتهم إلى النغمات السارة ، مستدلاً على ذلك بنغمات الطفل الصغير ، التى تكون باكورة نطقه حينما يحاول الكلام .

وأهم محتويات هذا الكتاب هو كيفية تنمية عقلية الطفل ونفسيته ، وتمرين حواسه منذ البداية ، مما يساعد على صحة استعمالها فيما بعد .

ثم بين الطرق الصحيحة التى يجب على الأم استعمالها ، مثال ذلك : تحريك مهده ، ووضع اللعب فيه ، حتى ينشأ الطفل من صغره دقيق الملاحظة ، قادراً على استعمال حواسه استعمالاً موفقاً .

أسلوبه الكتابى .

يجب ألا يغيب عن أذهاننا عند ذكر القواعد التى استرشد بها فروبل فى نظرياته الهامة ، أن نذكر أنه مع تمكنه من تطبيق نظرياته على أكمل وجه عملى لم يضعها فى كتاباته كذلك ، وإنما وضعها فى أسلوب مرسل مطلق من كل قيد وفى فلسفة غامضة معقدة ، حتى إن الكثيرين ليعجزون عن أن يعرفوا مرمى فروبل ومدلولات ألفاظه على حقيقتها . وهو فى غموضه هذا شبيه ببستالوتزى وإن كان أعمق منه فلسفة وأغزر مادة وأوسع علماً وخبرة .

ومن أسباب غموضه أنه ألف كتابه فى الوقت الذى كانت تتغلب عليه عواطفه عند اشتداد الناقدين عليه ؛ فكان ينقاد فى كتاباته لعاطفته مهملاً التحليل العلمى ؛ ولذا لم يكن مثاله الأعلى فى كتاباته مدركا تمام الإدراك مفهوما جد الفهم .

ومن أسباب صعوبته أيضاً تعصبه لدينه أثناء تفكيره فى كل شىء يتصل بالناحية الروحانية . يضاف إلى هذا حبه للطبيعة ، فأصبح متناقضاً فى كتاباته ، على حين أنه كان يحسن البحث فى تحليل أبسط الأشياء مما لم يكن يتفق مع تعاليم ثابتة لعصر علمى كالنصف الثانى للقرن التاسع عشر .

لذلك كانت نظرياته النفسانية يعتورها فى الغالب نقص كبير يحتاج إلى كثير من الشرح والإيضاح . ولما كان شرح القواعد فى التربية منوطاً بالمربين ، فقد ظهر لهم أن ماتوصلوا إليه من فكرة التربية السائدة إنما يرجع إلى استرشادهم غالباً بنظريات فروبل وأبحاثه أكثر من استرشادهم بنظريات غيره من المربين أمثال هربرت وبستالوتزى وغيرهم ، ومع أن فروبل أثبت أن نظرية وحدة التعلم ، « الرابطة فى التعليم » هى الكل فى الكل ، فإنا لانرى لهذه النظرية أثراً فى كتاباته ، وإنما نجدها جلية فى نظرياته وتأملاته فى الطبيعة ، وفى وسائل التعليم ، وفى غايته الفكرية .

بقى أن نتناول أسلوبه الفلسفى . وهذا ما نرجئه إلى الجزء المقبل .

The Better Land النعيم

محادثة بين ولد وأمه

أسمعك تتحدثين عن النعيم يا أماه!
وتلقبين أطفاله بالأسرة السعيدة
أمي ! أين يوجد ذلك العالم النوراني ؟
وكيف السبيل إليه لنضمن السعادة ؟
أهو حيث أريج زهر البرتقال منتشر ؟
وحيث تتألق أجنحة اليراع على غصون الآس؟
« ليس هناك ، ليس هناك يا ولدي! »

***

أيوجد حيث تنمو أشجار النخيل ؟
وحيث تدنو رطبها تحت السماء المشرقة ؟
أيوجد في أواسط الجزر الخضراء في البحار المتدفقة ؟
وحيث يعطر عبير الغابات النسيم ؟
أيوجد حيث تحلق الطيور عالياً بأجنحتها ؟
وحيث تزهو بألوانها البديعة المتفرقة ؟
«ليس هناك ، ليس هناك يا ولدي!»

***

أيوجد في الأماكن النائية الهرمة ؟
حيث منابع الأنهار التي تسيل على الرمال الذهبية ؟
وحيث تنعكس أشعة الشمس القانية فتنعش ؟
وحيث تسطع الأشعة الناصعة على الأطلال البالية ؟
أيوجد حيث تتجلى لمعات اللؤلؤ بين المرجان ؟

أيوجد هناك ذلك العالم الخير يا أمى العزيزة ؟

« ليس هناك ، ليس هناك ياولدى! »

***

فى ذلك العالم مالم تره العين ياولدى !

وما لم تسمع الأذن به من أغان عميقة عذبة ؛

ولا تستطيع الأحلام تصوير صفائه وعظمته ؛

فهو عالم مسلوب فيه الأكدار والفناء ،

ونعيمه لايفنى ، ولذته لاتبلى...

هو بعيد وراء السحب ، وراء القبور ...

« أجل! يوجد هناك ، يوجد هناك ياولدى! »

(By Felicia Hemans)

***

استرعى انتباهى عنوان هذه المنظومة النثرية . وهى مكتوبة نظماً بالإنجليزية ، فلما قرأتها وأتيت على آخرها ، خطر لى أن أنقلها إلى العربية نثراً ، وحبب إلى نشرها مالاحظت من تشابه فى التفكير الغربى الحديث والتفكير الشرقى القديم ؛ فقد رأيت ـ اتفاقاً ـ المقتطفات التى سأذكرها بعد فى رسالة لابن مسعود من كتاب « مجموعة الرسائل » للشافعى ، يقول فى وصف الجنة :

« إنها دار نعيم خالص ، لايشوبه شىء من الأكدار ولا الهموم ؛ فإنها دار روحانية ، وكل مافيها يعطى اللذة والراحة بطبعه »[1] . ويقول فى موضع آخر : « وصف الله تعالى الجنة فى كتابه العزيز بصفات عظيمة جليلة . وكذلك فى الأحاديث الواردة على لسان الأنبياء ، وأقول أنا فيها : إنها دار البقاء ، ودار القرار ، ودار الراحة ، ودار الخلود ، ودار النعيم ، ودار الرحمة الشاملة ، ودار اللطف العام ، ودار الإحسان الكامل ، ودار الفيض المتوالى ، ودار روحانية نورانية ، مسلوب فيها سائر الأمراض والكدورات والظلمات ، قد تجلى الحق جل شأنه عليها بالجمال وكساها بالكمال » ، ثم استطرد فقال : « فيها مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر ببال بشر . نعيمها لا يفنى ، ولذتها لا تبلى[2] »

(١) مجموعة الرسائل للشافعى : رسالة ابن مسعود ص ٤٦٠

(٢) مجموعة الرسائل للشافعى : رسالة ابن مسعود ص ٤٧٥

الشعر المصرى فى عهد المماليك

بقلم الأستاذ على الجارم

منزلة الشعر فى هذا العصر

لسنا ننكر أن مرتبة الشعر فى هذا العصر نزلت عما كانت عليه فى العصور الأولى ؛ غير أننا نرى كثيراً من المتأدبين بالغوا فى الانصراف عنه ، وأسرفوا فى وصفه بالانحطاط والإسفاف ، وفى اعتقادنا أن ذلك يرجع إلى أسباب ، منها :

أن نهضتنا الحديثة أسست على الشعر الجاهلى والأموى والعباسى ، وكان صاحب اليد فى هذا « محمود سامى البارودى » ؛ فإنه ظهر فرأى شعراء عصره يحاكون سخفاء الشعراء قبلهم ، كالشهاب والدرويش ، فأبت نفسه أن ينزل إلى هذا الحضيض ووثب إلى الشعر فى ريعانه الأول حيث الجمال ، والروعة ، والبسطة فى الخيال ؛ فقرأ كثيراً فى الشعر الجاهلى والعباسى ، ثم أبرز للناس آيات فبهرتهم ، وما زالوا يتساءلون حتى عرفوا مصدر نبوغه ، فانصرفوا إلى شعر الأوائل وفتنوا به ، وإذا أسمعتهم شيئاً لصفى الدين أو ابن نباتة المصرى ، هزوا أكتافهم استخفافاً ، وخاضوا فى حديث غيره .

وسبب آخر : هو أن مستعربى أوربا لم يهتموا بدراسة شعر هذا العصر ، فلم يترجموا منه إلا قليلا ، ولم يستطيعوا فهم ما فيه من روعة بديعية ؛ لأن طرائف البديع قلَّ أن يستطاع الإبقاء عليها عند الترجمة .

أسباب ازدهار الشعر

إن الشعر إنما يزدهر فى الأمم لسببين :

الأول مادى : وهو أن يكون الشعر وسيلة للثروة والغنى كما كان الأمر فى العصر العباسى أيام الإغداق والصلات وملء الأفواه بالدر والجوهر .

الثانى معنوى : وهو أن يتملك الفن صاحبه حتى يصبح كالغريزة الجبارة ، فيدفع صاحبه إلى العمل دفعاً ، ويصبح والفن هواؤه الذى يستنشق ، وصديقه الذى يأنس إليه ، وسعادته التى تملأ جوانب نفسه ، وذخيرته التى لا يشرى بها كنوز الأرض ودفائنها ، هو يعمل لأنه يحب الفن ويعشقه ، ويجد فيه حياة ودنيا أخرى غير هذه الدنيا الحافلة بالهموم والأوجال ؛ وهذا

الصنف لا يأبه لجفوة الناس، ولا ينتظر تشجيعهم ، ولا يفرح بمديحهم ، ولا يأسى على انصرافهم عنه ، ولا يطمع فى ثواب. ولا يرجو أجراً ، بل إن الفنان يعتقد أن بيع الفن إهانة للفن، وحط من مرتبته العليا ، التى يجب أن تكون روحانية خالصة لا تدنس بالأطماع ، ولا تمتد عينها إلى متاع الحياة الزائل ، لهذا كان الشعر فى نشأته الجاهلية الأولى يأنف أن يباع فى الأسواق بيع السلع ، وكان الجاهليون يرون من العار أن يجعل الشعر وسيلة للكسب ، ونعوا ذلك على النابغة والأعشى ، وزهير الذى كان يفر فراراً من مواهب «هرم بن سنان». وهذا السبب الثانى هو الغالب فى حال الشعر أيام المماليك ، كما سنبين ذلك جلياً ، ولا شك فى أن الشعر الذى يقال للفن نفسه ، هو الشعر الذى يمتزج بالنفس ، ويتملك الوجدان ، انظر قول ابن الوردى :

حمى الله شعرى عن ذلة ... فلا يستكين ولا يخضع
وإن اكتساب الغنى بالمديـ ... ـح مهين له مؤلم موجع

* * *

لم يكن هذا العهد عهد تكسب بالشعر ، بالمعنى الذى نفهم فى العصر الأموى والعباسى ، ولم يكن الشعب المصرى يفهم الشعر وتختلبه روائعه ، ولم يكن سلاطين المماليك يفهمون العربية الفصيحة ، فضلا عن إدراك ما فى الشعر من خيال دقيق ، وسحر لا يبهر ألا البصيرة العربية الصحيحة أو المتعلمة ؛ لأنه لم يعتز بشىء من الفهم فى هذا العصر كله إلا قليل منهم ، وهم آل قلاوون والسلطان حسن والمؤيد وقايتباى والغورى ؛ ولم يكن لهؤلاء السلاطين شعراء مختصون بهم كما كنا نرى فى العصر الأموى والعباسى ؛ اللهم إلا فى قطعة صغيرة تابعة لإمبراطورية مصر ، وهى حماة التى يقول ابن نباتة فى مدح ملكها :

زوجتنا حماة نعمى يديه ... فغدا كلنا يحب حماته

وإنما كان الشعراء يمدحون الملوك عندما يعن سبب ، إظهاراً لافتتانهم ، أو رهبة من بطشهم ، أو خوفاً على مناصبهم ؛ ولم تكن تعرف عادة إثابة الشاعر وصلته ، حتى إننا نسمع الشكوى مؤلمة ممن حاولوا الاستجداء بالقريض ، لكساد سوق الأدب ، وما أصبحوا فيه من بلاء وفاقة .

ومن هؤلاء أبو الحسين الجزار الذى يقول :

كيف لا أمدح الجزارة ماعشـ ... ـت طويلاً وأهجر الآدابا
وبها كانت الكلاب ترجينى ... وبالشعر كنت أرجو الكلابا ؟

وابن نباتة وهو حامل لواء الشعر فى هذا العصر يقول :

لقد أصبحت ذا عمر عجيب ... أقضى فيه بالأنكاد وقتى
من الأولاد خمس حول أم ... فواحرباه من خمس وست !

ويقول :

فكفى فى وضوح حالى أنى   فى زمانى هذا من الأدباء
ضاع فيه لفظى الجهير وفضلى   ضيعة السيف فى يد شلاء

ويقول :

أسفى على الشعراء إنهم على   حال تثير شماتة الأعداء
خاضوا بحور الشعر إلا أنها   مما تريق وجوههم من ماء

* * *

ولم يكن فى هذا العهد من ضروب العبث والمجون ما نقرأ أخباره فى العصر العباسى منثوراً فى كتاب الأغانى وغيره ، لأن السلاطين كان أكثرهم رجال جد وتحرج ، وكانوا أحلاس حرب وجهاد ، فقد شك قايتباى فى الحديد - كما يقول ابن إياس - علاء الدين ابن رحاب المغنى ، وعزم على نفيه لأنه فتن الناس بصوته ! وضرب الأمير يشبك بن حيدر ، خديجة المغنية خمسين عصاً ، فماتت لأنها أفسدت عقول الناس !

وكان للفقهاء والمحتسبين حمية صادقة فى المحافظة على الدين والتجافى عن العبث ، كما كان لهم قسط وفير من النفوذ والقوة والمكانة عند السلاطين ، والمقدرة على الضرب على يد كل عابث ؛ فلم يجد الشعر - إلا أقله - فى هذا العصر مجالا إلى اللهو .

من كل ذلك يظهر-إذا طرحنا جانباً بعض الشعر الذى كان يقال فى المديح رغبة أو رهبة - أن الشعر فى جملته فى هذا العصر كان يقال لأنه شعر ، ولأن الشعر جمال ، ولأنه نفحة ربانية تجيش فى الصدر حتى تجد لها منفذاً .

وكانت بين شعراء مصر والشام منافسة شديدة ، ومسابقة عنيفة فى الإجادة ، فكان كل فريق يتلقف ما قاله الآخر على بعد المسافة ، ويتناوله بالنقد أو المعارضة أو السرقة .

حكى ابن حجة الحموى فى خزانة الأدب ، أن جمال الدين بن نباتة لم يستطع صبراً حينما رأى أنه كلما اخترع معنى لم يسبق إليه ، أخذه صلاح الدين الصفدى ، فصنف كتاباً جمع فيه ما قاله هو ، وما قاله الصفدى مسروقاً منه ، وسمى الكتاب «خبز الشعير» لأنه مأكول مذموم ، واستهل خطبة الكتاب بالآية الشريفة « رب اغفر لى ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمناً »

من ذلك مثلا قول ابن نباتة :

بروحى عاطر الأنفاس ألمى   مليء الحسن حالى الوجنتين
له خالان فى دينار خد   تباع له القلوب بحبتين

الذى أخذه الصفدى وقال :

بروحى خده المحمر أضحت   عليه شامة شرط المحبة

كأن الحسن يعشقه قديماً فنقطه بدينار وحبه

فلما سمع ابن نباتة هذين البيتين قال : « لا إله إلا الله ، سرق الصفدى من الحبتين حبة » ، ولعل ابن نباتة تهدأ نفسه إذا ذكر أنه كان يغير على لآلىء علاء الدين الوداعى ، وأن السرقات الشعرية قصاص .

***

وكان للشعراء محاورات ومداعبات ، لم تبلغ ما كانت عليه أيام دعبل وأبى نواس وصريع الغوانى ، ولكنها كانت — من غير شك — ميداناً للإجادة ومصدراً للافتنان .
وكان الشعراء المجيدون من طائفة الكتاب المستخدمين وأصحاب الصناعات ، كالجزار ، والخياط ، والحمامى ، والدهان ، والكحال ، لأن الإنسان لا يستطيع أن يعيش فى هذا العصر بالشعر وحده .

وربما شوه جمال هذا العصر ، ودفع الناس إلى سوء الظن به ، تصدى كثير من الأدعياء لقول الشعر ، ودس أنفسهم فى طائفة الشعراء دساً ، وقد ساعد هؤلاء — لسوء الحظ — أن وجدوا من المؤلفين من ينقل إلى هذا الجيل الهادىء المسالم ، تلك الآثار السقيمة التى يبرأ منها الأدب وتذعر العربية ، فإذا كان بعض الأدباء — كما حكى ابن خلدون فى مقدمته — حينما سمع قول بعضهم :

لم أدر حين وقفت بالأطلال ما الفرق بين جديدها والبالى

قال « إن هذا كلام فقيه يبحث فى الفروق بين الحقائق » مع أن فى البيت شعراً وتصويراً ، فماذا يصنع هذا الأديب لو سمع قول عبد الباسط الحنفى ، حينما تنبأ الفلكيون بفتنة عند قران زحل بالمريخ :

ليس القران بفاعل كلا ولا بمؤثر
إن المؤثر من له خلق القرآن ففكر
فالفعل عنه صادر كم يا منجم تفترى ؟

هؤلاء المتشاعرون هم الذين أساءوا إلى سمعة الشعر فى هذا العصر ، ونفروا منه طلاب الأدب الناشئين ، وكثيراً ما نعرف أناساً يستطيعون أن يقولوا كلاماً موزوناً ، ولكنهم لا يتصدون لقول الشعر ، لأنهم يفهمون أن الشعر شىء والكلام الموزون شىء آخر ، ولأنهم لا يريدون أن يكونوا موضعاً للسخرية والتنادر .

فإذا طرحنا هؤلاء الأدعياء وجدنا الباقى كثيراً ، ووجدنا فيه حلاوة الذوق المصرى . وقد يتاح لنا أن نبحث فى فنون الشعر فى هذا العصر ، وأن ننقل طائفة صالحة من بدائعه ؟

على الجارم

تفكيرنا وكيف ننظمه

بقلم الأستاذ محمد مظهر سعيد

أستاذ علم النفس بمعهد التربية وكلية أصول الدين

فى مقالى السابق المنشور فى العدد الماضى من «المعرفة» الغراء شرحت الخطوات التى يسير فيها العقل عند تفكيره فى مشكلة ما، وكيف يتنقل من واحدة إلى أخرى حتى يصل إلى الحل الصحيح.

وسأتحدث الآن عن شىء هام هو فى نظرى الأصل الذى يقوم عليه حل كل مشكلة عقلية معقدة، والخطوة الأولى التى يخطوها الانسان لمعالجة مسئلة علمية أو استنتاج نتيجة جديدة، أو تكوين نظرية من النظريات؛ ذلك هو «الفرض»، أو الفكرة التى يرى المرء قبل دخوله فى صميم المشكلة العقلية أنها قد يحتمل أن تكون هى الحل أو النتيجة المطلوبة، فيعمل على تحقيقها بإثبات صحتها أو بطلانها.

فما من مسئلة عقلية أو مشكلة علمية، إلا ولها نصيب كبير من الفرض؛ ويصح أن نشير هنا ـ عرضاً ـ إلى بعض المعانى التى تخلع عادة على لفظة «الفرض» فتجعله مخالفاً فى جوهره المعنى الذى نقصده ونحدده فى علم النفس: فهو فى الهندسة يطلق على الشكل المفهوم من منطوق النظرية أو التمرين، أى العناصر الموجودة بالفعل والمعلومة للطالب؛ ويطلق كذلك فى الكيمياء وغيرها من العلوم على أشياء غير كائنة بالفعل وليس لها وجود، بل قد لا يمكن أن يكون لها وجود على الإطلاق، وإنما يفترض العلماء وجودها لأنها تساعد على فهم حقيقة شىء آخر يتعذر فهمه، واستخدامه عملياً، أو يصعب تفسيره بغير هذا الفرض، كفرض (أفوجادرو) فى النظرية الذرية «أن العناصر تنقسم إلى جزيئات وهذه إلى ذرات»، كذلك كان لابد من افتراض وجود الأثير فى علم خواص المادة وغيره من العلوم الطبيعية لتفسير الظواهر الطبيعية الغامضة، وحتى علم النفس فيه أيضاً فروض كثيرة على هذا النمط، تساعد على تفسير بعض النظريات المتعلقة بالظواهر العقلية أو النفسية الصرفة، كفرض الازدواج أو التوازى الذى فرضته مدرسة (فنط) الألمانية لبيان الارتباط بين الجسم والعقل، وغير هذا مما كان يعمل به فى المدارس القديمة كحقائق ثابتة، وفى المدارس الحديثة كوسيلة للتفسير فقط.

وليس ثمة من شك فى أن الفرض هو نواة كل بحث، ومفتاح كل تفكير، وكل ما يحله العقل من مشاكل ويستنبطه من نتائج إنما يكون أساس حله فرضاً، ولكن ليس كل ما يفترضه الإنسان بفرض مقبول، وليس كل تخمين برأى سديداً. فلأجل أن يكون الفرض فرضاً علمياً يصح قبوله واستخدامه كوسيلة من وسائل التفكير، يجب أن تتوفر فيه الشروط الآتية:

١ — ألا يكون خيالياً يستحيل تحقيقه، أو موكولا للصدفة العمياء التي قد لاتحدث، كافتراض الفقير المعدم أنه سيعثر على كنز مملوء بالذهب ، أو محاولة الإنسان المثقف حل مشاكله المالية بافتراض أنه سيربح في « سباق الدربى » .

٢ — ألا يكون مخالفاً القوانين الطبيعية المعمول بها الآن — على الأقل — إلى أن تتغير هذه القوانين أو يثبت بطلانها ، كفرض إمكان تسيير القطارات بين الأرض والمريخ ، أو إمكان استخدام الكواكب الأخرى كوسيلة للمهاجرة وتخفيف الضغط عن الأرض المزدحمة بالسكان . ولا بأس بهذا النوع من الفروض كمادة للخيال والتنبؤ، كما فعل (جول فرن) الروائي الفرنسي في الكثير من رواياته الخيالية التي ذكر فيها مخترعات كانت خيالا في عصره ثم تحققت بالفعل. وأما أن يتخذ حقيقة يبنى عليها أو وسيلة للوصول إلى نتائج صحيحة ، فلا .

٣ — ألا يكون الإنسان متأثراً في فروضه برأى سابق أو قول مشهور أو نظرية مرجحة لم تصل إلى مرتبة القوانين . فكثيراً مايظهر خطأ مثل هذه الآراء الفطيرة بعد أن يكون الناس قد تورطوا في الأخذ بها وبنوا عليها أموراً كثيرة كلها باطلة .

ولذلك احتاط المشرع في الإسلام فنصح بعدم الأخذ بالمشهور من الأقوال والقطع به إلا إذا وصل إلى مرتبة الإجماع ، وحكم الإجماع هو حكم السنة.

٤ — ألا يكون متحيزاً لآراء تصدر عن أشخاص ممتازين ، ولو كانت لهم صفة الزعامة في فنونهم أو علومهم، إذا كانت هذه الآراء في غير مااختصوا به وامتازوا فيه ،أو يسلم بوجهة نظر السلف ولو كانت صالحة، ويتأثر باعتقاد عام أو شائع ،أو بحث شخص آخر، أو نتائج فرد لم تؤيدها مباحث أخرى ، من غير أن يقدر ظروفهم وماينطبق منها ومالا ينطبق منها على ظروفه الخاصة .

فقول العلامة المخترع (إديسون) في مسئلة الأرواح «لو أن هناك أرواحاً تخاطب لكنت أنا أول من يخترع آلة لمخاطبتها » ، لا يصح اتخاذه أساساً للبحث في عالم الأرواح، ولو أنه صادر عن عالم كبير ، كان لكلامه أثره الكبير في استهواء الناس، وكذلك (السير أوليفر لودج)العالم الطبيعي المشهور، تتناول الدوائر العلمية في العالم قاطبة آراءه في الطبيعة والكهرباء بالثقة التامة والاطمئنان لعلو كعبه في هذه العلوم ؛ أما أقواله في تحضير الأرواح فتقابل بمنتهى التحفظ .

وما أحوجنا إلى هذا الاتجاه العقلي في بلد كمصر يتكلم كل إنسان فيه عما يحسنه ومالا يحسنه ، ويدلى كل مثقف وغير مثقف برأى في كل موضوع ؛ وطالما تأخر البحث العلمي قرونا لخطأ وقع فيه عالم كبير وسار فيه على أثره سائر الناس من غير مناقشة ولا تشكك .

٥ — كذلك يجب التمييز بين الاعتقاد العلمي الصحيح الذي وصل إليه الفكر البشري بعد البحث والتفكير المنطقي قروناً عديدة حتى أصبح حقيقة لاتقبل الجدل ، كالاعتقاد في

كروية الأرض وغير ذلك من الحقائق التي يصح اتخاذها أساساً لفروض تفرض لحل مشكلات علمية، وبين المعتقدات التي نشأت عن أساطير أولية تداولها الناس جيلا بعد جيل حتى أصبحت عند العامة والشعوب الأولية المنحطة حقائق لا تقبل الشك ، كفرض أن الأرض محمولة على قرن ثور .

٦ — وأخيراً يجب أن يوصل الفرض إلى نتيجة ، فقد يكون صحيحاً ومنطقياً معقولا ومقبولا من كل الوجوه . ولكن الظروف الحاضرة لا يمكن أن تحققه ، أو أن يكون الإنسان قد توصل بعد إلى استنباط الوسائل التي تجعلنا نستفيد منه .

ولا أدل على خطورة تجاهل هذه الشروط من أن الإنسان قد ظل يفكر قروناً عديدة في أمور شغلته ، ويعالج حلها ويبذل في سبيلها كل ماله ووقته وجهوده ، ولكنه انتهى من حيث بدأ ولم يتقدم خطوة واحدة لمجرد أن فروضه كانت تخالف أصلا شرطاً من الشروط السابقة ، كالبحث في الحركة الدائمة، وتحويل المعادن الدنيئة إلى ثمينة ، ومحاولات العرب الطيران بالأجنحة ، وغير ذلك مما يملأ تاريخ العلم الإنساني .

وكذلك يرجع فشل الكثير من الثورات والتطورات والحركات الاجتماعية والمذاهب الخلقية والفلسفية في تحقيق ماتذهب إليه ، وضياع الجهود الجبارة التي يبذلها أنصار هذه المذاهب والمتعصبون لها سدى ،لأنها بنيت على فروض تخالف طبيعة البشر، أوعلى الأقل طبيعة عناصر المجتمع الذي يراد إحداث التغيير فيه ، كالشيوعية المطلقة والمساواة بين الناس ، ومؤتمرات نزع السلاح .

قيمه التفكير

ليس هناك من شك في أن الحيوانات الدنيا والأجناس البشرية المنحطة والبلهاء والمعتوهين وكل المخلوقات التي يهبها الله نعمة التفكير، تندفع في تحقيق رغباتها وشهواتها الباطنية ومطامعها الخارجية اندفاعا أعمى ، كأن غرائزها الأولية وشهواتها البهيمية ومطالبها الحيوية ، تدفعها من الخلف وتسيرها كما تشاء دون أن تدرك الغرض الذي تعمل للوصول إليه أو تتنبأ بالنتائج التي تترتب على سلوكها طريقاً معينة بدلا من طريق أخرى،فهي لا تعرف شيئاً غير الظرف الحاضر .

أما الكائن المفكر فينتفع من الماضي وخبرته في التصرف في الحاضر والتنبؤ عن المستقبل، وبذلك يقدر لكل شيء قيمته النسبية ، ويعرف له خطره ، وعلى هذه القيم النسبية يترتب كل تصميم وتنبؤ وتنفيذ ، فالإنسان المتوحش يعتمد ـ لضعف تفكيره ـ على الذاكرة والأمور المألوفة في معرفة مواطن الخطر في الغابات والأنهار ، أما الإنسان المتمدن ، فبفضل تفكيره يستطيع أن يصطنع هذه العلامات التي يضعها هنا وهناك فتذكره مقدماً بالعواقب فيستمر في طريقه أو يتجنبها تبعاً لحاجاته . وكذلك يرى المفكر في الأشياء التي تحيط به والحوادث

والظواهر الطبيعية ، معنى خاصاً غير الذى يدركه الكائن الذى حرم نعمة التفكير ، فهو يرى الكرسى شيئاً يجلس عليه ، أما القرد فيحسبه لعبة يقفز عليها ويكسرها أو يقرضها بأنيابه .

والإنسان — من جهة أخرى — يسمع فى كل لحظة أو يقرأ عن أشياء وحوادث وأمور لايراها، أو لم يرها بنفسه فيما مضى ، فإذا لم يفكر فيها ويتحقق بنفسه صدقها يكون ناقص العلم . ولهذا ينادى جميع الفلاسفة المحدثين وعلى رأسهم (لوك) بوجوب تمام العناية بالتفكير وتوجيهه وتنظيمه للبحث عن الحقيقة وصحة الحكم ومعالجة مواطن الفساد والضعف فيه .

فساد التفكير

ولكن كما أن الفكر وحده هو الذى رفع الإنسان فوق مرتبة الحيوان ، فهو كذلك قد يفسد ويخطىء وينحط به إلى مستوى البهائم .

وقد أرجع الفيلسوف (فرانسيس باكون) أسباب الخطأ فى التفكير إلى أمور أربعة سماها أصناماً ، وهى : صنم القبيلة ، وصنم السوق ، وصنم الغارة ، وصنم المسرح ، وقد استعار هذه الأسماء من الأشياء الأربعة التى تدور حولها حياة الإنسان المتوحش ، للدلالة على أخطاء التفكير والاعتقاد ، التى يكون أساسها: (١) فى الطبيعة البشرية ذاتها كنقص العقل وضعف الاستعداد (٢) والتى تنتج من ضرورة الاختلاط ونقص اللغة وضعف المعلومات وتشويشها وسوء تنظيمها (٣) والتى تتعلق بالفرد الواحد بصرف النظر عن الجماعة كخياله ومزاجه ومشاكله الخاصة (٤) والتى تكون نتيجة للتقليد والعدوى الاجتماعية كالأزياء (أو المودات) والعرف والأمور السارية .

وكذلك قسم الفيلسوف (لوك) الناس من حيث أخطائهم فى التفكير إلى أقسام ثلاثة :

١ — الذى لايحب أن يتعب نفسه فى التفكير والتعليل ، فيكتفى بقبول آراء الغير ويقلد أفكارهم . وهذا يخضع بطبيعته خضوعاً فكرياً تاماً للوالدين والمدرسين ورجال الدين وأولى الأمر وكل صاحب سلطان عليه، من النوع الذى إذا ناقش اقتبس وإذا كتب سرق، ليس لتفكيره طابع خاص وليست له شخصية .

٢ — الذى يصبغ العاطفة قبل العقل ويصبغ تفكيره بصبغة مزاجه وهواه . . . فلا يقبل رأياً لايتفق وهواه ولا يستمع لقول ينفر منه مزاجه .

٣ — الذى يفكر ، ولكن تفكيره محدود لقلة اطلاعه أوعدم اختلاطه بالناس ؛ فنجد أن محصول عقله ضئيل ودائرة إدراكه ضيقة ، وهذا يعتمد فى الغالب على الأمور التى تلقنها وهو صغير ، وتقبلها دون مناقشة ، فصارت له بعد بلوغه ذكريات مقدسة يحتفظ بها ولايقبل فيها جدلا ، وتصير فى نظره فواصل بين الحق والباطل لاتخطىء ، وقضاة يحتكم إليهم فى كل خلاف .

٤ — والفريق الأخير هم ذوو العقول الضيقة بطبيعتها، وهؤلاء يقف محصول عقلهم عند حد ثابت

لايتعداه مهما تعهدتهم بالتعليم والتثقيف. وهؤلاء يستمعون للرأى ويعملون بالمشورة ولا ينكرون الحقائق والأدلة ، ولكنهم مع هذا يصعب إقناعهم بمايقتنع به الناس العاديون .

وفى رأيى أن هناك عوامل كثيرة غير التى أشار إليها هذان الفيلسوفان قد تفسد التفكير عند الرجل المثقف وأهمها :—

١ ـ التسرع فى الحكم والاستناد إلى نقطة واحدة ومراعاة وجهة نظر خاصة والتعميم من حالات خاصة ، قد تكون على كثرتها أقلية إذا قيست بالحالات الأخرى ، قبل استقراء كل الحالات المحتملة ، تسرعاً يكون سببه قلة المعلومات أو سرعة الملل وعدم الصبر فى تتبع الموضوع الذى يشغل الفكر . ومن أخطر الأمور وأسوئها نتيجة أن يتسرع الإنسان فى الوصول إلى نتيجة خصوصاً فى المجادلات السياسية والاجتماعية العنيفة ، والنظريات والبحوث العلمية ، لأن الناس يبدءون فيها من نقطة واحدة ثم يفترض كل منهم فرضاً يخالف فروض الآخرين لمجرد المخالفة ، فيصلون جميعاً إلى أحكام متعارضة وآراء متناقضة ؛ ولهذا يتشكك الناس دائماً فى كلام خطباء السياسة والجدل .

٢ ـ التحيز الشخصى لكل ما يحقق المصلحة الخاصة إلى جانب ما يوافق نزعاتنا الشخصية وميولنا وهوى نفوسنا مما نغالط أنفسنا فيه أولا ، ونجادل لإثبات صحته ونحن نعتقد فى صميم نفوسنا أنه باطل ، ولكننا لا نلبث أن نستهوى أنفسنا بأنفسنا فنرى الخطأ صواباً والبطلان صحة وننتقل من طرف إلى طرف .

٣ ـ أن يكون الإنسان لنفسه أثناء البحث والتجريب رأياً خطيراً أو نظرية خاصة من قبل أن يتحقق صحتها من كل الوجوه ؛ فهو بهذا يقيد نفسه بالبحث فى اتجاه معين بعد أن كان حراً ينشد الحقيقة أيان يجدها فيفسد بذلك بحثه ، إذ يكون مضطراً رغم شعوره إلى توفيق بحثه وتكييفه والتحكم فيه (وطبخ نتائجه) حتى يطابق هذه النظرية . ومن المشاهد أن العلماء يأخذ الناس فى التشكك فى بحوثهم بمجرد أن يكونوا لأنفسهم نظريات تعرف بأسمائهم .

٤ ـ ضعف الثقة بالنفس واعتقاد الإنسان أن عقله أضعف من أن يتلمس للمشكلة حلا لأن غيره من أصحاب الرأى الراجح عالجها قبله فلم يفلح .

٥ ـ التردد فى الرأى والتهيب دون إعطاء الحكم ، وعدم الاستقرار على حال .

٦ ـ وجود الإنسان فى وسط اجتماعى غريق فى تقاليده ، متحيز لها تحيزاً أعمى ، أو فى مجتمع مثله العليا آمال كاذبة لا يمكن تحقيقها ، فتضحى الكتلة الوطنية بكل شىء فى سبيلها حتى تفنى ولا يستفيد من ذلك غير الخاصة والزعماء وأصحاب اليد القوية فوق هؤلاء وهؤلاء .

محمد مظهر سعيد



ذكرى حبيب

وليلة حالكة الجلباب أغطش من خافية الغراب
كأنها صحيفة المغتاب أو حظ محدود من الكتاب
أو غمرات الزاخر الخضم

وقفت فيها وقفة الملتاح أسائل النجم عن الصباح
فقال : سل عنه عتيق الراح أو وجنات الخرد الملاح
فليس لى بشأنه من علم

إنى رأيت العرب الحسانا يصبغن منه الخد والبنانا
وراهباً أظنه فلانا أحضر بالأمس هنا دنانا
وراح وهى مفعمات تهمى

ياسارقات الصبح ! طال ليلى فديتكن بعض هذا الدل
هل جاز فى دين الغرام ذلى؟ من لى بأن ألقى الصباح من لى
باللمح أو باللمس أو باللثم

فيكن ذات حسب ودين مشرقة الطلعة والجبين
كأنها إحدى الظباء العين عاذلتى فى حبها دعينى
عيل بها صبرى وطاش حلمى

علقتها صامتة الحجلين أنصع من سبيكة اللجين
حوراء ملء القلب ملء العين كأنها اللقاء بعد البين
أو عودة الشفاء بعد السقم

حديثها سلافة النديم وخلقها تواضع اليتيم
فديتها من ملك كريم تعرف فيها نضرة النعيم
أنقى وأصفى من نطاف الغيم

أبرزتها يوماً فقلت : واها ! قتلت إن شببت فى سواها
كأنها — والحسن إذجلاها — لؤلؤة تبهر من رآها
ألقى بها الغواص قرب اليم

علاقة الوالدين بالأبناء

بقلم المربية الفاضلة

الآنسة زينب الحكيم

العلاقات البشرية تقوم حياتنا أو تتلفها ، فتؤثر علينا فى بيوتنا مع والدينا وأصدقائنا ، وفى حياتنا العملية ، وفى اجتماعاتنا العامة اليومية ؛ ومن الغريب أن أكثر الناس لايبالى بهذه العلاقات ولا يفكر فى عواقبها .

ينسى الكثيرون أن مخالطتنا إنساناً آخر توقظ فينا اتجاهاً خاصاً ، وبهذا الاتجاه الذى يعاودنا من تكرار المقابلات بيننا وبين ذلك الشخص تنشأ العلاقات بيننا وبينه . فإذا آمنا بهذه الحقيقة وجب علينا أن نؤمن بوجود علاقة طبيعية بين الطفل ووالديه .

وينتظر الكثيرون منا أن تكون تلك العلاقة متلائمة متزنة وفق الصلة الطبيعية هذه . ولكن الحقيقة أن هذه العلاقة تنشأ وتنمو ككل العلاقات الأخرى نتيجة للتجارب الشخصية ، والانفعالات الفطرية ، والمواهب العقلية ، والحالات الاجتماعية ، وإن كانت كلها موروثة ، ونقول موروثة لأن الاستعداد الموجود أو النزعة الموجودة إلى العمل لم يتعلمها الإنسان عن طريق المران والتكرار ، وإنما وجدت فيه طبيعية فطرية موروثة لأنه ولد كذلك ، ولأن الصفات التى نجدها فى كل من الأبناء والآباء أثبت العلم أنها تنقل من الآخرين إلى الأولين عن طريق الوراثة (مثل الاجتماع والهرب فنجدها عند الآباء والأبناء فى جميع الأجيال) .

وفى فحص أى نوع من الحالة السلوكية فى الطفل يجب أن يفهم الفاحص البسيكولوجى بوضوح : أى العوامل يؤثر فى العلاقة بين الطفل وبين والديه ؟ (لنريد أن يتحقق ما إذا كانت من جهة الرابطة الطبيعية أو العقلية أو الاجتماعية ... الخ)

لأمثال هذه المعضلات لا يحسن فقط تلك العلاقة التى يطلب الآباء النصح من أجلها ، وإنما يمنع حدوث متاعب مستقبلة . ولن أحاول مناقشة الأنواع المختلفة لمشكلات سلوك الأطفال فى هذا المقام ؛ وإنما يهمنى أن أشير إلى أهمية العلاقات بين الآباء وأبنائهم ، وأوضح كيف أن هذه العلاقات مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بكل ما يلاقيه الآباء من مصاعب مع أطفالهم .

ولكي يكون الأمر جلياً سأتناول على انفراد كل حالة من الحالات الأربع التى تصل الآباء بأبنائهم وهى : (١) الرابطة الطبيعية ، (٢) الرابطة الانفعالية ، (٣) الرابطة العقلية ، (٤) الرابطة الاجتماعية .

الرابطة الطبيعية

أولا ليكن معلوماً لدينا أن العلاقة بين الآباء وأبنائهم لها معنى طبيعى محدود خاص ؛ وهذه الرابطة الطبيعية ترجع إلى مايسميه الانكليز Germ-Plasm (أى النطفة المشتركة التى يتكون منها الطفل) أو الزوجية التى نشأ منها الطفل ، ولا ريب أن هناك ميزات طبيعية ثابته توضح علاقة الطفل برجل وامرأة ، هما أمه وأبوه .

والأطفال الأشقاء من أب واحد وأم واحدة ، يمكن أن يتباينوا كثيراً من حيث طبيعتهم وعقليتهم وانفعالاتهم ، ولكنهم يحتفظون جميعاً بتلك الرابطة الطبيعية الأولية بوجه عام ، (أى الدم العائلى أو الروح العائلية) ؛ وكثيرا مانسمع « هذه العائلة هواؤها واحد أو روحها متشابهة » ، وبناء على ما لهذه الصلة الطبيعية من وجود حقيقى وتأثير فعال نرى معظم الآباء والأمهات يحاولون الآن الحرص على التخلص من نقط الضعف الطبيعية فى تكوين الطفل ؛ فهم مثلاً يوجهون عناية خاصة لإصلاح حال القلوب والرئات الضعيفة والأرجل الكسيحة والأعين المريضة ، ولم يقتصر الأمر على المتأهلين للزواج فحسب ، بل نرى الحكومات تعنى العناية كلها بسن القوانين وإسداء النصح فى هذا الصدد ، بل لقد تحول دون زيجات الأفراد المصابين بالأمراض المزمنة سواء أكانت صحية أم خلقية .

ونسمع الكثير عن إنشاء ملاجىء لعزل أمثال هؤلاء (وقد اهتمت الحكومة المصرية بسن تشريع لتحسين نسل الحيوان نشر ببلاغ الأحد ٢١ مايو سنة ١٩٣٣) .

ويسر الإنسان فى هذا العهد أن يرى الأمهات لايبالين بأية مشقة تنالهن فى سبيل السعى لإصلاح حال أطفالهن ، ولقد يمشين الأميال العديدة المضنية على أقدامهن ليعرضن أبناءهن على الأطباء لكى ينالوا العلاج الضرورى . وهذه حال نشاهدها حتى فى مصرنا المعتبرة أقل من غيرها فى العالم تنبهاً وعناية . ولقد نشاهدها فى الأمهات العاميات حين ذهابهن إلى مستشفى قصر العينى وغيره . وبالاختصار أصبحت هذه الناحية الإصلاحية ذات شأن لايمكن أن يغفل أمر العناية بها بين الطبقات المثقفة والجاهلة إلى حد ما ، وذلك لأن الأمهات يرين حالات ظاهرة أمامهن لايسمحن بالتهاون فيها ، وإلا عاقت نمو الطفل وأقعدته .

ومع هذا ـ بالنسبة لحال الطفل الصحية الطبيعية ـ فإن من الصعب أن توجه انتباه الوالدين

إلى تمييز أهمية العوامل التى لاترى بالعين المجردة والتى تؤثر بعمق وشدة،ليس فقط فى طبيعة الطفل وإنما : فى عقليته ، وفى انفعالاته الصحية ، وفى علاقاته الاجتماعية أيضاً ، خصوصاً إذا تقدمت به السن .

كلنا نعلم أن الطفل يحتاج إلى الغذاء والنوم والثياب بفطرته ، على أنه أكثر احتياجاً إلى عادات خاصة ، للأكل والنوم ، والمحافظة على لوازمه ، وربما كان ذلك أهم له من الأشياء نفسها.

وبعبارة أوضح : لايجب على الآباء أن يعدوا أطفالهم بضروريات الحياة وكفى ،بل يجب أن يعلموهم كيف يتمتعون بتلك الضروريات أكمل تمتع .وربما وضحت النقطة المتقدمة المثال الآتى:

الطفل أحمد عمره خمس سنوات كان قد أحضر إلى « معمل تجريبى » لأنه أبى أن يأكل طعامه ، ولأنه كان يتشاجر دائماً مع أخته بخصوص لعبه .

وقالت والدته : إن لها طفلين هما أحمد هذا وسعاد وعمرها سبع سنوات،وقررت أيضاً أنها لاترغب أن ترزق بغيرهما ، لأنها تشعر هى وزوجها أنهما لا يستطيعان القيام بتعليم طيب وتربية حقة ، لأسرة كبيرة العدد .

وكانت حالة الأب المالية طيبة ومنزلها مريحاً ، ولم يكن الطفل أحمد قوياً بدرجة حسنة ، مع أنه لم يصب بمرض خطير،وباختبار حالته الصحية وجد أنه شديد النحافة قلق Restless،أما أعضاؤه فكانت كلها سليمة .

ولما بحثت حالات أكله ونومه ، وجد أنه لم يقتصر على اختيار ما سيأكل ،وإنما استطاع أيضاً أن يعين متى يأكل ، واعتاد أن يأكل قليلا على المائدة فى أوقات الطعام لأنه زاهد فى الأكل (بحجة أنه لايحب هذا اللون من الطعام) ، وهذه حالة شائعة ومشاهدة كثيراً فى مدارسنا المصرية ، وفى المدارس بالبلاد الأجنبية ، ولا يلبث أن يطلب كعكة أوشكلاته بعد ساعة من الزمن لأنه ميت من الجوع . (لنا رأى خاص فى هذا الصدد قد نعرض له بتوسع على حدة).

وكان ذهابه إلى الفراش بإرادته فى أى وقت بين الساعة السادسة والسابعة والنصف،ولم تكن أمه توقظه فى الصباح مطلقاً ، بل كانت تتركه ليستيقظ من نفسه ؛ ولم يرشد أحمد إلى كيفية المحافظة على لعبه ، فقد كان يتركها ملقاة فى أى مكان وضعت به أو استعملت فيه ، وكانت تكسر أو تضيع فى الحديقة أو يتلفها المطر أو الشمس .

وإذا أراد أن يلعب بشىء من لعب أخته سعاد فكان يفعل ذلك دون استئذان ، وكان يعامل لعبها بنفس مايعامل به لعبه ، فكانت نتيجة ذلك كثرة الشجار بينهما . وكانت سعاد تتمتع بعطف والدها ، فكانت لذلك تستنصره فى مشاجراتها مع أحمد، وبالتالى كان ينال أحمد التعنيف العديد وبعض الضرب من أبيه ، وبذلك نشأت عدة مجادلات بين الأم والأب ، وبالطبع كانت

تلك المجادلات بسيطة بطيئة في بادىء الأمر ، ولكنها كانت تبنى حاجزاً بين الاثنين كما وترت العلاقات بين الأب وابنه،وكما أثرت بالنسبة لسعاد .

قالت الأم إنها كانت تعمل مع زوجها بتضامن تام على تربية طفليهما حتى بلغ أحمد تمام السنة الأولى من عمره ، ولكن هذا التضامن ضعف حينما كبر أحمد وأمكنه أن يوضح بأعماله أنه مخالف لسعاد ، فابتدأت الصعوبات تظهر ، وشوهدت بنوع خاص في حالة ذلك الطفل أحمد النحيل الجسم الزائد الحركات ، قياساً على حال طفل عمره خمس سنوات مثله . لذلك كان لزاماً أن نرشد الوالدين إلى أهمية تربية العادات الصحيحة ، وإلى ضرورة استمرار التعاون المشترك بينهما لإصلاح حال أطفالها ، حتى يمكن تهيئة جو ملائم ، بحيث يتمكن الأطفال من الاستمتاع بما في منازلهم من منافع .

الرابطة الانفعالية

توجد الصلة الانفعالية بين الوالدين وأبنائهم وهـذه الصلة هي مميزة للرابطة الطبيعية ؛ وكثيراً مانسمع الوالدين يرددان : ابني ، ابنتي ، ولدي،مع قصد التشديد على ياء المتكلم ، وأقل مافي هذا التعبير الانفعالي من مظاهر ، هو مظهر الحب الأبوي ، وهذا يعني دائماً ما يكنه الوالدان لأولادهما من المحبة ، ولايشترط أن يعني مايكنه الأولاد لآبائهم من محبة .

أما في حالة الأم ، فتوجد فترة انتظرت فيها أن يرزقها الله بطفل ، كما قد أملت أن ترزق بطفلها الجديد ، أو على الأقل قدرت مجيئه إن عاجلا وإن آجلا بدون شك ، ذلك لأن الجانب الإدراكي من غريزتها ، إن لم يكن شيئاً محسوساً ولا شيئاً تتذكره ، فقد يكون صورة لم تقع أصلاً ،وأناوأنت وهي تبتدعها ، فالمرأة التي تتزوج ، ولم ترزق أطفالا بالضرورة تتخيل زواجها المستقبل والطفل الذي تلده ، وصورته التي تفضلها ، فتتجلى عندها غريزة الأمومة ، وتصدر عنها الحركات التي تدل على ذلك كأن تطوى ذراعيها كأنها تضم طفلها إليها .

أمامع الطفل فالحالة غير ذلك، إذ أنه بعد ميلاده بزمن قصير يبدأ يميز المرأة التي ترضعه وترعاه، تلك المرأة التي تحبه وتداعبه والصديق الذي يثق به في حياته المبكرة ، وبمعنى آخر يبدأ تمييز أمه .

قال ماكولي : « أيها الأطفال ! انظروا إلى هاتين العينين ، واستمعوا لهذا الصوت الحنون، واعرفوا في أنفسكم هذا الإحساس الذي تحدثه فيكم لمسة اليد الخفيفة من الأم ، تمتعوا بأمهاتكم وهن بعد أحياء ، فهن أثمن ما عندكم من الهبات ، واقرءوا في أعينهن هذا الحب الذي لايسبر غوره ، وذلك الهم المقلق الذي يتولاهن عند أقل ألم يصيبكم، واذكروا أنه قد يكون لكم في مستقبل الأيام أصدقاء مخلصون محبون ، ولكن لن تجدوا ذلك الحب الذي لاتؤدى معناه الألفاظ ، والذي لاتنالونه إلا من الأم » .

وبالاختصار يمكن الوالدين حب أطفالهما من المبدأ ، أما الطفل فيتعلم حبهما ؛ وحبه هذا يبنى على مايجاوب به بكاؤه ، ومايقابل به لهوه ، وما يجاوب به محاولته لفت نظر الغير إليه ، وما يقابل به من تمييز لشخصيته إذا ما استطاع عمل الأشياء بنفسه ، أى أصبح منتجاً، مهما بلغ إنتاجه من بساطة.

فحبة الطفل لوالديه تسير جنباً لجنب مع شعوره النفسى الذى ينمو فيه كنتيجة لما قوبل به من رعاية دائمة ظللت كل لحظات حياته المبكرة مع والديه ، وطالما كانت العاطفة (وهى مجموع انفعالات تركزت) متجهة نحو شىء أو شخص ، فإن الناحية الإدراكية تكون يسيرة ولا تحتاج إلى مجهود عقلى لفهمها ؛ وهذه حالة الطفل مبدئياً دون ريب ، ويزداد عنده شعور الرعاية والحفظ والحب هذا ، رقياً وثباتاً كلما اتسعت وتجددت تجاربه التى اجتازها فى حياته البيتية .

الرابطة العقلية

كلما نما الطفل وتقدمت به سنو عمره ، نمت عنده رابطة عقلية خاصة . فهو يحفظ أو يتعلم من والديه إذ يتحدث إليهما عن الأشياء ، وكلما استمر نموه ، فوالداه إما راضيان عن هذا النمو أو غير راضيين ؛ وهما فى كلتا الحالتين يظهران للطفل التشجيع والسرور إذا كانا راضيين عنه ، ويظهران له العكس إذا لم يكونا راضيين عنه. وكثيراً ما نسمع الأم تشكو بطء ابنتها فى الفهم أو عمل أى شىء تكلف به ، أو أنها تنسى بسهولة . ولا تتفرغ لشىء كما أنها لا تحصر فكرها لمدة طويلة ، وأنها متقلبة وبذلك لا تحسن القيام بعمل الأشياء ، وإنما تترك جملة أشياء غير كاملة لتنقلها من عمل شىء إلى عمل شىء آخر قبل أن تتم الأول .

لانقول إن هذه الحالات معدومة ، أو غير شائعة ومشاهدة ، وإنما نقرر أن هذه الحالة العقلية لها اتصال وثيق بالرابطة الانفعالية سالفة الذكر ، إذ كيف تشعر الطفلة – الغبية فى نظر والديها اللذين أمنا على أنها خيبت آمالهما جزافا – باطمئنان وسعادة تتمكن بهما من سلوك طريقها الطبيعية فى الحياة ! !

أحضر إلى المعمل التجريبى الطفل (عزيز) لأن أمه ظنته بطىء الحفظ ، وقد اعتبرته لذلك أبله الأسرة (أو الخيبة) ، لأنه لم يحفظ بالسرعة التى كان يحفظ بها أخواه اللذان يكبرانه .

وكان عزيز هذا منتظم الهندام ، غير ماهر فى التعرف بالغير ، يظهر عليه شىء من التردد إذا أقدم على التعرف بغيره ، ويلوح عليه شىء من الهدوء خشية التكلم حذر الخطأ . وقد وجدت حاله الصحية جيدة على العموم ، ولو أن وزنه دون اللازم بعدة أرطال . وبعد محادثة قصيرة معه ، وجد أنه ليس أبله ولا (خيبة) كما ظنت أمه وبالطبع أبوه .

وأثبت الاختبار النفسى (psychological Test) أنه طفل من واضحى الذكاء الممتاز . ومع هذا فقد أثبتت التقارير المدرسية وتقارير والديه من جهة أخرى، أنه لم يؤد أى عمل مرض بالمدرسة .

ولما اختبر أخواه ، اتصح أنهما ينضمان للفريق الممتاز جداً فى الذكاء ؛ وهنا وجد السبب الحقيقى للصعوبة والمشكلة القائمة بين عزيز وأسرته ؛ فإنه بموازنته بأخويه الممتازى الذكاء جداً ظهر بطؤه وجموده ، لأنه ممتاز الذكاء فقط ، وبذلك صار أبواه ينتحلان له الأعذار فى الظاهر أمام الأصدقاء فى حين حين كانا يعنفانه أيما تعنيف فى غير وجود أولئك الأصدقاء . واستمرار موازنته بأخويه جعله دون شك يشعر أنه غبى ، وأنه جامد يخاف أى عمل أو قول حتى لا يزداد انتقاده.

وأمثال هذا الخطأ شائع فى بيوتنا ومدارسنا المصرية بوجه عام ، وذلك لترك الأطفال الكبار مع الصغار ، وعدم العناية بالتربيه الفردية والفحص الشخصى ، وعدم وجود المعامل التجريبية ومدارس الرياضات لأشباه هذه الحالات .

الرابطة الاجتماعية

وهذه هى الحلقة الأخيرة ، والوالد الفخور بابنه والمسرور منه يعرضه لتجارب مختلفة وأشياء ممتازة لا ينالها باقى الأطفال من نفس الأسرة ، لأن حالهم لا تدعو إلى الفخر وليسوا حائزين الرضاء التام من والديهم .

فمثلا فى حالة الطفلين فى المثال المتقدم ، قد كانا يؤخذان هنا وهناك وإلى كل مكان طيب ، لأنهما يفهمان ويميزان كل ما يريان ، وكان يمكن النقاش معهما فى الأشياء ، لأن أجوبتهما كانت مسلية سارة ، أما عزيز فقد أهمل دائماً لأن والديه فضلا ألا يظهر لهما مثل هذا الطفل الغبى .

وهنا من السهل علينا أن نرى كيف كانت علاقة الوالدين الاجتماعية متوترة بالنسبة لطفلهما عزيز (المظلوم) ، وبين ما كانت عليه بالنسبة لأخويه .

***

ولعلنا بعد كل ما تقدم استطعنا أن نوضح العلاقة بين الآباء وأبنائهم ، وساعدنا على فهم أشد الصعوبات تعقداً ؛ على أن سلامة هذه الرابطة تتوقف على انتباه الآباء المنظم ، ونرى من الحتم أن تكون هذه الرابطة سليمة ومكونة ومرشدة ، إذا قصد أن ينتفع الأبناء من حياتهم ...

زينب الحكيم

ليــــلى العفيفة

رواية شعرية عربية

تأليف المرحوم الأستاذ محمد عبد المطلب

قد لا يعرف القارىء أن المرحوم الأستاذ « محمد عبد المطلب » كان أسبق الشعراء إلى تأليف الروايات الشعرية العربية ، ولو أنه ليس أول من مثلت له رواية من هذا النوع ، وقد كان ذلك منذ عشرين عاماً ، وتحفظ له « دار الكتب المصرية » من رواياته تحت عنوان « سلسلة الروايات العربية » روايتى : « المهلهل » و « امرىء القيس » ، وله أيضاً عدة روايات تمثيلية أخرى ، وضعها خاصة لفرق التمثيل بالمدرسة السعيدية وقت أن كان يدرس بها .

وفى سنة ١٩٠٩ أراد أن يزود المسرح المصرى الحديث بقصص عربية تمثيلية غنائية ، يمكن أن يرتضيها ويعجب بها أصحاب الثقافة العصرية ؛ ففى نفس تلك السنة بدأ بوضع رواية « ليلى العفيفة » ، ولكن أعماله فى مدرستى دار العلوم والقضاء الشرعى ، حالت بينه وبين إتمام هذه القصة وتقديمها للمسرح كما أراد ، ثم عاد الأستاذ فى أواخر أيامه يفكر فيما كان قد اعتزمه من قبل ، ولكن الموت حال بينه وبين تحقيق رغبته .

وهى الآن بين يدى صديقه الأستاذ « محمد الهراوى » على أن يجرى فيها ما يستطيع من تعديل وتحوير ، بما يلائم ما عرفه من ذوق صديقه فى الأسلوب والتفكير ؛ وما يحول دون إتمام ذلك منه الآن ، إلا صعوبة مواجهة ما كتبه صديقه الفقيد بخطه وقلمه ، لما يثير ذلك فى نفسه من ذكريات أليمة تجعل من العسير عليه جمع فكره لإجراء هذا التعديل .

غير أننا تقديراً لعمل شاعر جليل فذ فى أسلوبه البدوى المأثور عنه مما تعوده جمهور الأدباء فيما قرءوا له من شعر ، رأينا أن نثبت الجزء الذى كتب من « ليلى العفيفة » . وقد أرسله إلينا صديقنا الأستاذ الهراوى مع خطاب رقيق يفيض شكراً وتقديراً لجهود « المعرفة » فى خدمة الثقافة والشعر والأدب ، وها نحن أولاء نبدأ بنشر الأصول التى تركها الفقيد بخطه شاكرين للأستاذ الهراوى عاطفته نحو « المعرفة » .

وسيرى القراء أن هذا الشاعر البدوى ، كان — حين يريد — حضرياً فى أسلوبه

الشعرى وفى تفكيره، وقد عمد إلى قصة جاهلية حدثت أيام العرب الأولى ليتحف بها أبناء المدنية الحاضرة ...

المحرر

الفصل الاول

يجلس لُكَيْز مفكراً فى أمر ليلى وخطبة عمرو بن ذى صهبان إياها ، فيراجعه أحد بنى كليب ، وينهاه عن ذلك حرصاً على البَرّاق خطيبها الأول وابن عمها ، فيصر على إجابة عمرو ، ورد البراق ، فتحزن لذلك ليلى والبراق ، وينتهى الأمر بأن يخرج البراق من ديار قومه مغضباً إلى البحرين .

كليب :	ما لأبى ليلى حزيناً مطرقا ؟	
لكيز :	أرّقنى شغل بليلى أرقا	جمّع من همى ما تفرقا
	عمرو بن ذى صهبان لما حققا	أن لها فى الحسن جداً أصدقا
	وفى المعالى غاية لن تلحقا	بادر فى خطبتها مستبقاً
كليب :	رام ابن ذى صهبان صعب المرتقى	إن سمع البَرّاق أو تحققا
	بأن عمرواً باب ليلى طرقا	أرعد كالليث لنا وأبرقا
	وطبق الأرض علينا طبقا	
لكيز :	لكن عمرواً بالأيادى سبقا	قلدنا نعماءه وطوقا
	يجود كالغيث علينا غدقا	إذا بنا صرف الليالى أحدقا
كليب :	لكنه ليس من البراق	أحق بالطاهرة النطاق
	نقية الأعراض والأعراق	وهو فتى الجيش لدى التلاقى
	وما لبكر غيره من واق	إذ تأخذ الخطوب بالخناق
	وتلعب الأرواح بالتراقى	فى يوم هول مظلم الآفاق
لكيز :	نعم ولكن لا يرد عمرو	عن مثل ليلى
كليب :		ذاك شىء نكر
	تغضب منه تغلب وبكر	
لكيز :	أيغضبون وهو ذو أياد	عليهم كثيرة التعداد؟
	وإن أجبناه إلى المراد	كان لنا عوناً على الأعادى
	وفرجاً للكرب الشداد	من أزمة أو سنة جماد؟
	فرده ليس من السداد	
كليب :	إياك يا ابن العم أن تجيبا	فإن فيه اللوم والتأنيبا

وإن ليلى ـ إن تكن أريبا ـ تأبى سوى ابن عمها خطيبا
وهو وإن كان لها حبيباً فما أتت نكراً ، ولا عجيباً
فلا يزال السيد الأريبا فى قومها والبطل المُهيبا
يكفيهم البأساء والكروبا

لكيز : ويحك ! هل ليلى ترد أمرى برد هذا وقبول عمرو؟
رضيت عمرواً أن يكون صهرى ماحجتى فى رده ماعذرى؟
أليس فى منعيه عين الغدر ولوأبى البراق إلاهجرى؟
فليجر فى قطيعتى ما يجرى

كليب : يا أبا ليلى كفى . فالحقوق . أنكرتها . ذلك الغدر
وأحاديث الجفا . والعقوق . كررتها . حلوها مر
غضب البراق مر لايطاق وله العذر

يخرجان فتدخل سلمى وجارة لها تواسيها عما أحزنها من رد ابن عمها عنها وإجابة ذى صهبان .

ليلى : رب ! كم تبلو وتمتحن إن قلبى شفه الحزن
كلما قلت انجلت محن عاودتنى بعدها محن

سلمى : هل أتى عن ركبنا نبأ محزن، من بعد ما ظعنوا؟

ليلى : لا . ولكنى أرى جللا عاجلاً يسعى به الزمن
يا ابن عمى ! إن لى كبداً قد براها بعدك الشجن
إنما البراق خير فتى فيه بنت العم تفتتن
صده عنى أبى سفهاً وأبى فى رأيه أفن
وأتى عمرو ليخطبنى فأذلتهم له المنن
ليت شعرى ما الذى خبأت لى من أحداثها اليمن
ليتنى يوم أزف له يحتوينى قبله الكفن

سلمى : إن فى الأيام معتبراً والليالى بيعها غبن
اصبرى ليلى ! ولا تهنى إن عزم الحر لايهن

ليلى : ارحمى ياسلم والهة غلقت من قلبها الرهن
وارحمى البراق فهو بنا قد جفا أجفانه الوسن

سلمى : قدك ياليلى أرى شبحاً

ليلى : أترى قومى بنا فطنوا؟

ثم تخرجان مسرعتين ويدخل البراق محزوناً مع آخر اسمه « عقيل »

براق : ياعقيلاً ، ياعقيلا ، ما ترى الليل طويلا ؟
ما لنجم الليل لا يبـــــغى عن الأفق أفولا ؟

عقيل : طال ليلى وهو أولى بعد ليلى أن يطولا

براق : بالأسى قد عيل صبرى

عقيل : أى نعم ، صبرك عيلا
يا ابن روحان رويداً واصبر الصبر الجميلا

براق : إن يحل دونى فإنى عن هواها لن أحولا
يرتضى مثل ابن ذى صهـــــبان من ليلى حليلا
إن ليلى ياعقيل لا ترى منى بديلا
ظلمونى ظلموها أغضبوا السيف الصقيلا
انا إن لم أسق عمى بالردى كأساً وبيلا

عقيل : أو ترضى يتم ليلى

براق : لا ، ولا . حسبى ذهولا
قطع السيف يميناً تترك العم قتيلا
والفتى من كان للأهـــلين سماحا وصولا
غير أنى لا أرى عن أرضكم إلا الرحيلا
يالقومى للنوى زمـــوا عن الحى الحمولا
وإلى البحرين فى صبح غد، حثوا الرعيلا

وعندما يقول يالقومى يحضر رجاله وينشدون التوشيح الآتى :

أيها الحادى أجد النغما وازجر العيس على مجرى الصبا
مر حلو العيش فى هذا الحمى وذوى مخضل أنوار الربى
ظلم البراق فيـه ظلما والفتى من سيم ظلماً فأبى

***

أغضبوه بالذى قد فعلوا ومتى يغضبْ لأمر نغضب
أحنقوا السيف وثار الأسل وبدا العدوان ياخيل اركبى
فرأى الحزم بأن يرتحلوا قبل أن يعدو جيش العطب

***

وإذا الحر رأى الشر طما أعمل الرأى وخلى الغضبا
وإذا جاروا عليه حلما وحمى العرض وصان الحسبا

الفصل الثانى

يرحل البراق إلى اليمامة فيأتيه أعداء قومه من طيء وقضاعة يستعدونه عليهم فيأبى ويغضب الوفد فيرحلون عنه، ثم تأخذه الحمية لنصرة قومه فيرجع إليهم وينصرهم ويستخلص الأسرى والسبايا وفيهن ليلى ويتم النصر لقومه بسببه.

منظر

البراق باليمامة وقد أتاه الخبر بما حل بقومه بعده من وقوع الحرب بينهم وبين طيء وقضاعة، فهو مهموم يتغنى، فيدخل عليه وفود هذين الحيين.

براق : أتانى أن قومى جد فيهم | من الحدثين شر مستطير
أناخت بينهم حرب عوان | ضروس للردى فيها زئير
وما أدرى أيذكرنى لكيز | إذا استعرت وطار لها زفير
وهل هو بابن ذى صبهان يغنى | إذا عميت على القوم الأمور ؟

خادم : ضيوف بالرحاب

براق : بهم وأهلا

الضيوف : سلام

براق : مرحباً وقرى وفير

الضيوف : نزلنا بأبى نصر | سلام يا أبا نصر
دعوناك إلى أمر | فهل تصغى إلى الأمر ؟
بنو عمك قد جاروا | ومدوا سبب الشر
وقد خانوك من قبل | بمحض البغى والغدر
فحالفنا وأيدنا | عليهم واسع فى النصر
نحالفك على من شئـ | ت فى بر وفى بحر

براق : ذرونى لست أترك آل قومى | وأرحل عن فنائى أو أسير
بهم ذلى إذا ما كنت فيهم | ولكن لى بهم شرف خطير
أأنزل بينهم إن كان يسر | وأرحل إن ألم بهم عسير ؟

الضيوف: دعوا البراق والتمسوا | سوى البراق ويحكمو
فنحن قضاعة وهم | ربيعة كيف نلتئم
سنلقاهم ويلقونا | وبحر الموت يلتطم

براق : يابني أمي اركبوا خيلكم لاح الصباح
توبوا في قومكم للعوالي والصفاح
أدركوا أهليكم صرح الشر وباح
قومه : غداً نلقاك بالخيل عديد النجم والسيل
ونسقي طيئاً كأساً دهاقاً مترع الويل
غداً نصلي بني إلحا ق من الشر ما نصلي
ويخرجون ويرخى الستار

الفصل الثالث

البراق محزون لما أصاب قومه من قضاعة ومقتل أخيه ورثائه في شعره فيقول:

دعاني سيد الجيشين منا بني أسد السميدع للغوار
يقود إلى الوغى ذهلاً وعجلاً بني شيبان فرسان الوقار
وآل حنيفة وبني ضبيع وأرقمها وحي بني ضرار
وشوساً من بني جشم تراها غداة الروع كالأسد الضواري
إلى أخوالهم طيء فأهدوا لهم طعناً من العدوان واري
صبحناهم على جرد عتاق بأسياف مهندة قواري

***

ولكن آه هم قتلوا أخي يا ويلهم ظلموا
ظليل ظل أهليه ونار البأس تحتدم
تركت بثاره خالي بأم الأرض يرتطم
غداً ستلفهم منا بدومة غارة عمم
وأخوالي وإن كرموا فما هم في أخي حرم
وإن غداً وبعد غد لرهن بالذي علموا

ثم ينصرف ويدخل بعض الطائيين بالسبايا وفيهم ليلى (ويرفع عنهما ستار) .

حارس: أيها السائقان بالسفح مهلا خبراني عن أهلها وأقلا
واضربا الذكر عن شبا البيض صفحاً إن لي بالحسان والبيض شغلا
وسلا هذه الظعائن عني إذ لقينا في ملتقى الكر ذهلا
كم تركنا منهم هناك صريعاً وسبياً عقيلة الحي ليلى
الحارس : يا ابنة القوم كفكفي الدمع وانسي ال روحان بله ذهلاً وعجلا

ما ادكار البراق إلا ضلال اذكرى طيئاً إذا شئت بعلا
ليلى تجيبه : حسبك يا ابن الخنى ضلالا لقد تماديت فى الضلال
ماطيء فى الوغى إذا ما تعادت الخيل بالرجال
غدا يقيم البراق سوقاً للموت بالضرب والنزال
تغدو بها طيء حصيراً للمشرفيات والعوالى
الحارس وصحبه: قدكن ماهذا الصخب؟ أنتن سبى وسلب
لطيء دون العرب
صاحبه : خل العذارى وانطلق فبارق الموت برق
فذلك البراق بالخيل إلينا يستبق
امرأة من السبى : مالهم فى العدو جدوا أطلقوا الخيل وشدوا
ليلى : ها أتت خيل ابن عمى كالقطا فى البر تعدو
فوقها فتيان صدق كلهم فى الروع أسد
وهو كالكوكب فيها يابنات العم يبدو
يابنات العم هيا نتلقاهم ونحدو
ليلى : خيلنا اسلمى فاتك الردى
ثم اقدمى وامحقى العدا
خيل تغلب أقبلت تجول
فوق سبسب تحمل الفحول
ويل طيء ذاقت الهوان
بيد امرىء صادق الطعان
البراق يدنو منها وهى تقول :
يا ابن عم لا بعدك الظفر
نجمك اعتلى خصمك اندحر
براق: ياليل ! قومك عنك قد نكلوا ياخجلتى يابئس مافعلوا
أفأسلموك وأمعنوا هربا وتخطفتهم دونك السبل ؟
أم كانت الجلى فما ثبتوا وعن الحريم لهولها ذهلوا ؟
أهلوك لا ميل ولا كشف عند اللقاء، إذا هم نزلوا
إن يخذلوك فرب معترك عميت به النجدات والحيل
ثم يأخذهن وينصرف وتسدل الستار ؟

أزمة الزواج فى مصر

بقلم الدكتور عبد الرحمن شهبندر

اعتزم الأستاذ محمد فريد جنيدى وضع كتاب فى «أزمة الزواج الحاضرة فى مصر». ولما كان هذا الموضوع يمس حياتنا الاجتماعية فى صميمها فقد رأى المؤلف أن يفرد فى كتابه فصولاً خاصة يثبت فيها مايعن لقادة الفكر من آراء صائبة فى هذا الموضوع.

وقد وجه الدعوة فعلاً إلى كثير من النابهين والأعلام، فى خطاب جاء فيه ما يأتى:

(١) ماهى العوامل التى ترونها سبباً فى أزمة الزواج ؟

(٢) ماأهم النتائج التى نجمت عن هذه الأزمة ؟

(٣) إذا كنتم تعتقدون أن الزواج يجب أن يظل المثل الأعلى، للشباب فماهو العلاج الذى تقترحونه ؟

وفيما يلى ننشر رد الزعيم السورى المعروف الدكتور شهبندر، على أنه متمم لسلسلة الآراء التى كانت «المعرفة» قد نشرتها فى عددى يوليو وأغسطس سنة ١٩٣١ حول هذا الموضوع نفسه.

***

قد لا تكون فى الأرياف أزمة زواج اليوم، لأن الفلاحين على ما أرى لم يتغيروا كثيراً عن ذى قبل، أما أزمة الزواج فى المدن فعاملها عامل مزدوج: أخلاقى واقتصادى، ومنذ ما أخذت عقيدة «الرزق المقسوم» يضعف أثرها فى النفوس أخذ يحل محلها اهتمام شديد بالمستقبل وحساب دقيق فى الدخل والخرج، وتجلى هذا الشعور بأجلى مظاهره فى أوربا، ولا سيما فى فرنسا حيث لم يتناقص معدل الزواج فقط، بل أصبح الزوجان يضبطان المواليد، حتى صار العدد العديد من الأسر مؤلفاً من والد ووالدة وولد واحد فقط، مع أن مواعظ الدين الذى يدينون به تتلو عليهم ألا يهتموا بطعام غدهم بل يسيروا فى دنياهم كما تسير الطيور من غير اهتمام بالحب الذى تلتقطه.

وبديهى أن مثل هذا الحساب يحمل الشاب — والشابة أيضاً — على التفكير كثيراً قبل الإقدام على إضافة عبء آخر إلى العبء الشخصى الذى يحمله أو تحمله، وصار طلب الدفاتر والحجج والوثائق عن المال المنقول وغير المنقول شرطاً جوهرياً عند الخاطب والمخطوب

إجمالا ، فأين هذا من تلك الأيام التى كان آباؤنا يقولون لنا فيها « بالقسمة » ، وإن لكل مخلوق جديد رزقاً جديداً ؟

ولحظ المتتبعون فى سورية أزمة زواج شاملة فى غضون الحرب العالمية. لا لأن الشبان كانوا بعيدين فى صف الحرب فقط، بل لأن الطعام كان متعذراً، وكل واحد كان يطلب السلامة لنفسه كأنه فى يوم الحساب . ومع سهولة الحصول على الزوجة ـ لأن النساء كن فى أشد حاجة إلى حماية الرجل وعنايته ـ فإن الأرمل الذى كان على عهد زوجه المتوفاة متمتعاً بالحياة الزوجية فضل البقاء عزباً بعد وفاتها لينجو بنفسه . وأما عيشة (ديك) واحد على (دجاجات) كثيرة فلم يبق لها من الفول والذرة ـ على كثرتهما ـ ما يكفيها ويقوم بأودها .

ثم إن انتشار التهتك والبغاء السرى والعلنى واشتداد « الاسترخاء الشقى » بما يشبه « الحب الطليق » والإباحية النافذة ، كل ذلك مكن الشاب الرقيق الحال من التمتع بجزء كبير مما يتمتع به الزوج الشرعى دون أن يكون مسئولاً مثله ، ولا حاملاً أعباء الأسرة ، فلا عجب والحالة هذه أن يفضل العزوبة ، خصوصاً بعد ما ضعفت سلطة الوازع النفسانى فى هذه الشئون كثيراً ، وانتشرت الآراء المتطرفة التى لاهم لها إلا هدم البنيان الاجتماعى القديم .

على أن الإنصاف يقضى بأن نذكر أيضاً ـ من جملة العوامل فى أزمة الزواج ـ عامل الاختلاف فى الثقافة بين الرجل والمرأة ، ففى معظم مدن العالم العربى — ومصر والشام فى المقدمة — نجد طبقة من الرجال مسلحة بمعظم مايتسلح به الرجل المهذب فى أرقى بلاد الغرب ؛ فى حين نرى طبقة النساء إجمالا — ولا عبرة بالشذوذ — لاتزال على مستوى المرأة قبل النهضة الشرقية الحديثة . لاجرم أن الشاب فى مثل هذه الحال يتعذر عليه أن يجد القرينة التى توافقه ، أو النصف الآخر من جسده ـ كما يقول الانكليز ـ الذى يطابق النصف الذى عنده .

وقد نتج عن هذه الأزمة المتعددة الأسباب مايسمى فى كتب العلم باسم « الدائرة الخبيثة » ، يعنى أن امتناع الرجال عن الزواج الشرعى زاد فى « الطلب » على من تستبيح المعيشة الطليقة ، فكثر « عرضها » فى الأسواق كما هى الحال فى السلع والبضائع !

وهذه الكثرة سهلت « بدورها » على الرجال أن يفروا من تحمل عبء الزواج ، وهكذا دواليك ، فإذا استمرت هذه « الدائرة الخبيثة » فى عملها من غير تدخل إصلاحى اجتماعى حازم ، فالنتيجة الوصول بالمجتمع إلى الحالة الإباحية ، وهاقد بدرت بوادرها فى كثير من البلدان .

***

وكاتب هذه السطور ممن يؤمنون بالأسرة على علاتها ، ويرون أن إصلاحها هو السبيل الوحيدة لإصلاح الجمعية البشرية وإنقاذها من أكثر الشرور التى تعانيها ، ذلك لأن الأسرة لاتزال إلى يومنا هذا الوحدة القياسية التى يتألف منها المجتمع وتحت لوائها تنحو الفردية

والاشتراكية فى آن واحد، إذ يتلقى الابن عن أبويه فيها أول دروس الاستقلال الذاتى والخضوع المشترك .

والعلاج الناجع الذى تسألوننى عنه لهذه الأزمة هو السعى لإزالة جميع العوائق المصطنعة الموضوعة فى سبيل الزواج، وجعله ليس بعيداً فقط عن أن يكون عبئاً اقتصادياً ونكبة مالية، بل بيان الفوائد المادية التى يسبغها على الزوجين من بناء الأسرة المحكم ، وإظهار ما للتعاون الخالص بين المرأة والرجل من تخفيف الأثقال عن عاتقيهما كليهما ، على شرط تطبيق القاعدة الاجتماعية التى امتلأت بها كتب العلم وحلقات الدرس فى أمهات الجامعات خاصة ، وهى الإشراف على المواليد إشرافاً علمياً ، وتحديدها على مقتضى الحاجة حتى ننقذ المجتمع من شر تلك الأسر الكبيرة المعدمة، التى لها من الأولاد المتعددين ما لأسراب القطا من الأفراخ فى غير المراعى الطبيعية التى تقوم بأودها .

والقاعدة المقبولة فى نظر الاجتماعيين هى أن الأسر التى تقتصر على ولد واحد وتستطيع إعداده بالوسائل الصالحة للدخول فى معترك الحياة، خير للجمعية البشرية من تلك الأسرة التى تملأ الدار أولاداً وتعجز عن تثقيفهم وتربيتهم فيخرجون كلا على عاتق إخوانهم .

ثم لابد لنا معاشر الشرقيين من العناية التامة بتربية المرأة ، لأن الزمن الذى كان الزعماء وقادة الرأى يظنون فيه أن الشرق يستطيع أن ينهض بالرجل وحده قد دفناه فى جملة ما دفناه من الآراء الناقصة والأفكار المغلوطة ، ثم إنه مالم نثقف المرأة كما نثقف الرجل نكون قد حفرنا بأيدينا الهوة السحيقة التى تفرق بينهما، فالتجانس والحالة، هذه هو من الأدوية الناجعة فى بعض الحالات .

وأخيراً يتعين على كل من تصدى للتعليم فى المدارس والإرشاد فى المعابد أن يستعين بالطرق الاجتماعية النفسانية الحديثة لينقش فى ذهن النشء عقيدة ثابتة لا تزعزعها العواصف الطائشة، فحواها أن الزواج المبنى على الحب الصحيح المتبادل، هو السبيل الوحيدة للهناء الاجتماعى؟

عبد الرحمن شهبندر

الراعى والعمياء

اقرأ فى العدد القادم من «المعرفة» الجزء الأخير من رواية الراعى والعمياء للأستاذ الهراوى

ابن سينا وحياته الاولى

بقلم الأستاذ محمد ثابت الفندى (ماجستير فى الفلسفة)

التراجم الأولى لحياته

لا يكاد يخلو مؤلف حديث يتعرض لذكر الإسلام ومدنيته الفكرية من الإشارة إلى ابن سينا، مع ذكر ترجمة له تقصر أو تطول بقدر ما يتسع له المؤلف. فقد ترجم له فى أوربا فى العصر الحديث: تنمان، ومهرن، وليبرت، وهرشبرج، ودى بور، وهورتن، وبروكلمان، ومكدونالد، ونيكولسن، وبراون، ولوبون، ومونك، وهويار، ولوكلرك، ودى كوننج، وجوتيه، وكارادى فو، وما سينيون، وغير هؤلاء من المستشرقين. وترجم له من الشرقيين بالتركية كريم أفندى [1]. وبالعربية: جورجى زيدان، وخير الدين الزركلى، وفريد وجدى، ولطفى جمعة، وغيرهم.

وكل هذه التراجم المختلفة إنما ترجع فى الحقيقة إلى ترجمتين أو روايتين قديمتين مختلفتى الأصل، تتمم إحداهما الأخرى وتكملها. وأهم هاتين الروايتين وأوفاهما ليست على حال واحدة فى المراجع المختلفة التى وردت فيها: فتارة نجدها موجزة مختصرة، وتارة نجدها ضافية مطولة. وأحياناً تعرض كما أملاها الفيلسوف على تلميذه الجوزجانى، ومعها ما أضافه هذا التلميذ، وأحياناً يتصرف فيها الكاتب فيعرضها من قبله بحيث لا نشعر ان ابن سينا قد أملى منها جزءها الأهم.

والواقع أن هذه الروايه ترجع إلى عصر الفيلسوف نفسه، فهى تنبئنا أن ابن سينا قد أملى قسمها الأول على تلميذه الجوزجانى عند مالقيه «بجرجان»، وكان ذلك حول عام ٤٠٣ هـ أى عند مابلغ الفيلسوف ثلاثة وثلاثين ربيعاً من حياته، وكتب قسمها الآخر تلميذه المذكور، وذلك بعد وفاة الفيلسوف عام ٤٢٨ هـ وقبل ٤٥٠ هـ الذى توفى فيها ذلك التلميذ.

وإذن فهذه الترجمة أصدق الترجمتين اللتين وجدتا للفيلسوف، والأصل الأول الذى تفرعت عنه التراجم اللاحقة، قديمها وحديثها، أوربيها وشرقيها.

---

(١) ظهرت هذه الترجمة بجريدة «تصويرى أفكار». راجع «المجلة الأسيوية» السلسلة السادسة، ج ٢ ص ٢٢٩

وأقدم ماعثرنا عليه من المراجع التى وردت فيها هذه الرواية — وسنسميها منذ الآن الرواية العربية تمييزاً لها من الرواية الأخرى التى كتبت بالفارسية — هو كتاب «تاريخ حكماء الإسلام» لمصنفه الشيخ الإمام ظهير الدين أبى الحسن بن الإمام أبى القاسم البيهقى [1]، ذكر مؤلفه فى مقدمته أنه نسج فيه على منوال كتاب «صوان الحكمة» لمصنفه أبى على سليمان محمد بن طاهر بن بهرام السجزى الذى يرد اسمه فى موضع آخر من كتاب البيهقى المذكور على هذا النحو : أبو سليمان بن محمد بن طاهر بن بهرام السجستانى . ولم يتعرض البيهقى فى كتابه هذا لحكماء اليونان ولكنه قصره على حكماء الاسلام وحدهم كما يؤخذ من عنوان الكتاب وموضوعه ، ثم إنه لم يورد فيه تراجم جميع حكماء الاسلام الذين وردوا فى غيره من كتب تواريخ الحكماء وسيرهم ، ولكنه اقتصر على مايقرب من الخمسين ترجمة ، منها ما لايزيد على سطرين ، ولعل ذلك يرجع إلى أنه جعل كتابه متمماً لكتاب «صوان الحكمة» . قال البيهقى فى مقدمة تاريخه : « وكل من ذكره وأثبت اسمه مصنف كتاب «صوان الحكمة» فأنا ماسقيت شماريخه وما ذكرت فوائده وتواريخه ، فإنه أنصف فى ذكرهم وبالغ فى حقهم ونشر أردية جلهم ودقهم» [2]، والترجمة التى أوردها البيهقى فى كتابه لابن سينا هى أكبر التراجم التى ذكرت للفيلسوف وأغزرها مادة وأقدمها أيضاً ، لأن البيهقى - كما يؤخذ من الحوادث التى شهدها وذكرها فى مؤلفه — عاش فى مستهل القرن السادس الهجرى ، إذ هو يذكر مثلاً أنه رأى الفيلسوف محمود الخوارزمى بمرو فى شهور سنة تسع عشر وخمسمائة . [3]

وفى مفتتح القرن السابع الهجرى كتب جمال الدين أبو الحسن - الملقب بالقاضى الأكرم المشهور بجمال الدين بن القفطى أو القفطى فقط - كتاباً وسمه باسم «إخبار العلماء بأخبار الحكماء» اختصره فيما بعد محمد بن على بن محمد الخطيبى الزوزنى (نسبة إلى زوزن وهى مدينة بإقليم قوهستان) فى كتاب أسماه على مايظن «المنتخبات الملتقطات من كتاب تاريخ الحكماء» ، وقصره على أربعمائة وأربع عشرة ترجمة مرتبة على حروف الهجاء . والكتاب الذى نتداوله الآن بين أيدينا هو هذا المختصر ، ويظهر أن اختصار الزوزنى قد لحق أيضاً ترجمة ابن سينا ، لأننا لانجد فيه كثيراً مما نجده فى كتاب البيهقى ، مع أن الأصل الذى استقيا منه ترجمة ابن سينا واحد بعينه كما تدل عليه ألفاظ الكتابين ، وهو تلك الترجمة التى أملى جزءها الأول ابن سينا وأتم جزءها الأخير تلميذه الجوزجانى .

---

(١) نقل هذا الكتاب بالفوتوغرافيا لدار الكتب المصرية عن مخطوط بمكتبة برلين فالمستشرق «ماكس مايرهوف» ورقمه هنا ٣٦٦٦ تاريخ .

(٢) البيهقى «تاريخ حكماء الاسلام» مخطوط رقم ٣٦٦٦ ص ٢ و ٣

(٣) » » » » » » ص ١٠١

وفى نفس عصر القفطى أو بعده بقليل جداً كتب موفق الدين أبو العباس أحمد – المعروف بابن أبى أصيبعة المتوفى عام ٦٦٨ هـ ١٢٧٠م – كتابه المشهور «عيون الأنباء فى طبقات الأطباء»، ولما كان معظم أطباء العرب هم حكماؤهم ، فإن هذا الكتاب يذكر كثيراً من تراجم الحكماء، وهو يشمل نيفاً وثلثمائة وثمانين ترجمة مستفيضة راعى المؤلف فى ترتيبها طبقات الأمم ، إذ أورد لكل أمة أطباءها . وترجمة ابن أبى أصيبعة التى يذكرها للفيلسوف تفيدنا الشىء الكثير عن شعره، ويظهر أنه نخب الديوان الذى يعزى إلى ابن سينا المعروف باسم «ذات الطراز»[1]، وأثبت منتخباته فى آخر الترجمة ، كذلك يفيدنا شيئاً كثيراً عن مصنفات فيلسوفنا التى استطاع أن يقف على أمرها أو أن يطلع عليها ؛ ولذلك كان لكتاب ابن أبى أصيبعة قيمة خاصة فى ترجمة ابن سينا من جهة آثاره العلمية .

وظهرت بعد ذلك كتب مهمة فى التاريخ والسير، منها كتاب «وفيات الأعيان» لابن خلكان، ومنها « روضة الأفراح ونزهة الأرواح » لشمس الدين محمد بن محمد الشهرزورى؛ ولهذين الكتابين قيمة فى فن التراجم والسير، إلا أنهما لا يفيدان شيئاً جديداً عن حياة ابن سينا على وجه الخصوص، فإن ابن خلكان يورد ما أورده القفطى بحذافيره اللهم إلا نبذة صغيرة عن اختلاف الآراء فى وفاة ابن سينا ، والشهرزورى أورد ما أورده البيهقى من غير زيادة أو نقصان .

وفى القرن الحادى عشر الهجرى نعثر على كتاب جليل لعالم ومحقق تركى شهرته «حاجى خليفة» (المتوفى ١٠٦٨ هـ – ١٦٥٨ م) ، وهو كتاب « كشف الظنون فى أسامى الكتب والفنون » طبع طبعة أوربية مع ترجمة لاتينية وقعت فى سبع مجلدات ، وهو يشتمل على أحد وخمسمائة وأربعة عشر ألف اسم لتصانيف مختلفة فى كل فرع من فروع العلم التى عرفها المسلمون وكتبوا فيها؛ ولهذا المؤلف قيمة خاصة فى موضوعنا هذا، لأنه ذكر من كتب ابن سينا مالم تذكره رواية من الروايات السابقة قط، فهو قيم خطير عندنا بقدر ما لمعرفة كتب الفيلسوف من قيمة وخطر.

تلك هى المصادر التى وردت فيها الترجمة الكبرى أو الرواية العربية لحياة ابن سينا، أما الرواية الأخرى التى سميناها فارسية فى صدر هذا الفصل ، فإنها غير معروفة فى اللغة العربية، وهى عبارة عن مجموعة من الأقاصيص والحوادث التى نسجت حول حياة ابن سينا أو التى وقعت له بالفعل ؛ وردت فى كتاب « شهار مقالة» أى المقالات الأربع، الذى ألفه بالفارسية أحمد بن عمر بن على السمرقندى الملقب (بنظامى عروضى)، وهو شخص غير معروف ولا مذكور فى كتب السير والتواريخ ، إلا أن الحوادث التى سردها عن حياته وفى الكتاب المشار إليه

---

(١) حاجى خليفة « كشف الظنون فى أسامى الكتب والفنون » جزء ٢ ص ١٥٦

تدلنا على أنه عاش فى النصف الأول من القرن السادس للهجرة ؛ لأنها وقعت بين سنتى ٥٠٤هـ (١١١٠م) و ٥٤٧هـ(١١٥٢م)،وبذلك يكون معاصراً للبيهقى،ومع ذلك فإن الفرق كبير بين روايته ورواية البيهقى ؛ ذلك لأن رواية البيهقى كما أوضحنا إنما يرجع تدوينها إلى عصر الفيلسوف نفسه،فى حين أن رواية السمر قندى إنما كتبت بعد وفاة ابن سينا بما لا يقل عن قرن.

ولقد نشر كتاب « المقالات الأربع » مترجماً باللغة الإنجليزية المستشرق (ادوارد براون) فى المجلة الأسيوية فى أكتوبر سنة ١٨٩٩،ثم أعاد نشره مستقلا فيما بعد مع تعليقات تاريخية باسم Chahar Maquala ؛ والمواضع التى تعرض فيها هذا المؤلف لذكر ابن سينا هى القصص التى أرقامها ١٤ ، ١٥ ، ٢١ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٣٨ .

والتراجم التى تكتب عن فيلسوفنا فى الوقت الحاضر إنما تستمد مادتها الأساسية من هاتين الروايتين ،ويكمل هاتين الروايتين ما يذكر عرضاً عن ابن سينا فى كتب التاريخ العامة ، ككتاب « الكامل » لابن الأثير أو فى كتب التراجم الأخرى ككتاب « تذكرة الأولياء » الذى كتبه بالفارسية فريد الدين بن العطار. كذلك تكملها دراسة كتبه ورسائله التى كتبها، إذ هى توقفنا غالباً على الأزمان والأمكنة التى صنفها فيها، وتعرفنا بالمبرزين من رجال عصره الذين اتصلوا به فأهداهم مصنفاته أو تبادل وإياهم الرسائل؛ تلك هى المصادر الأولى التى تستقى منها ترجمة ابن سينا.

والآن وقد أوردنا تلك المصادر، فإنه يتعين علينا أن نستوحيها جميعها فى معرفة من هو ابن سينا الطفل الرضيع والناشىء الذكى،ومن هو ابن سينا الطبيب الشاب ، والفيلسوف الوقور الذى يقربه الملوك إليهم وينحنى أمامه العلماء اعترافاً بتفوقه، ومن هو ابن سينا الشخصية الفذة العجيبة التى كلما أمعنا فيها التأمل والنظر تبدت عظيمة جليلة كتلك الشخصيات التى يخلقها خيال القصاص حتى إن بعض الذين درسوها عدوها شخصية أسطورية إسلامية (١)

ميلاده وبدء ظهوره

عند ما آذن القرن الرابع الهجرى بالأفول، كانت بلاد فارس قد نفضت عنها سيادة الخلافة البغدادية وانقسمت إلى إمارات قوية مستقلة تمام الاستقلال :

ففى أقصى الشمال كانت إمارة خوارزم التى تعرف الآن بإقليم « خيوا Khiva » وتحكمها أسرة لم تعمر طويلاً ، كانت متخذة « كركانج » عاصمة لها،ثم إمارة « طبرستان » وهى الآن جيلان وما زندران (جنوب بحر قزوين) ، وكان يحكمها آنئذ آخر أمراء الدولة الزيارية شمس المعالى قابوس بن وشمكير ، وكانت جرجان عاصمة ملكه. وفى الغرب والجنوب كانت توجد الأسرة

(١) راجع فى مجلة تاريخ الاديان سنة ١٩٠٢ مقال الاستاذ Basset عن ابن سينا كشخصية أسطورية

البويهية التى لها فضل عظيم على العلوم والآداب فى الإسلام ،حكم فرع منها بالرى وآخر بهمذان؛ وكانت تقوم فى أصفهان دولة قوية قضى فيلسوفنا أخريات حياته فى كنف أميرها علاء الدولة أبى جعفر بن كاكويه. وفى أقصى الشرق كانت توجد إمارة أفغانستان وكان يحكمها حينئذ السلطان محمود بن سبكتكين الغزنوى ، نسبة إلى غزنة عاصمة ملكه، ثم إمارة خراسان وكانت تحكمها الأسرة السامانية متخذة بخارى عاصمة لها .

فى إمارة خراسان هذه وإبان حكم السلطان نوح بن منصور السامانى ، انتقل رجل من أهل بلخ إلى بخارى العاصمة فى وقت غير معروف . ويظهر أنه كان على شىء من العلم والجاه يؤهله لخدمة السلطان،ذلك لأنه تولى العمل لنوح بن منصور السامانى بقرية من أمهات قرى العاصمة يقال لها (خرميثن) ، وكان بقربها قرية يقال لها (أفشنة) تزوج منها هذا العامل بامرأة اسمها ـ كما يذكره البيهقى وابن خلكان والشهرزورى ـ (ستارة) .وفى أفشنة هذه رزق الزوجان سنة ٣٧٠ هـ ٩٨٠ م[١] بأول ابنيهما وهو فيلسوفنا الذى نتحدث عنه فى هذا البحث .

وبعد خمس سنوات أى عام ٣٧٥ هـ الموافق ٩٨٥ م، رزقا بثانيهما، وتختلف الروايات فى اسم هذا الأخير، فإن ابن أبى أصيبعة عند تعرضه لكتاب «الهداية» الذى صنفه فيلسوفنا بهمذان ـ على مايظهر ـ يذهب إلى أن اسمه على ، حيث قال : « الهداية فى الحكمة صنفه وهو محبوس بقلعة فردجان لأخيه على » [٢] ، ويذهب ظهير الدين البيهقى إلى أن اسمه محمود فيقول : « ثم ولد أخوه محمود بعده بخمس سنين » [٣]

ونرجح هذا القول الأخير لأنه يبعد أن يكون اسم أحد الشقيقين (على) ، وكنية الآخر (أبو على) ، إذاً ففيلسوفنا ـ على ما اتفقت عليه الروايات كلها ـ هو أبو على الحسين بن عبد الله بن الحسن بن على بن سيناء، قال ابن خلكان: « وسينا بكسر السين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح النون وبعدها ألف ممدودة » [٤]

ولقد اشتهر (أبو على) فيما بعد باسم الشيخ « الرئيس » ، وهذه الشهرة ترجع إلى عصره نفسه، لأنه هكذا نجد تلميذه الجوزجانى يلقبه فيقول « الشيخ الرئيس »، ويرى الجميع أنه لقب بذلك اللقب لعلو كعبه فى العلوم كلها وخاصة الطب[٥] ،وليس هذا الرأى بمستنكر، لولا أن غير ابن سينا ممن

(١) فى بعض الروايات كالرواية المثبتة بأول كتاب منطق المشرقين المطبوع بمصر أنه ولد عام ٣٧٠ هـ وهذا غير صحيح .

(٢) ابن أبى اصيبعة طبقات الاطباء . جـ ٢ ص ١٩

(٣) البيهقى ،تاريخ حكماء الاسلام ص ٢٧

(٤) ابن خلكان ، وفيات الاعيان جزء ١ ص ١٩٣

(٥) جوستاف لوبون ص ٥٢٨ Civilis des Arabes . Lebon

عاصره قد لقب بهذا اللقب أيضاً من غير أن يكون له فى العلوم والطب شهرة. بل من غير أن تكون له فيها خبرة ، وذلك مثل أبى الحسن سهل بن محمد السهلى ، وهو ممن اتصل بهم ابن سينا وقدم إليهم بعض آثاره العلمية المهمة، فقد كان يلقب « بالرئيس »، ولذلك فإنا نرجح أن الرئيس لقب من الألقاب السياسية كان يلقب به الوزراء تمييزاً لهم وتعظيماً، ولذلك فقد لقب به السهلى كما لقب به ابن سينا لأنهما كانا وزيرين ، ويظهر أيضاً أن فيلسوفنا كان يلقب (بشرف الملك)[١] كما كان يلقب وزراء ذلك العصر (بتاج الملك) وغير ذلك من ألقاب التشريف والتعظيم .

فالأسرة التى نبت فيها فيلسوفنا كانت أسرة صغيرة محدودة، ونحن لا نكاد نعرف شيئاً ذا بال عن أعضائها الثلاثة : الأبوين والأخ محمود ؛ فكل ما نعرفه عن محمود أنه سيلزم أخاه الفيلسوف كتلميذ له طوال حياته ، وسيسجن معه فى قلعة فردجان حيث يصنف له الفيلسوف رسالة من رسائله الكثيرة التى كتبها بتلك القلعة .

أما الأب فيظهر أنه كان ذا نزعة فلسفية وذوق سكى، فقد كان يطالع « رسائل إخوان الصفا » [٢]، وكان يستحث ابنيه على قراءتها وكان يستضيف بداره الحكماء، فإن فيلسوفنا يروى لنا أن أباه كان يرتبط بداره الفيلسوف أبا عبد الله الناتلى ؛ وذلك ببخارى عندما انتقل إليها بعائلته ليثقف ابنيه ويعلمهما ، ويظهر أيضاً أنه لبى دعوة فاطميى مصر التى تفشت فى طول بلاد الاسلام وعرضها آنئذ، واتخذ الاسماعيلية له مذهباً يدعو إليه ابنيه .

قال فيلسوفنا فى ترجمته : « وكان أبى ممن أجاب داعى المصريين ويعد من الاسماعيلية ، وقد سمع منهم ذكر النفس والعقل على الوجه الذى يقولونه ويعرفونه هم ، وكذلك أخى ، وكانا ربما تذاكرا بينهما وأنا أسمعهما وأدرك مايقولانه ولا تقبله نفسى ، وابتدآ يدعوانى أيضاً إليه ويجريان على لسانهما ذكر الفلسفة والهندسة وحساب الهند » [٣] .

ثم لا نعرف شيئاً عن هذا الأب الذى حبب الفلسفة والهندسة وحساب الهند إلى ابنه الناشىء ، كما لا نعلم شيئاً البتة عن أمه (ستارة) .

[للبحث بقية] محمد ثابت الفندى

---

(١) البيهقى : تاريخ حكماء الاسلام ص ٢٥

(٢) البيهقى : تاريخ حكماء الاسلام ص ٢٧

(٣) القفطى : تاريخ الحكماء ص ٤١٣ ، وتذكر أيضاً فى كل الروايات

احمد شوقي *

١٨٦٨ - ١٩٣٢

دراسة تحليلية لحياته وشعره

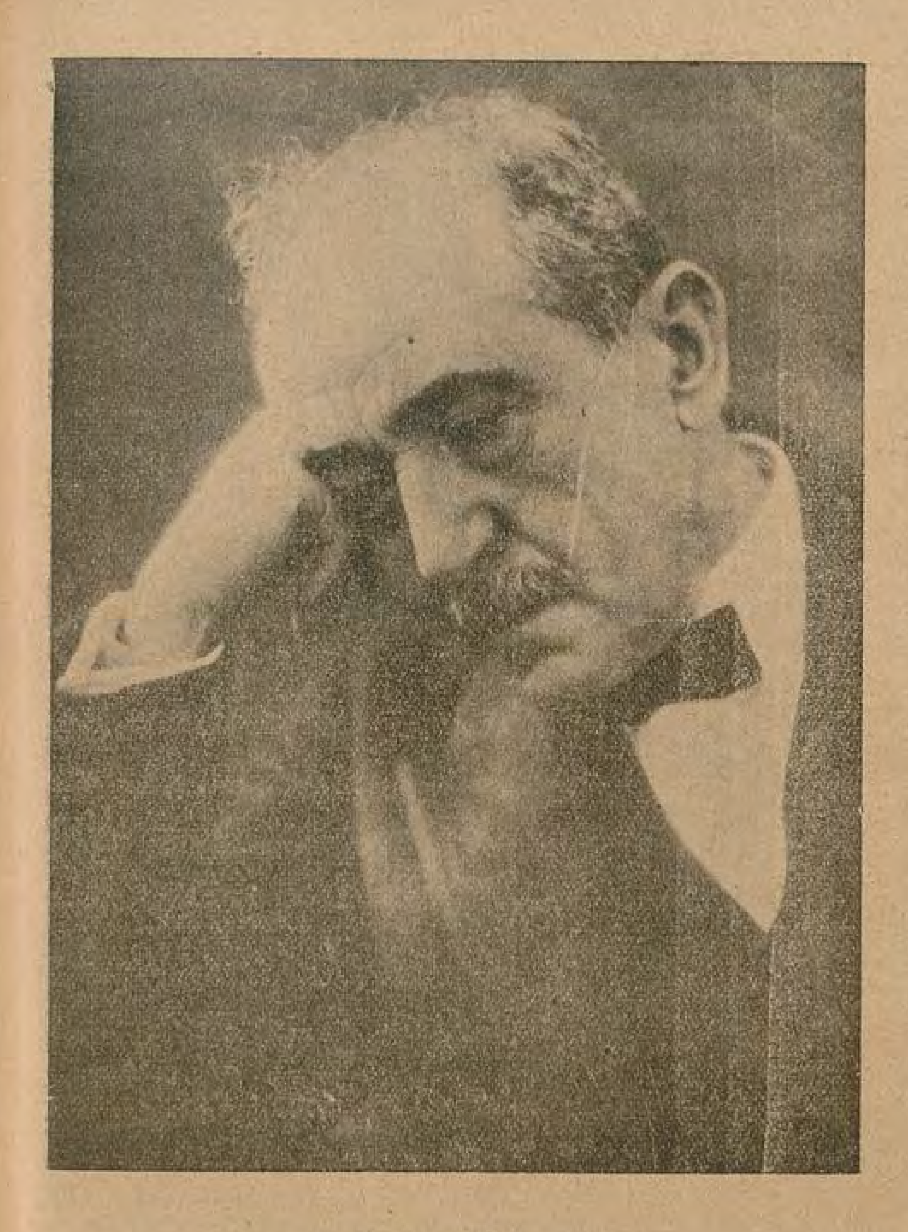
بقلم الأستاذ محمد خورشيد
أستاذ الأدب العربي بثانوية نابلس [فلسطين]

مقدمة

ليس فى وسعنا أن ندرس «شوقى» الآن دراسة علمية وافية، لأن مؤلفاته جميعها لم تطبع بعد؛ ولكن الكثير المطبوع منها ، وما نشرته الصحف والمجلات من منظومه الذى لم يظهر فى ديوانه بعد ، يساعدنا على إصدار حكم قريب إلى الحقيقة . ولابد لنا من الاعتراف بأن دراسة شوقى موضوع لايزال بكرا ، وأن كثيراً من الذين كتبوا عنه من معاصريه قد أصغوا إلى وحى العاطفة لا إلى وحى العقل ، وهم بين مغرق فى المدح ومسرف فى الذم . أما الذين كتبوا عنه خدمة للأدب والتاريخ ، فقليلون لا يمكن أن يرجع إلى آرائهم كمرجع علمى قيم ، لأن جوانب أبحاثهم غير مستفيضة. إذ ليس فى وسعهم أن يشبعوا شعر شوقى درساً وتمحيصاً فى مدة وجيزة ، ولعل الأحكام التى سيصدرها على شوقى أدباء الأعوام القادمة ، ستكون أقرب إلى الحقيقة من أحكامنا ، لأنهم سيرجعون إلى ما كتبناه عن شاعرنا ومهدنا لهم به سبل البحث والتنقيب ، فيأخذون بما أصبنا ويجتنبون ماضللنا فيه سواء السبيل . وكلما مرت الشهور والأعوام على وفاة النابهين أمثال شوقى ، ارتفع قدرهم وظهرت للباحثين المنصفين نواح جديدة من عبقريتهم ونبوغهم ؛ ولنا فى المتنبى خير شاهد على ما نقول ، إذ لم يسلم أبو الطيب من خصوم ألداء ، حياً وميتاً ، ولم يعترف له بالامتياز على من سبقه وعاصره من الشعراء ، إلا بعد إذ قضى معاصروه ومنافسوه ، ووكل أمر الكتابة عنه إلى أناس يكتبون بعقلهم لا بعاطفتهم : أناس يكتبون للتاريخ ، لا للتزلف إلى زيد أو عمرو ، اكتساباً لرضا أو توصلا إلى مغنم .

---

* المقال الافتتاحى فى كتاب « أمير الشعراء شوقى بين العاطفة والتاريخ » الذى سيظهر قريبا .



المرحوم أحمد شوقي بك

ومما يؤسف له أن كثيراً من أدبائنا لا يفهمون النقد الأدبى إلا على أنه التنقيب عن المثالب والعيوب، ويغالى بعضهم فيستوحى المساوىء الأدبية من خياله ويختلقها اختلاقاً؛ وإذ يودعها صفحات الطرس لا يرى مانعاً من حشوها بالسباب والشتائم، مع أن النقد الأدبى يتطلب ذكر الحسنات والسيئات على السواء بعبارات أدبية ولهجة لطيفة. والنقد متى شوهته العبارات البذيئة ضاعت قيمته وراحت الفائدة المرجوة منه.

النهضة الأدبية

النهضة الأدبية فى مصر مدينة للحملة الفرنسية التى جاءت إلى مصر عام ١٧٩٨، فمنذ ذلك الحين بدأ الشرق يتصل بالغرب وأدبه وعلومه، وشرعت مصر فى إرسال البعثات العلمية إلى أوربا، وبدأت أوربا ترسل وفوداً من علمائها ومستشرقيها إلى مصر. فكان هذا دافعاً الأزهريين أنصار المدرسة القديمة على إحياء الأدب القديم، فطبعوا من كتبه ما تيسر لهم، فالتقت الثقافتان العربية والغربية فى عقول النشء المصرى؛ واهتمت المدرسة الحديثة بإيجاد أنصار لها، كما فعلت المدرسة القديمة؛ وكان التنافس شديداً، ولكنه جعل كلا من المدرستين تقترب من الكمال الذى تنشده. وشجع الخديو اسماعيل تلك النهضة تشجيعاً عظيما من الوجهتين الأدبية والعلمية؛ وشرع المصريون – بعد إذ دبت فيهم تلك الروح الأدبية – ينشدون المثل الأعلى فى الأدب، ومازالت المدرستان سائرتين إلى الأمام حتى كتب السبق أخيراً للمدرسة الحديثة وفق ناموس النشوء والتدرج.

ولد «شوقى» أيام نشوب تلك الحرب الأدبية بين القديم والحديث بباب اسماعيل؛ فكان من الطبيعى أن تتأثر نفسه الحساسة – وهو الشاعر المطبوع – بكل ما حوله من العوامل السياسية والاجتماعية والأدبية. أما تاريخ حياة شوقى، ففى وسعك أن تقرأه فى مقدمة الشوقيات طبعة سنة ١٨٩٨، ومنه تعرف الفضل العظيم الذى أداه الخديويان توفيق وعباس بتشجيعهما «شوقى» وحثهما إياه على الانصراف للنظم والتجويد فيه، وتعرف أيضاً أن شاعرنا استفاد كثيراً من رحلاته إلى الغرب واطلاعه على دواوين شعرائه وكتب أدبائه، وتعرف كذلك أنه لم يفته الاطلاع على الأدبين: الفارسى والتركى؛ وفى كل هذا ما فيه من شحذ للنبوغ والعبقرية.

نبوغ شوقى

إن اجتماع العناصر العربية والتركية واليونانية والشركسية فى دم شوقى سبب من أهم أسباب نبوغه؛ لأن التزاوج بين أفراد يختلفون جنسية ودماً، ينتج نسلا سليم الجسم والعقل.

وحصر التزاوج فى عائلة مابين ذكورها هى وأناثها هى فقط يولد نسلا ضعيفاً فى جسمه وعقله، ذلك بأنه إذا وجدت عاهة وراثية فى تلك العائلة ، تتضخم وتزداد تمكناً وظهوراً ، كلما ابتعد الأحفاد عن الجد الأول ، الذى لاتكاد تظهر فيه .

أخلاق شوقى

اشتهر شوقى بعفة اللسان ، فهو لم يهج أحداً ، ولم يسمع عنه أنه نظم فى العبث والمجون ، رغم ظروف كثيرة أحاطت به وكان كل مافيها يتطلب العبث والمجون . هذا مايرويه عنه الذين اتصلوا به ، ولعله نظم فى هذين النوعين قصائد لم يطلع أصحابه عليها ، وربما أطلعهم عليها ولم يشاءوا نشرها وفاءً له وإبقاءً على سمعته، كما هى الحال مع معظم الشعراء . وإذا صح أن شوقى نزه شعره عن العبث والمجون ، فالسبب الوحيد الذى أعلل به هذه الظاهرة، هو تغلغل العاطفة الدينية فى نفسه .

وعرف عنه التواضع والخجل ؛ فكان إذا نظم قصيدة لتلقى فى حفلة عامة أعطاها أحد أصدقائه ليتلوها عنه ، وقلما حضر سماعها تواضعاً منه ، وهرباً من الخجل الذى يستحوز عليه حين يظهر له الحاضرون إعجابهم بما نظم من الدرر .

ومن ميزات شوقى إحجامه عن مجاراة خصومه الذين كانوا يكيلون له النقد ألواناً ، حتى لقد لامه على ذلك بعض الأدباء ، وأرى أن فى إهماله أمرهم أنجع وسيلة للرد عليهم .

ولا أقصد من هذا أن ليس هنالك نقاد مخلصون ، أفادوا شوقى والأدب العربى معاً بما أملته عليهم النزاهة والصراحة . فشاعرنا إنسان على كل حال ، والإنسان غير معصوم من الخطأ .

شوقى والنقاد

ومن غريب التناقض فى النقد والتطرف فيه ما كتبه أحد المجددين فى مقال ينعى فيه على أبى سعيد محمد بن أحمد العبيدى ، مؤلف كتاب « الإبانة عن سرقات المتنبى » قوله : إن المتنبى أخذ بيته المشهور :

والظلم من شيم النفوس فإن تجد ذا عفة فلعلة لايظلم

من قول محمد بن البيدق الشيبانى :

الظلم طبعك والعفاف تكلف والطبع أقوى والتكلف أضعف

وهو مصيب فى استنكاره تحامل أبى سعيد هذا على المتنبى ، ولكن الغرابة أن الذى يستنكر تحامل أبى سعيد هو نفسه الذى يتحامل على شوقى ويقول إنه أخذ صدر بيته :

بسيفك يعلو الحق والحق أغلب وينصر دين الله أيان تضرب

من صدر بيت المتنبى :

أغالب فيك الشوق والشوق أغلب وأعجب من ذا الهجر والوصل أعجب

وأغرب من هذا، أنه ينسب إلى شوقى سرقة كلمة « أيان » الواردة فى عجز البيت السابق من كلمة مثلها وردت فى عجز بيت من أبيات المتنبى هو :

ويوم كليل العاشقين كمنته أراقب فيه الشمس أيان تغرب

فهل من شروط التجديد أن يتجنب الأديب استعمال كل كلمة ذكرها بعض من جاء قبله من الشعراء والكتاب ؟ وهل لدينا مقياس نقيس به أدب القدماء ، ومقياس آخر لأدب المحدثين ؟ أم ترى تأصلت فينا عادة تقديس القدماء وتنزيههم عن كل عيب ، بحيث يؤاخذ شوقى على أمر يجب ألا يؤاخذ عليه المتنبى ؛ لأنه المتنبى ولأنه قديم ، ولأن الأدباء اعتادوا الإعجاب بكل ماينسب إلى المتنبى ؟ هنالك أبيات كثيرة يكاد النقاد يقولون عنها إن شوقى سرق حرف العطف فيها من المتنبى ، كأن اللغة وقف على المتنبى دون سواه . ولا ينتظر أن يجعل الشاعر أبياته جميعها مبتكرة المعنى . ولا بد من توارد الخواطر بينه وبين الشعراء الذين تقدموه . وهذا - فى نظرى - لايعد سرقة إلا إذا أسرف الشاعر فى نظم أبيات تعمد أخذ معانيها من غيره . وذلك القول لايعنى أن شوقى لم يحاول أحياناً أخذ صياغة المتنبى لقوله فى مدح الخديو السابق :

يود من الأرواح ما لا توده ويفتك فيها مسرفا وهى جنده

متشبها بصياغة بيت المتنبى فى كافور :

أود من الأيام ما لا توده وأشكو إليها بيننا وهى جنده

ولكن هذا لايحط كثيراً من قدر الشاعر ، إذ ربما تكون كثرة مطالعة شوقى ديوان المتنبى ، هى التى جعلت الصياغة متشابهة فى أبيات الشاعرين . وإذا تعمد «أبو على» التشبه بصياغة أبيات قليلة من أبيات أبى الطيب ، فلكل صارم نبوة .

والأنانية صفة أخرى واضحة فى شعر شوقى أهابت به للفخر والإعجاب بنفسه ، حتى فى رثائه والدته ذلك الرثاء الذى نظمه بعد ساعة - كما قيل - من وصول نعى والدته إليه ، وهو فى إسبانيا يعلل نفسه بالعودة إلى وطنه ليرى أمه المحبوبة ، ففى ظروف نفسية كهذه ينسى الفرد كل شىء إلا ألمه ومصيبته بفقد أعز الناس لديه ؛ أما شوقى « الأنانى » فإنه قد ذكر وقت ألمه أشياء أخرى ، ولم يختتم قصيدته فى رثاء والدته إلا بهذه الأبيات :

أتيتِ به لم ينظم الشعر مثله وجئتِ لأخلاق الكرام به نظما

ولو نهضت عنه السماء ومخضت به الأرض كان المزن والتبر والكرما

وانظر الأنانية واضحة فى ذلك البيت الذى قاله فى نجله البكر وفلذة كبده «على» ، حين كان يافعاً :

وسوف يعلم بيتى أنى أنا النسل وحدى

ولست أعرف شاعراً بلغت به الأنانية والإعجاب بالنفس ذلك المبلغ الذى وصلت إليه أنانية شوقى مع نجله المحبوب ، وأنا ممن لا يرون عاراً فى اتباع أقوال «ماكس نوردو» الكاتب النمسوى الاجتماعى الشهير القائل « لا تذكر نفسك إلا بخير ولا تقف فى هذا عند حد ، بل عظم نفسك وترنم بالثناء عليها، واسرد مناقبها ومآثرها، واستعمل لذلك جهدك من الفصاحة الخلابة، وأضف إلى نفسك أفخم الصفات »، و« اعلم أن سواد الناس لا طاقة لهم بالتمييز والحكم ، فاحكم لهم أنت »، و « ليكن ظهورك بينهم بجلبة يسمعها الأصم ويبصرها الأعمى » ؛ ولكن شوقى تمادى فى اتباع هذا الرأى وأسرف فى ذلك أيما إسراف .

وله فى الفخر أبيات جميلة نورد بعضاً منها ، قال :

رواة قصائدى فاعجب لشعر بكل محلة يرويه خلق

وقال :

ياواحد الإسلام غير مدافع أنا فى زمانك واحد الأشعار

وقال مخاطباً السلطان عبد الحميد عام ١٩٠٥ :

ومازلت حسان المقام ولم تزل تلينى وتسرى منك لى النفحات

ومن كان مثلى أحمد الوقت لم تجز عليه ولو من مثلك الصدقات

ولى درر الأخلاق فى المدح والهوى وللمتنبى درة وحصاة

والبيت الأخير يدلنا على أن شوقى قد وضع نصب عينه قبل بلوغه الأربعين من العمر ، إزاحة المتنبى عن عرش إمارة الشعر ليجلس مكانه . وسينبئنا البحث العلمى الذى سيقوم به أدباء الأعوام المقبلة ، ما إذا كان شوقى قد حقق إربته، أم قضى دون تحقيق أمنيته .

ومما عرف عن شوقى ، أنه كان باراً بوالديه وأولاده وذويه ومن اتصلوا به . وكان كريماً يواسى الفقير والمعوز بما تجود به يمينه . وكان يعطف على المرضى ويرحم الضعفاء ، ورأى من الناس غشهم وخداعهم ، فآثر اجتنابهم وقلة الاختلاط بهم .

مؤلفاته

(ا) فى عهد الشباب

الروايات : لادياس ، ورقة الآس ، على بك الكبير ، مذكرات بنتاءور ، الشوقيات : الجزء الأول

(ب) بعد عودته من المنفى عام ١٩١٩

الشوقيات ، الجزءان الأول والثانى ، رواية مصرع كيلوبترا ، مجنون ليلى ، قمبيز

وعلى بك أودولة المماليك ، عنترة ، وكل هذه الروايات شعرية ، ثم أميرة الأندلس وكتاب أسواق الذهب ، من النثر .

(ح) تحت الطبع أو طبع أخيراً

كتاب عظماء الأسلام ، الشوقيات : الجزءان الثالث والرابع ، وروايتا السيدة هدى والبخيلة ، ثم كشكول جامع لقصائد لم تنشر . وقصائد سهلة للأطفال وأغان الخ . وربما وقع فى ثلاثة مجلدات .

فيكون عدد مؤلفاته جميعها اثنين وعشرين . والسبب فى كثرة إنتاجه هذا ، انصرافه إلى الأدب العربى مدة أنافت على أربعين عاماً ، وإن كان جل هذا الإنتاج فى الخمس الأخير من حياته ، بعد رجوعه من منفاه فى الأندلس . وفى هذا ما فيه من جهد ونشاط وعبقرية .

نثره

إن نثر شوقى قواف شاردة ، إذا لم شعثها كانت من أبلغ الشعر . ولا فرق فى ذلك بين نثره المسجوع الذى اقتفى به أثر القدماء ، فى كتابه « أسواق الذهب » ، ونثره الجميل فى روايته « أميرة الأندلس » . وإليك نموذجاً من نثره المسجوع ، قال فى البحر الأبيض :

« البحر الأبيض المتوسط سيد الماء ، وملك الدأماء ، مهد العلية القدماء ، درجت الحكمة من لججه ، وخرجت العبقرية من ثبجه ، ونشأت بنات الشعر فى جزره وخلجه ، بدت الحقيقة من يبسه ومائه ، وجرب ناهض الخيال جناحيه بين أرضه وسمائه » .

وإليك نموذجاً من نثره المرسل ، قال بلسان المعتمد بن عباد ملك إشبيليه :

« انقلوا أيها النبلاء إلى الملك ألفونس ما سمعتم ، وصفوا له ما رأيتم ، وتحدثوا فى طول بلادكم وعرضها أن الأسد العربى لايشتم فى عرينه ، وأنه لو غلب على غابته ، حتى لم يبق له منها إلا قاب شبر من الأرض ، ما استطاعت قوى الإنس والجن أن تنفذ إلى كرامته من قاب هذا الشبر » .

وهو شاعر فى نثره مثل ما هو فى نظمه . أما كتاب « أسواق الذهب » ، فلو نسب إلى القرن الثالث أو الرابع الهجرى مثلا ، لكنا استسغنا أسلوبه المسجوع ، ولكن ليس هناك الآن ما يغرينا على استساغة أسلوب يعتمد على الديباجة اللفظية .

محمد خورشيد

الغريزة الجنسية

وكيف نتحكم فيها

عبد بار تنجنوي

يجب علينا لكى نقوم بمهمة « تربية شىء ما » أن نفهم « طبيعة » هذا الشىء . وقد بينا فى الجزء الأول من مقال « الغريزة الجنسية » [1] طبيعة هذه الغريزة ، التى تحتم علينا « الفضيلة » أن « نقوم بتربيتها » لخيرها هى ، وخيرنا أيضاً ، وسنحاول فى هذا الجزء أن نبين رأينا فى طريق « تربية » هذه الغريزة .

الفضيلة نسبية :

يقول « اينشتين » العلامة الألمانى بضرورة « النسبية » فى الرياضيات ، ويقول « ميدلتون » عالم الاجتماع الأمريكى بضرورتها فى الاجتماع والأخلاق ، ويخيل إلى أن كليهما صادق النظرة إلى حد بعيد ، وإلا فمن من الناس لايقول بأن السرقة جريمة قد لا تعادلها جريمة أخرى ؟ لم يخلق هذا الانسان بعد ، ولكننا عند ما نقرأ « بؤساء هيجو » نرانا نرثى « لجان فلجان » بدل أن نحاول عقابه على الرغيف الذى سرق ، ونعده رجل فضيلة بدل أن نقول إنه سارق أثيم ، ذلك بأنه لم يسرق لمجرد السرقة واغتصاب رغيف الخباز ، وإنما سرق لسد العوز وإغاثة عائلته الساغبة ، وكم من الناس يسرق مثل ما سرق « فلجان » ولا ينجيه من العقاب إلا أنه هرب ؟! وكم من الناس يسرق فى صناعته أو فى تجارته ؟ إنهم كثيرون والله ولكننا لا نشعر بهم لأننا نحن منهم .

وإذاً فتلك الجريمة الكبيرة ، يمكن أن نعدها فضيلة إذا كان الدافع لها دافع خير ؛ وكذلك كل الرذائل ، والغريزة الجنسية فى فترات خمودها وتأججها ، تؤدى بنا إلى كثير من الرذائل والشرور غير المقصودة ، مما يمكن أن يكون فضائل على طول الخط ، لو أنا استطعنا أن « نجيد » تربيتها .

ولا أحسب أحداً يجرؤ فينكر أمام ضميره وليس أمام الناس — لاستحالة ذلك فطرياً بدافع الخجل — أنه فى أخلاقه الجنسية سلسلة رذائل وشرور ، قد يكون بعضها مستتراً

(١) راجع مجلة « المعرفة » الجزء الاول : السنة الثالثة

لايعرف عنه المتصلون به شيئاً ؛ ومن هنا نراهم يصفونه بأنه ابن الفضيلة البار ، خلا من كل عيب أو عار ! ! والحقيقة أن « الصراحة » خير من « التستر » لأنها تساعد المفكرين فى إيجاد العلاج على إيجاده، وإذا نحن عالجنا أكبر قدر ممكن من الأدواء الإنسانية، لأكبر عدد ممكن من أبناء الإنسانية ، فهنا فقط يمكن أن نقول إنا تقدمنا ؛ وبغير هذا فتقدمنا زيف ورذيلة .

هل من ضرر فى وجود الميل الجنسي ؟

عرفت من الجزء السابق أن الميل الجنسى موجود عند الطفل منذ يولد ، وأنه يستمر معه حتى يقبر ؛ فهل فى وجود هذا الميل من خطر ؟ الحق أن لاضرر من وجوده على الإطلاق، بل إن وجوده ـ كما يجب ـ يذهب عنا كثيراً من المتاعب التى تصادفنا فى مستقبل الحياة ، مثل التوفيق بين رعاية الأم والزوجة فى وقت واحد ، ومثل عدم النفور من العجائز ، ومثل عدم الانصياع لدعوة الشيطان ، مما نفصله خلال هذا المقال .

يميل الانسان فى حياته إلى كثير من الأشياء ، ولكنه لايداوم الميل لها إلا إذا كان الدافع الذى جذبه إليها قوياً : فذلك الذى يميل إلى المطالعة إنما يميل إليها لأن لديه كثيراً من وقت الفراغ ، وأحب أن يقضيه بأرخص ما يمكنه الحصول عليه. فلم يجد لديه إلا القراءة، فلا يمكن أن يداوم الميل إلى القراءة إذا انتهى وقت فراغه، وذلك الذى يميل إلى الرياضة البدنية إنما يميل إليها لأنه وجد صحته فى طريق التأخر والاضمحلال ، وقد حار الأطباء فى تقديم الدواء له، ولم يبق لديه إلا تجربة الرياضة البدنية ، فلايمكن أن يستمر الميل لها إذا تحسنت صحته ؛ وذلك الذى يحب أمه فقط لأنها تغسل له ملابسه وتقوم له بقضاء حاجاته ، ينقطع ميله إليها ، بمجرد ان تساعده الظروف على إيجاد الزوجة .

أما استدامة الميل فلا تكون إلا حيث الثقافة أو التربية ـ على حد ما يسميها بعض الناس ـ فذلك الذى يعرف ما يمكن أن يفيده من القراءة المستمرة، هو فقط الذى يداوم القراءة ؛ وذلك الذى يعرف مايمكن أن يجنيه من الرياضة البدنية إذا دأب عليها ، هو فقط الذى يدأب عليها ، وذلك الذى يعتقد أن هناك فروقاً بين الأم والخادم ، هو فقط الذى يستديم له الميل إلى أمه ، وهكذا .

ولقد عرفت من الجزء السابق ـ أيضاً ـ أن الغريزة الجنسية تتخذ جملة أوضاع ، تبعاً لاحتياجات فترات النمو عند الرجل ؛ فلكى نوفر لأنفسنا السعادة الجنسية طوال حياتنا، يجدر بنا أن نضع حداً لا نتعداه بحال ما، لما ينبغى أن نكون عليه ، فى كل من هذه الفترات .

فترة الطفولة :

تنحصر غريزة الميل نحو الجنس الآخر فى الطفل ، فى ميله الشديد نحو أمه ؛ وهذا الميل له خيره وشره وحده الأوسط الذى نقصد إليه .

فالطفل الذى لايفارق أمه فى طفولته إلى خادم أو مربية. ينشأ شديد الكلف بها. وعلم النفس الحديث يقول بأن ازدياد الكلف بشىء ما ، ينتج عنه العمل بما يرضاه هذا « الشىء » ، فاذا كانت الأم مهذبة ، فإنها تستطيع أن تستغل كلف طفلها بها لمصلحته ومصلحتها معاً ؛ بأن تحاول أن تحبب إليه عشق الجمال والأخلاق الفاضلة والعمل الصالح ،وكل ما ينادى به رجال العلم ولا يستطيعون تنفيذه ؛ لانعدام من ينفذ ، وليس من ينفذ رغائب قادة الفكر فى هذا العالم – وهذا رأيى الخاص – إلا الأم . ولما كان الكلف بشىء ما يوجب العناية بهذا الشىء ، فالطفل فى هذه الحال سوف يعنى بأمه كل العناية ، ومن هنا نكون قد استطعنا .

(١) تحقيق المثال الأخلاقى.
(٢) حل مشكلة عدم البر بالوالدين .
(٣) خلق الطفل المثالى .
(٤) التقدم بالإنسانية نحو الكمال الذى نشدته منذ الأزل .

وأما شره فينحصر فى أن الأم قد لاتكون مهذبة ،وهنا تكون الطامة الكبرى على الطفل أولا ،وعلى الإنسانية ثانياً ! إذ أن هذا الكلف بالأم يدعو الطفل إلى العمل بوحى أمه فى كل شىء ، وحيث لاشىء عندها إلا ما يمليه عدم التهذيب ، فإن الطفل ينشأ غير مهذب ، فيضر هو ، وبوجود الكثيرين من أمثاله تضر الإنسانية كلها ،هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن كلف الأم الزائد بطفلها قد يؤدى إلى الحزن الدائم — وربما إلى الجنون أو الموت – إذا بعد أحدهما عن الآخر بالموت أو بالارتحال. أعرف امرأة توفى لها ابنها الوحيد وكانت تعزه فامتنعت من الأكل حتى ماتت ، وأعرف طفلا ألقى بنفسه تحت عجلات إحدى (الأوتوبيسات) بعد ذهابه مع والده لتشييع جنازة أمه . . . وفى الحياة كثير من هذه الحوادث .

أما الطريق الوسطى عندى ؛ فهى أن تحب الأم طفلها ، ويميل الطفل إلى أمه ،ولكن ليس إلى حد كلف أحدهما بالآخر ،ذلك لأن كلا منهما ملاق الموت أو الفراق فى يوم ما قرب أو بعد هذا اليوم ؛ على أن الحب يوحى مثل وحى الكلف أوأقل قليلا ،وليس من مصلحة الطفل ،ولا من مصلحة الإنسانية أن يكون هناك وحى الكلف الذى يسبب الانقياد الأعمى ،فالعمى مضرة ولو كان فى خير .

وبذلك تتحقق لنا الأغراض الآتية :

(١) تحقيق المثال الأخلاقى .
(٢) حل مشكلة عدم البر بالوالدين .
(٣) خلق الطفل المثالى الإنسانى ، وليس « المثالى الأصم » .

(٤) منع العذاب الذى ينتج عن الموت أو الفراق .

(٥) قطع خط الرجعة على الأم التى قد تكون غير مهذبة .

وأولئكم الذين يفكرون تفكيراً مثالياً ، قد يضحكون من فكرتنا هذه ، ويقولون إن وجودنا فى عصر ميكانيكى قد جعلنا ننادى « بالعاطفة الميكانيكية » . ألا فليضحكوا، فليس الظافر من يضحك أول ضحكة ، ولكنه الذى تصدر عنه الضحكة الأخيرة .

فترة الصبا :

والميل الجنسى عند الصبى ينحصر فى ميله نحو البقاء أو اللعب مع واحدة من لداته من الجنس الآخر ، وعند بدء هذه الفترة يجدر بنا أن نوجه كثيراً من الاهتمام إلى الغريزة الجنسية : الصبى الآن فى روضة الأطفال يلعب ويتعلم جنباً إلى جنب مع الفتاة ، دون أن يكون بينهما أية رذيلة على الإطلاق ! فلنعمل على استدامة هذه الطهارة الجنسية ؛ بأن تقص المربية على صبيانها وصبياتها بين الحين والآخر ، قصصاً تشعر أن الذكر للأنثى والأنثى للذكر ، خلقا ليكونا رفيقين فى الحياة ، ولا تكون الحياة سهلة ولا سعيدة إلا بهذا الترافق ؛ وهو ترافق قصدت إليه الطبيعة ووضعت له كل المسهلات اللازمة . ويجب أن يفهم الصبى أو الصبية أن الخارج على الطبيعة — وهى الممسكة بزمام الكون كله — لا يمكنه إلا أن يضر نفسه ، أما هى فلا ضرر عليها على الإطلاق ، بل عندها القدرة الكافية لعقابه العقاب اللازم ، وما الشقاء الذى يصادفه الإنسان فى حياته إلا عقاب الطبيعة لمن يخالف قوانينها ؛ فلتعمل المربية فى الروضة على أن يكون الصبى إلى جانب الصبية ، وأن يشترك الصبى والصبية فى اللعب وفى الدرس ، فإن هذا يجعل أحدهما يبدأ يشعر بضرورة الحاجة إلى الآخر ، وهذا هو أهم ما يجب أن نعمل على وجوده فى هذه الفترة من حياة أولادنا ، فإن عقل الطفل يكون كالورقة البيضاء ، إذا أمسكت بقلمك وخططت عليها شيئاً انطبع عليها هذا الشىء فلا تمحوه إلا الممحاة القوية ، وعجينة مخ الطفل رخوة لينة تستطيع المربية أن تصنع منها « الرغيف » الذى تريد ، فعليها إذاً أن تكون « خبازة » ماهرة ، والإفالويل للإنسانية من « رغيفها » !

فترة المراهقة :

إن الانسان العادى يمكنه بسهولة أن يشعر أنه دخل دور المراهقة بتلك التغيرات الجسمانية التى تعتريه ، وهذا التغير يحدو به إلى أن يفكر قليلا فى الحال الجديدة التى جاءت إليه ؛ والمراهق الانسانى مضطر الى :

(١) السعى للحصول على رفيق سواء أ كان فى عالم الحقيقة أم فى عالم الخيال .
(٢) تصريف المادة الجنسية .
(٣) تنظيم حياته كلها وفقاً للحال الجديدة .

ولا يمكن الا أن يضطر كل مراهق أو مراهقة إلى السعى لحل هذه المشاكل الثلاث ، وكما قدمنا فى الجزء الأول من المقال ، فإن المراهق من أحد الجنسين يحصل من عالم الأحياء على رفيق له يختلى به كلما حانت له فرصة ، إلا أن هذا المراهق قد تكون عنده من العيوب الخلقية أو الخلقية ، ما يجعل الحصول على أليف أمراً مستحيلا ! هنا يجد هذا المراهق نفسه يكثر من التفكير فى الرفيق الذى يريد ، ويتخيل ويتخيل حتى يستحيل « التخيل السطحى » إلى « حقيقة خيالية » فتكون الطامة الكبرى ، ذلك بأن استدامة التفكير توهن كلا من العقل والجسم ، فإذا وهن العقل ، أدى الأمر إلى اختلاله — أو إلى الجنون — وهذه مشكلة كبيرة من المشاكل التى يعمل قادة الفكر على حلها ؛ وإذا وهن جسمه لانصراف أغلب الغذاء إلى الجسم لتعويضه ما يصرف من الجهد فى التفكير ، ولتصريف المادة الحية وفق ما يمليه اختلال العقل ، ذهب رواء الشخص وبقيت منه رمة نتنة واهنة ، لا تصلح لأن تفيد نفسها أو تفيد العالم ؛ وهذه مشكلة ثانية .

ولعل أحدكم يحب أن يعرف الطريق الوسطى عندى .

أحب أن تعمل المدرسة ثانياً والأسرة أولا على تسهيل وجود التآلف الجنسى ؛ وليس فى هذا ضرر أيها السادة ، وليس فيه عار ؟ ! إن العامل على إيجاد التآلف الجنسى ليس مجرماً وليس من المتاجرين بالأعراض مادام الأمر ينتهى بالزواج ! ! أم إن المثال يعمى عن الحقيقة ولو كانت الحقيقة أسهل وأوضح وأقرب إلى التحقق منه ؟ ثم اعملوا على تعديل البرامج الدراسية واجعلوا من الفتى فى سن العشرين على الأكثر زوجاً ورب بيت يستطيع أن يوفر له أسباب السعادة والهناء . ولكنى قليل الأمل فى هذا . . . لأنكم تحبون أن تناموا ملء جفونكم ، ثم تغيروا ياقاتكم فى الصباح لا أكثر ولا أقل ، ومنكم علماء التربية الذين طار صيتهم ، ومنكم قادة البلاد نبه أمرهم ! ! إن المراهق مضطر إلى تصريف المادة الحية ، ومضطر إلى الحصول على رفيق ، وهو أيضاً مضطر إلى إعداد نفسه للحياة القادمة ، فإذا أنتم لم تساعدوه فلستم مربين بل مجرمين فى نظرى ، وأنا أولكم كمرب ومدير مدرسة خصوصية .

يجب أن تنتهى الدراسات فى الثامنة عشرة على الأكثر ، وعامان يكفيان الأليفين لإعداد المنزل ، وحسبهما أن يظلا أغلب فترة المراهقة معذبين . . .

فترة التعاشر :

والطريق الوسطى عندى أن يبدأ التعاشر فى سن العشرين . ولكن ترى هل يثبت الطب لنا أن التعاشر فى مثل هذه السن لا ضرر فيه ؟ نعم . ، يثبت الطب ذلك بقوله إن صحة الانسان العامة

تصل أوجها فى سن العشرين ، ورأيى فى هذا من رأى دكتور واريز Warriner ؛ وفى هذه السن تكون الحساسية الجنسية على أشدها ، فإذا هى أرويت وأشبعت ، أمكن الإنسانية أن تضمن نسلا قوياً نشيطاً ، نتجت حبته عن سنبلة قوية نشيطة .

وتواجهنا فى فترة التعاشر هذه مشاكل كثيرة منها :

(١) انتظام المباشرة الجنسية بلا إفراط أو تفريط .

(٢) انتظام التوالد الجنسى لضمان بقاء الإنسانية، وعلى أن يكون النسل سليما صحيح الجسم والعقل

(٣) انتظام المستوى الأخلاقى ، بحيث لا توجد « مفرقات التآلف »

(٤) تنظيم الأسرة على أساس « تنظيم الجنس »

(٥) تنظيم المجتمع على أساس « تنظيم الأسرة »

فأما عن تنظيم المباشرة الجنسية ، فالرأى عندى أن يذهب المتعاشران إلى طبيب يفحصهما فحصاً جيداً بدقة وعناية، وعليهما بعد ذلك أن يسيرا فى المباشرة الجنسية وفقاً لتعليمات الطبيب ، أعرف بعض الأزواج من الذكور ، انتهزوا فرصة وجود الأليفة فى متناول أيديهم ، فأفرطوا فى الأداء الجنسى فى الأشهر الثلاثة الأولى إلى حد إصابتهم « باضطراب عصبى عنيف » نتج عنه « ارتخاء ابتدائى » ؛ وأعرف بعض الأزواج من الإناث أصبن بقروح فى الجهاز التناسلى لزيادة المباشرة الجنسية على الحد المطلوب . أما الانسان العادى فعليه أن يؤدى المباشرة الجنسية مرة واحدة فى الأسبوع .

وما أجمل تعليمات « مكفادن » فى هذا الصدد ! إنه ينصح الأزواج ـ ذكوراً وإناثاً ـ بالافتراق فى النوم، لأن النوم فى فراش واحد يسبب نوعاً من التهيج الجنسى غير المقصود ، مما لا يمكن تفاديه إلا بالافتراق فى النوم ؛ وينصحنا العارفون بالابتعاد عن التدخين والخمور وتناول المكيفات ، والذهاب إلى المراقص ، ورؤية الروايات الخليعة أو قراءتها ؛ كما ينصحنا « ستاندول » بعدم ارتداء الملابس الشفافة وعدم النوم على الفراش الوثير فإن هذه كلها من المهيجات الجنسية ؛ وخير لنا أن نتمتع بالأليفة أكثر ما يمكن من المرات فى أكبر زمن ممكن ، بدل أكبر عدد من المرات ، فى أقصر مدة .

فإذا سارت المباشرة الجنسية بين الزوجين على هذا الأساس المنظم ، فإنه لا ينتج عنها إلا نسل سليم صحيح الجسم والعقل ، وهو النسل الذى يسعى قادة الفكر فى إيجاده منذ أقدم العصور حتى الآن دون جدوى ، نظراً لما يغرقون فيه من خيال عميق ، ووعظ زائف .

يتوهم بعض الناس أن المدة بين ولادة وأخرى هى شىء يسير على نظام يختلف باختلاف

طبيعة المرأة ، والطب الحديث يثبث خطل هذا الوهم ، ويقول إن هذا الاختلاف راجع إلى طريقة وعدد مرات المباشرة الجنسية .

فإذا كانت الحياة التناسلية سائرة مع الزوجين بانتظام ، فثق أن المنغصات التى يصادفها الأزواج عادة ، لا يمكن أن توجد بحال ما . والغريزة الجنسية التى لها المقام الأول بين الغرائز استدامة ، لابد أن يكون لها الحكم الأكبر فى مصير الإنسان ، وكل من الرجل والمرأة يعز عليه أن يسرف مع رفيقه فى المباشرة الجنسية ثم تضطره الظروف القهرية إلى الامتناع الفجائى ، وهذا الامتناع وحده كاف لهدم التعاشر .

فإذا نظمت حياتنا التناسلية ، انتظمت نتيجة لها حياة الأسرة ، وهل الأسرة إلا مجموعة من الذكور والإناث فى أعمار متفاوتة قليلا ؟ وما المجتمع ؟ بل ما الإنسانية ؟ هى الذكر والأنثى فى الأول والآخر .

الفترات الأخرى :

فأما الامتناع الطبيعى عن المباشرة الجنسية الذى يصيب الإنسان عادة بعد الأربعين . ويبدأ ضعيفاً ثم يزداد قليلاً ، فلا يسبب أى فصم لحياة التعاشر ، ذلك لأنه يوجد عند كل من المرأة والرجل ، وليس عند أحدهما فقط ، والمعروف أن الاشتراك فى الشعور ، يزيد من التآلف ولا ينقصه . فليوجد الميل الجنسى إذاً حتى تقلل منه الطبيعة على التدريج ، أو قل حتى تعيده إلى ما كان عليه أولا . . . إلى « ميل الطفولة » ، فليس الشيخ إلا « طفل كبير » .

ماذا يجب علينا ؟

وأخيراً فعلينا أن نواجه الحياة على ماتشتهى هى ، لا على مايشتهى أصحاب الخيال ، لأن الحياة هى التى تسيرنا بقوانينها ، وفى جميع الأديان أن الإنسان مسير لا مخير ، فإذا كان الأمر كذلك ، فمن السخف أن يشط بالإنسان الخيال ، فيذهب ليستنبط مثلاً لا يمكن للإنسانية أن تحققها ؛ وصاحبها أول دليل نأخذه فى صالحنا ضد نفسه ؛ فهو غالباً كتلة شعور قذر فى ذاته وجوهره ، ولكن صناعته هى الخيال ، واصطناع التفكير الجديد مذهب يرهق به العالم ، وهو ليس بمستطيع تحقيقه .

وأخيراً فإن الميل نحو الجنس الآخر أصل الحياة : أردنا أم لم نرد ، وعلى أساس تنظيمه تكون السعادة ، وبغيره يكون الشقاء ولو كره الخياليون .

اللغة العربيـــــة *

وأثرها فى لغات أوربا

للدكتور على مظهر

ملاحظات

ويلاحظ أن تلك الألفاظ العربية فى اللغات الأوربية إما أن تـكون :

١ — عربية الأصل .

٢ — من أصل لاتينى وأخذها الأغريق ، فالعرب ، فالأوربيون .

٣ — من أصل إغريقى ، أخذها الآراميون ، فالعرب .

٤ — من أصل فارسى وأخذها الآراميون فالعرب .

٥ — من أصل أفريقى وأخذها العرب .

٦ — من أصل هندى وأخذها الفرس فالعرب .

ومثال الأخير الأعداد ، فإن أصلها هندى . أخذها العرب وعرفت فى العالم بالأعداد العربية .

كما يلاحظ أن الألفاظ العربية التى أخذها أهالى أوربا ، إما أن تكون :

١ — أسماء عربية كمحمد وعائشة وفاطمة والفواطم وأمية وبنى العباس وعلى والموحدين ورمضان وعثمان وعثمانيين .

٢ — مأخوذة من العلوم الشرعية والدينية .

٣ — مأخوذة من القصص العربية والشرقية ، كقصص ألف ليلة وليلة .

٤ — مأخوذة من المسائل الاجتماعية ، الشرقية والعربية خاصة .

٥ — أسماء أماكن كما هى الحال فى بلدان الأندلس ونواحيه مثلا وفى غير الأندلس أيضاً .

٦ — اصطلاحات خاصة ضرورية للحياة ، كعلوم الطب والطبيعة والكيمياء والنبات والحيوان والرياضيات وغيرها .

٧ — ألفاظ خاصة بالمبانى والأثاث .

٨ — الحاجات المختلفة المنزلية ، كالعقاقير والعطور وآلات الطرب وأدوات المنزل الخاصة .

---

* هذا بقية البحث الذى نشرنا جزأه الاول بهذا العنوان ، فى العدد الماضى من «المعرفة»

(٩) الأقمشة (١٠) ألفاظ بحرية (١١) ألفاظ خاصة بالرياح (١٢) ألفاظ تجارية (١٣) والأشياء مختلفة متباينة .

ويجدر بنا أن نلاحظ أن اللغات المستعملة فى أمريكا الشمالية والجنوبية وأوستراليا وفى كثير من جهات أفريقية الجنوبية وبعض الأرجاء الأخرى بها ، إنما هى لغات أوربية الأصل، أى أنها من تلك اللغات التى أخذت عن العربية ألفاظاً واصطلاحات تستعمل - كثرة وقلة - تبعاً للحاجة إلى استعمالها ، أو تبعاً للظروف والمناسبات ، سواء أكان ذلك فى الكتابة أم فى الحديث، وبعض تلك الألفاظ معروف أكثر من غيره عند تلك الأمم ، وبعضها تستعمله طبقات خاصة من العلماء والمستشرقين فحسب .

كما لا يفوتنا أن نذكر أن كثيراً من اللغات واللهجات الأفريقية التى احتك أربابها بالعرب عن طريق التجارة أو عن طريق الفتح ، قد تأثر بالعربية تأثراً ما ، ونقلت بعض الألفاظ العربية إليها .

وبذا نرى أن العربية قد غزت عدة لغات فى عقر دارها وأعارتها بعض ألفاظها ، كما أخذت عن اللغات الأخرى يوماً ما .

وسوف نذكر جملة من تلك الألفاظ العربية التى أدخلت إلى لغات أوربا ، على سبيل المثال لا على سبيل الحصر [١]، فلدينا من هاته الألفاظ مئات بل ألوف دوناها عندنا وليس هذا مكان نشرها برمتها .

وهناك ملاحظات أخرى خاصة بهذا البحث نرى أن نرجىء نشرها إلى فرصة أخرى، كما أن لبعض المستشرقين إشارات طريفة فى بعض رسائلهم ومؤلفاتهم، ولنا على هذه الإشارات ملاحظات قد نشير إليها فى أعداد قادمة . أما أسماء الأماكن والبقاع فلها مبحث خاص؟

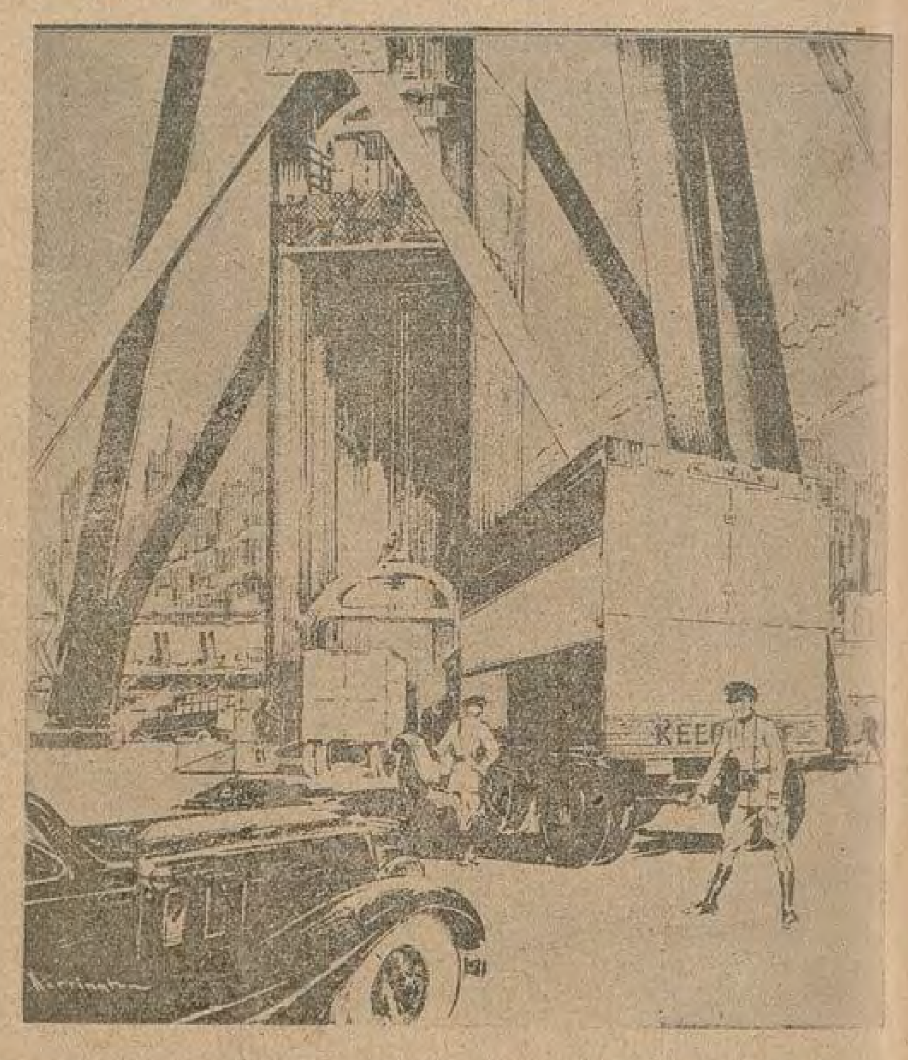
على مظهر

---

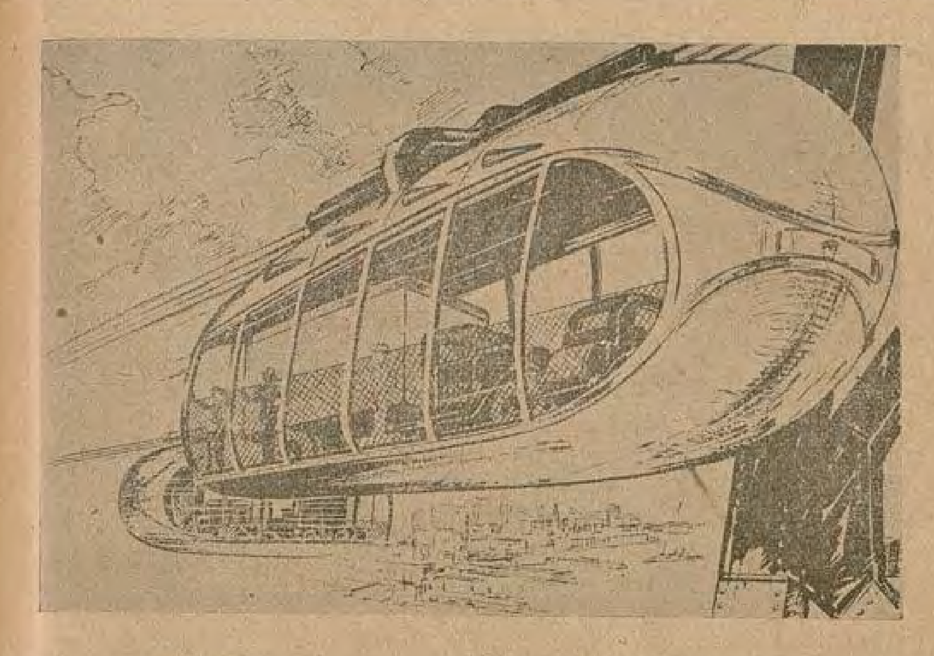
(١) رب معترض يدعى أنه طالما كتباً كثيرة بلغات أجنبية ولم يقرأ بعض الالفاظ ولو مرة واحدة؛ وردنا عليه : —

يجوز أن الكتب التى قرأها لم يكن فيها ذلك اللفظ الذى عينه . وليس فى مقدور أى انسان أن يقرأ كل كتاب . ولا داعى لذكر لفظ خاص الا عند مناسبة خاصة . والالفاظ العربية لا تذكر الآن فى كل كتاب عربى كما أن كل لفظ من أى لغة لا يعيه كل انسان ، ولو كان ذلك الشخص من أئمة اللغة ومن أعاظم كتابها كما أن كثيراً من الكلمات اصطلاحية لعلوم أو فنون لا يعنى بها كل انسان بل طبقة خاصة منهم.

قنـــــــاطر المســـتقبـــــــل



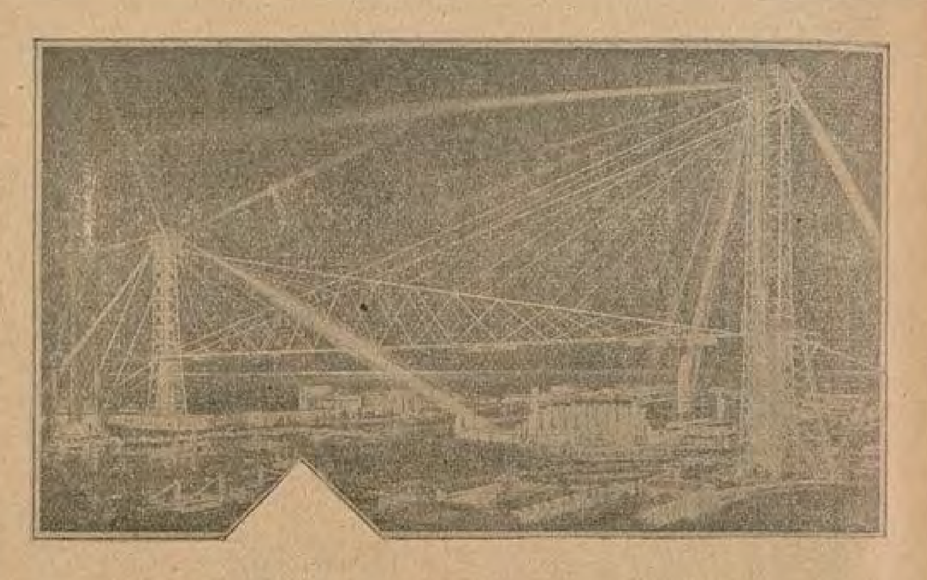
يرى القارىء فى هذا الرسم بعض السيارات تفرغ شحنتها فى رافعة القاعدة . وعلى الصفحة التالية يرى صورة إحدى هذه القناطر الهوائية المدهشة وهى تنقل السيارات.



مئذنتان توأمتان شاهقتا العلو تصلان إلى ثمانية وعشرين وستمائة قدم عند السحب، ومسافة ما بينهما ألفا قدم، وداخلهما مصاعيد كهربائية مضاءة مغلفة بحوائط زجاجية. تروح وتغدو بحمولتها من الناس متسابقة من أسفل إلى أعلى ومن أعلى إلى أسفل، وتسير بينهما مهلاً خفيفاً على أعمدة من الصلب سيارات سهمية ثنائية السطح تحمل أكثر من أربعة الآف راكب فى الساعة من وإلى مائتى قدم فوق سطح الأرض!!!

هذه هى معجزة المليون دولار التى تنتظر زوار معرض شيكاغو. هى الألعوبة التى كلفت مليون دولار ومائتى ألف دولار لتكون لمعرض شيكاغو بمثابة (برج إيفل) لمعرض باريس، وعجلة (فيريس) لمعرض كولومبيا.

وهى منشأة سينظر إليها الناس نظرات شتى وأبصاراً لمماً، فهى عند الخمسين مليوناً الذين ينتظر أن يجذبهم معرض شيكاغو – قد لا تكون أكثر من تسلية عملاقة وملهاة فخمة، ولكنها عند الشركات الهندسية الخمس الكبرى التى قامت بصنعها، أول نموذج لما ستكون عليه قناطر الأيام القادمة، أما عند المهندسين والرسامين القليلين الذين واتتهم الشجاعة، وتفتحت منهم البصيرة والباصرة، فصمموا ثم أنشأوا تلك الألعوبة المليونية، أو ذلك النموذج من قناطر المستقبل، تجربة خطيرة يأملون أن تقوم دليلاً على إمكان الاستفادة العملية من إحلال القناطر الهوائية التى لا تتكلف كثيراً محل القناطر الحالية التى تتكلف كثيراً، وكثيراً جداً، فوق ما يحتمله أغلب الدول فى الأيام الحالية. وما قولك فى جبروت الفكر الانسانى عندما تعبر النهر أو الوادى العميق



فى مركبة ، تتقاذف بك الهواء وتدفع بك فى سرعة شيطانية نحو الشاطىء الثانى من عبرك ،

الميزة الاقتصادية للقناطر الهوائية

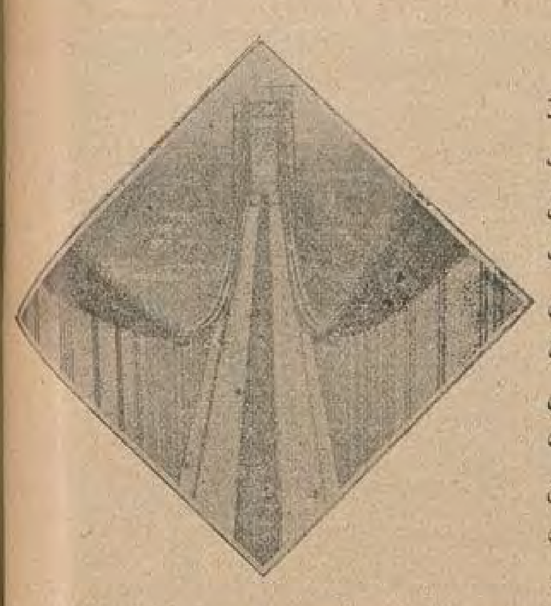
كسدت سوق إنشاء الكبارى هذه الأيام كساداً دعا أقطابها إلى التفكير فى أسباب الكساد ، ولم يحتج هؤلاء الأقطاب كثير وقت لكشف الأسباب ، فقد عرفوا بمراجعة بريدهم أن كثيراً من الدول رغبت فى إنشاء كبارى على بعض أنهارها. ولكنها اضطرت إلى إلغاء رغبتها ـ أو على الأقل تأجيلها ـ لبهظة ما تطلبه الشركات الهندسية منها فى نظير إنشاء الكوبرى ؛ ولكنه فى ذات الوقت سبب لا يد لهم فيه ولا سبب ، فقد دلت الإحصاءات الدقيقة على أن هذه الشركات ـ على قلة مواسم عملها ـ لا تقدر لنفسها ربحاً أكثر من عشرة فى المائة من الثمن الذى تطلبه ، وهو قدر ليس بالكثير .

لذلك انصرف تفكير المهندسين إلى اختراع نوع من الكبارى تطيقه خزانة الدول على اختلافها . ولا يدخل فى تشييده الحديد والخرسان المسلح الذى لا يستحضر ولا يتم إلا بثمن غال.

وأخيراً إنتهى تفكيرهم الى هذا النوع من القناطر الهوائية الذى يؤكد موجدوه أن واحداً منه يتكلف خمسة ملايين دولار ، يمكن أن يحل محل كبرى عادى يتكلف خمسين مليوناً من الدولارات!! أى أنه يقتصد تسعة أعشار النفقات !!

فإذا كان أمره كذلك، فما من شك فى أنه سيحدث فى عالم الصناعات الأمريكية أثراً هائلا . وما من شك فى أن تشييد الكبارى سينعش ويبعث من القبر حياً . ومما يقوى الأمل فى هذا أن بعض المقاطعات الإنكليزية كلفت صناع هذه القنطرة برسم تصميم لقنطرتين من هذا الصنف ، لتقاما على نهرين هناك .

كيف بنيت هذه القنطرة ؟



ولكى نتصور كيف أن مثل هذه المنشأة المعجزة ستحملنا بعد سنوات معدودات فوق الأنهار والوديان، يجدر بنا أن ندرس التصميم: فجسر السماء هذا يتركب من المئذنتين اللتين تبعد إحداهما عن الأخرى (١٨٥٠) قدماً. وإحدى المئذنتين على الأرض الأصلية، والأخرى على جزيرة ناعية فى بحيرة (متشجان)، وبين المئذنتين تركيبة سلكية مكونة من (حبال نقل) أفقية فى مستوى المائتى قدم، تسندها تحتها حبال سلكية قابلة للشد.

وداخل كل مئذنة أربعة مصاعيد كهربائية فى أغلفة زجاجية تستطيع أن تحمل (٨٠٠٤) راكب فى الساعة، من وإلى ارتفاع المائتى قدم، أو إلى أرصفة المشاهدة عند القمم، التى هى أعلى من تمثال وشنجتون أو أعلى ناطحة سحاب فى شيكاغو !! من هذه الأرصفة يستطيع زوار المعرض أن يشاهدوا أربع ولايات من الولايات المتحدة، ويمتعوا أنظارهم بذلك المشهد الطبيعى الجميل. مشهد بحيرة متشجان، ويرون أيضاً شيكاغو كلها، والمعرض برمته كذلك.

وتسير على التركيبة السلكية عشر سيارات سهمية من ذات الدورين، تسع كل منها ستة وثلاثين راكباً، وتقف عند كل من أرصفة المشاهدة أو الشحن.

ولزيادة شرحة صدور المتفرجين، فإن هذه المآذن والمصاعيد ستضاء كلها بالكهرباء ليلاً وستسلط الأضواء الكاشفة على السفن الهوائية السهمية، وهذه تخرج تحية للمتفرجين – من مؤخرها – أبخرة ملونة من مواسير البنزين المحترق !!

إلى هنا ينتهى أمر هذه القنطرة كشىء يبهج الناظرين، ويبقى ما يهم المهندسين.

فالمسافة بين المئذنتين – وهى (١٨٥٠ قدماً) كما قدمنا – أكبر من المسافة المنشأ عليها أية قنطرة فى البلاد الأمريكية. اللهم إلا قنطرة (جورج واشنجتون) على نهر (الهدسون).

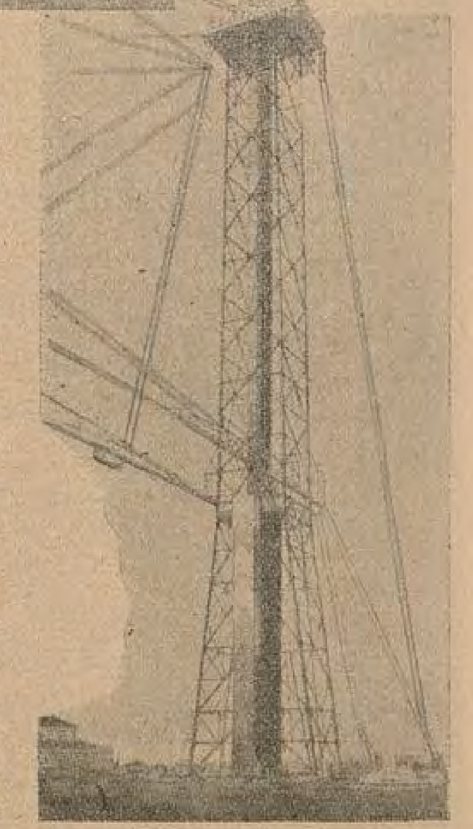
ثم إن هناك أربعة أعمدة من الصلب لوقاية كل سفينة من السفن السهمية الهوائية: مثبتة فى (موازنة أثقال) وزنها خمسمائة طن، لكى تتكافأ مع ما تحدثه التغييرات الجوية فى أطوال الأعمدة.

وتسير عربات السماء هذه على ثمانى عجلات، وتحرك العربات على الشبكة السلكية، عمود جاذب متحرك، يربطها به (جاذب)، ينفصل من تلقاء ذاته منها، عند ما تقترب من الأرصفة. أما هذا العمود الجاذب فيحركه (موتوران) صغيران. يتولى قيادتهما (الملاح الطيار)، ووزن كل عربة من هذه يقدر بأربعة عشر ألف رطل ..



إلى اليسار صورة واضحة لتصميم عربة من عربات القنطرة الهوائية يظهر فيها السطحان

إلى أسفل ترى صورة الأعمدة الصلبية والتركيبة السلكية التى تصل بين المئذنتين



فإذا كبرت الأعمدة واستبدلت بالمصاعيد الحالية مصاعيد أكبر، وأجريت عدة تحسينات فى نظام لحم العربات؛ وركبت العربات السهمية على عجلات مريحة، فإن اللعبة تصبح – ولاشك – معدية هوائية حقيقية يدعى مصمموها أنها لا تستطيع فقط تعدية العربات والسيارات على اختلافها بل تنقل عربات السكك الحديدية والأتوبيسات أيضاً! وستسافر معديات السماء هذه بسرعة خمسة أميال فى الساعة، حيث إنه لا لزوم للسرعة العالية الآن؛ ولكن هذه السرعة يمكن أن تزاد وتنظم وفقاً لحاجات المرور العملية.

ويظهر أنه كان لابد من تلك المجهودات المشتركة التى بذلها بناة الكبارى والمهندسون الإنشائيون وشركات أحواض الملاحة وموردو الحديد وصانعو المصاعيد، لتخطيط وتشييد هذه القنطرة الثورية التى ينتظر أن تعادل قيمتها فى عالم هندسة الكبارى؛ قيمة ناطحات السحاب فى عالم الهندسة المعمارية. وهؤلاء الذين اقتسموا العمل والتكاليف هم ممن يتولون أكبر المشاريع الصناعية فى أمريكا مثل (شركة أولاد جون روبلنك) وهم

[البقية على الصحفة رقم ٢٠٢]

التعليم فى انجلترا والبعوث العلمية

بقلم الأستاذ أحمد فهمى العمروسى بك

لا يسعنا فى هذه العجالة، أن نشرح طرق التدريس فى المدارس الانجليزية شرحاً وافياً، لأنها ذات أنظمة مختلفة ومناهج متعددة، نظراً لاستقلال بعضها عن بعض، وحرية كل منها فى مناهجها وبرامجها على الوجه الذى يناسبها ويلائم حاجة البيئة التى هى بها؛ فإذا كانت المقاطعة صناعية عنيت عناية خاصة بالرسم والميكانيكا. وإذا كانت تجارية اهتمت باللغات الحية وعلم إمساك الدفاتر والجغرافيا التجارية والحساب التجارى؛ وهكذا مما جعل التعليم فى انجلترا محلياً خاصاً أكثر منه مشتركاً عاماً. وتسنى لأبناء كل مقاطعة أن يتهيئوا أكثر من سواهم لخدمتها والنهوض بها.

ولقد كان السبب فى استقلال هذه المدارس بعضها عن بعض، أنها من عمل أفراد الأمة ونسج أيديهم، إذ قامت بما تبرعوا لها من أموال طائلة وحبسوا عليها من أوقاف ضخمة، وترعرعت تحت عنايتهم بها وغيرتهم عليها. بعيدة عن سيطرة الحكومة، خارجة عن منطقة نفوذها؛ غير أنها ظلت متأخرة عن مدارس الأمم الناهضة بالقارة الأوربية كفرنسا وألمانيا إلى سنة ١٨٢٠، حيث قامت ضدها حملة صحفية شديدة، ناعية عليها هذا التأخر، متهمة إدارة مدرسة (إيتون) ـ وهى أشهر وأقدم مدرسة ثانوية فى انجلترا يؤمها أولاد الكبراء والعظماء ـ بسوء الإدارة وتبديد الأموال وصرفها فى غير وجوهها.

لم يسع الحكومة إزاء ذلك، إلا أن تتدخل فى الأمر، لا لأن لها الحق فى أن تتدخل فى أمور التعليم ـ وهو خارج عن نفوذها كما قدمنا ـ بل لما لمجلس النواب من حق الإشراف على إنفاق أموال الأوقاف العامة ووجوه صرفها. وفعلا شكلت لجنتين رسميتين للتحقيق، إحداهما تحت رياسة (لورد كلارندون) سنة ١٨٦٢ للفحص عن حال المدارس التسع التى كانت ـ ولا تزال ـ خاصة بتربية أبناء الطبقات الحاكمة والأسر الغنية كمدرسة إيتون وهارو ورجبى وهكذا؛ والثانية سنة ١٨٦٥ تحت رياسة لورد (تاونتون) للبحث عن حال المدارس الثانوية الأخرى التى يتعلم فيها أبناء الطبقات المتوسطة، وهى كثيرة العدد.

وبعد سنتين قضتهما تلك اللجنة بحثاً وتنقيباً، قدمت تقريراً إضافياً وقع فى واحد وعشرين مجلداً،

شرحت فيه ماشاهدته من المساوىء والعيوب فى إدارة هذه المدارس ونظم التعليم فيها، شافعة ـ باقتراحاتها السديدة ـ الداء بالدواء.

ومما يذكر مع الإعجاب، أن هذه اللجنة أوفدت بعض أعضائها إبان التحقيق إلى البلاد الراقية إذ ذاك للموازنة بين حالة التعليم فيها وحالته فى انجلترا. واقتباس ما يمكن اقتباسه من أنظمتها.

فأوفدت مثلا إلى فرنسا العالم الشهير (ما تيوأرنولد) الذى بحث حالة التدريس فيها بحثاً دقيقاً، وأشار بإدخال علم التاريخ فى برنامج الدراسة، وتدريسه تدريساً منتظماً، كما هى الحال الآن، وقد كان المعلمون الإنجليز قبل ذلك يظنون استحالة تدريسه بطريقة منظمة.

بل لقد كان دهشهم عظيماً حين اطلعوا على منهج الدراسة الفرنسى فى هذا العلم، ورأوا تفصيل الحوادث مرتباً بترتيب العصور، بحيث يكون الطفل الفرنسى فى آخر مدة الدراسة ملماً بتاريخ الأمم كلها، وكان المربون الإنجليز يقولون: كيف يسع ذهن الطفل الصغير كل هذا المدى الواسع من التاريخ؟ ولم يقلدوا الفرنسيين فى تدريس التاريخ إلا بعد أن زار (ماتيوأرنولد) فرنسا ونقل إليهم طريقة تدريسه فيها.

وقد قال ذلك العالم فى التقرير الخاص الذى قدمه إلى اللجنة عن حال التعليم فى فرنسا مانصه:

«من المحقق أن عدداً كبيراً من مدارسنا الثانوية لا يوازى مستوى التعليم الأولى فى مدارس التحرير الأولية الفرنسية. وإذا فرض أنهما تساويا فى الدرجة والجودة، فإن مجموع من يتعلم فيها عندنا لا يتجاوز ١٦٠٠٠ تلميذ، وفى المدارس الثانوية الفرنسية ما يزيد على ٦٦٠٠٠ تلميذ»

وبعد أن وصف حال المدارس وصفاً دقيقاً، وشرح عيوبها شرحاً وافياً، وضع منهجاً جديداً ضمنه إدخال العلوم الطبيعية وزيادة الرياضيات والإقلال من دراسة اللاتينية واليونانية، واقترح أن يكون للحكومة حق الإشراف على هذه المدارس، لأن الأهالى لا يمكنهم أن يميزوا بين المربين الحقيقيين، وبين من يدعون التربية وهى منهم براء.

هذه حال المدارس فى انجلترا من نحو نصف قرن، وهى ماحدت بالعالم الكبير (هاكسلى) أن يقول إذ ذاك «إن الأجيال المقبلة ستسخط علينا إذا نحن لم نجد علاجاً لهذه الحالة المخزية المخجلة، وإذا عشنا عشرين عاماً بعد اليوم على هذه الحال، فسنحتقر نفوسنا وننكر وجودنا».

هذه الانتقادات المرة الصادرة عن قلوب لا تكن غير الإخلاص لأمتها، ولا تعرف للمحاباة والمداجاة سبيلاً، كانت هى المهماز الحاد فى حث الهمم الانجليزية على إصلاح المدارس، والدليل المرشد لأهل الفطن والرأى، فى درس أحوال التعليم بممالك أوربا الراقية، وخاصة فرنسا، واقتباس مايوافق منها البيئة الانجليزية، ونقله إليها.

من ذلك الحين سارت تلك المدارس فى ترقية شئونها سيراً حثيثاً ، وأخذت تجارى نظيراتها الراقية بالقارة ، فى ميدان العلم الصحيح .

هذا وأهم ما يعنى به المدرس الانجليزى « الكيف » لا « الكم » فى التدريس ؛ فسر التعليم عندهم هو فى القليل الشائق المفهوم الذى يدعو إلى الاستنباط ويعوّد الحكم الصحيح على الأشياء ، والتبصر فى عواقبها ، وحسبى دليلا على ذلك صحيفة بديعة خطها يراع العالم الانجليزى الشهير (تندال) فى التعليم الصحيح ، الذى يصل بالتلميذ إلى قوة الإبداع والاختراع ، قال :

« كلفت تدريس الرياضة فى بداءة قيامى بحرفة التدريس ، فرأيت أن أجعل نظريات إقليدس فى الهندسة دروساً شائقة حية بإدخال شىء من الصنعة وبذل المجهود فى ذلك ، فرأيت من تلاميذى تمسكاً كبيراً بأهداب القديم ، ونفوراً من كل جديد ، لأنهم ألفوا تلك الطرق القديمة العقيمة ومرنوا عليها « وصعب على الإنسان ما لم يعود » بيدأنى مع المثابرة فى طريقى ، ما عتمت أن رأيت أساريرهم تبرق بالفرح ، وقد بدت على وجوههم علائم السرور ، واعتراهم الذهول الذى اعترى (أرشميدس) لما صاح قائلا : أوريكا ! أوريكا ! إنى وجدت ! إنى وجدت ! ، وقد شعر كل تلميذ أن فيه قوة مدركة يمكنها أن تصل به إلى استخراج حقائق كانت مجهولة لديه . وبدا تولد فى تلاميذ فصولى حب العمل واستنباط الحقائق والكشف عن كل مجهول ، حتى بلغوا درجة مدهشة بين إخوانهم فى الفصول الأخرى . وقد قصدت بهذه الطريقة ، أن تكون دراسة الهندسة وسيلة لتربية الإرادة والالتفات والانتباه ، أكثر من أن تكون مادة مقررة فى المنهاج فحسب ، ولقد كانت ألذ ساعات ذقتها فى حياتى ، هى تلك الساعات التى كنت أشاهد فيها تدفق قوى عقلية كانت كامنة كمون النار فى الحجر ، فأخرجتها إلى عالم الظهور والحس »

***

إنه لجدير بى — وقد ذكرت ما ذكرت من كلام العالم « تندال » — أن أوجه نظر بعض إخواننا المدرسين ، إلى مغزى تلك الصحيفة البديعة ، فإن فيهم من يهتمون بإتمام المقرر ، أكثر من اهتمامهم بتثقيف أذهان تلاميذهم ، وتربية ملكة التعقل والاستنباط فيهم ، حيث لا يدعون لهم من الوقت ما يمكنهم من التفكير والتروى ، بحجة أن المقرر أطول من أن يسمح بالمناقشة والجدل .

نعم إن برامج التعليم عندنا قد لا تخلو من هذا العيب ، ولكن اعتقادى أن المعلم الكفء لا يكون أسير المنهج ، ولا يتقيد بإتمامه تقييداً يضيع على المتعلمين أهم مزايا التعليم ، ولا يحجم عن إدخال أية مادة عليه ، أو إغفال أى جزء منه ، وفق ما تقتضيه الظروف وتتطلبه مواهب التلاميذ .

إننا إذا أردنا أن ننهض بالتعليم نهضة حقيقية تلائم الطور الحديث ، الذى نوشك أن ندخل فيه ، لم نجد وسيلة لذلك سوى أن نعنى قبل كل شيء آخر بالإكثار من المدرسين الأكفاء ، ومضاعفة البعوث العلمية إلى كليات وجامعات الأمم الناهضة والحرص على زيادتها باستمرار ، حتى نصل بمصر إلى المكانة اللائقة بها ، وماذا تغنى المناهج الخلابة إذا لم تتناولها الأيادى الماهرة من أكفاء المعلمين ؟

وبعد فإنه ليسرنى وسائر رجال التعليم جدّ السرور ، ونرى من الواجب علينا تسطيره بجزيل الشكر وعاطر الثناء ، إقدام وزارة المعارف — ابتداء من سنة ١٩٢٣ حتى الآن — على تكميل هذا النقص فى أقرب زمن مستطاع . فقد قررت البدء فى إصلاح البرامج ، والعمل على تهذيبها وتنقيحها . وعز على الوزارة أن يفوتها تتبع خطوات التدريج والارتقاء فى طرق التعليم الحديث ، وضرورة العمل على دراسة أحدث أساليب التعليم فى إنجلترا وفرنسا والولايات المتحدة وإيطاليا ، بواسطة مفتشين يسافرون إلى تلك الجهات ، ويقيمون فيها زمناً يمكنهم من تلك الدراسة وتقديم تقارير وافية ، تستعين بها الوزارة على أن تنقل من الطرق المستحدثة ما تستطيع به رفع مستوى التعليم عندنا .

ثم لم تكتف بذلك ، بل قرنت تقريرها لهذا الأمر — الذى شعر كل غيور عند قراءته بهزة فرح ونشوة سرور — بقرار آخر أعلى شأناً وأرفع مقاماً ، وهو الإكثار من أكفاء المعلمين والنابغين بزيادة طلبة البعوث العلمية ، فلم يفتها بذلك ما قدمناه من أن الأكثار من الأيدى الماهرة ، والرءوس المفكرة ، هو سر التقدم وأساس النجاح ؛ وما مثل البعوث العلمية التى نرسلها إلى الأمم الراقية إلا كمثل النوافذ المنزلية المشرفة على الحدائق الناضرة والبساتين الزاهرة ، كلما تعددت وعظمت ، كانت مشرقاً للنور القوى الزاهى ، ومدخلاً للهواء العاطر ؛ فكل أمة تريد أن تنهض وترقى ، لا بد أن تطل على الدنيا الحديثة ، وتتصل بالعالم المتمدن الجديد ، وهذا هو السر فى تفوق اليابان وغيرها ونهوضها تلك النهضة السريعة .

فنحن نهنئ وزارة المعارف على هذه الفكرة القيمة . ونتمنى أن تتوسع فيها ، وتنبسط ما استطاعت إلى ذلك سبيلا ، وإذا أعوزها المال فلن تعدم وسيلة للقصد أو التحوير فى أبواب أخرى من الميزانية ربما كانت أقل شأناً وأيسر خطراً ؛ وهأنذا ضارب على ذلك مثلاً : تخصص وزارة المعارف سنوياً مبلغاً عظيماً لإعانة المدارس الحرة ، ثانوية وابتدائية غيرة منها على التعليم ، وحرصاً على انتشاره ؛ غير أن من خبر حال هذه المدارس ، وسبر غور التعليم ونظامه فيها يجد — مع الأسف — أن أهم ما ينقصها ، إنما هو المدرس الكفء ، وهى فى

مجموعها عاجزة عن إيجاده ، ولها العذر فى ذلك . إذن فيم تنفق هذه الإعانات ؟ ... إنها تنفقها فى إعداد المكان ، وتجهيزه بما يلزمه من أدوات وأثاث وغيرهما ، مما لا يفيد شيئاً مادام يعوزها المدرسون الأكفاء .

فإن كان لدينا رجاء نبسطه فى هذه النقطة إلى وزارة المعارف . فهو الاستعانة بهذا المبلغ الذى يربى على العشرين ألف جنيه فى ميزانية كل عام ، على الإكثار من المدرسين الأكفاء ، وتحسين حال المدرسين ورجال التعليم ، حتى يفضل عددهم حاجة الوزارة ، ويتسنى لها إذ ذاك أن تهدى إلى المدارس الحرة من حضراتهم من يكونون فى نظر أصحابها أنفس وأغلى من تلك الإعانات .

ولعمرى إن ذلك لو تم ـ والأمل عظيم فى إتمامه بل إتمام ماهو أعظم منه شأناً ـ لكان خير خدمة تقدمها لمصر عامة ، ولتلك المدارس خاصة والله ولى التوفيق .

أحمد فهمى العمروسى

قناطر المستقبل

[بقية المنشور على الصفحة رقم ١٩٧]

بناة كوبرى (بروكلن) ، وشركة (دج أندرك للبحيرات الكبيرة) وهى التى وهبت المعرض كل الأراضى المقام عليها ، ثم شركة مصاعيد (أوبتس) ، وهى التى ركبت المصاعيد فى برج إيفل ، ثم (شركة الصلب الداخلية ، وشركة المنشآت الصلبية فى وادى المسيسبى) ، ثم (روبلسن وستين مان المهندسان) الرسامان اللذان رسما قنطرتى (مانهاتان) و (رويه) .

وقد عبر الدكتور (ستين مان) عن رأيه وزملائه فى هذا الصنف القادم من القناطر بقوله :

« إن هذه المنشآت ستكون فاتحة عصر جديد فى تصميم الكبارى فهى أرخص بكثير من الكبارى الحالية وأسرع فى البناء ، وستمكننا من بناء كبارى أكبر مما نستطيع بالطريق الحالية ، ولن تحرمنا من ميزات إقامة الكبارى بالطريقة الحالية ، وستثبت لأول مرة أن الصلب يمكن أن تزداد درجة تحمله إذا كان قابلاً للشد ، فإن قوة الأعمدة المستعملة تعادل أربع مرات قوة مثيلاتها غير القابلة للشد ، وهذه المآذن هى أعلى مآذن من الصلب فى العالم استخدم فى صنعها اللحام ، وهى أصعب الأشياء التى أمكن أن يستخدم فيها ماحدث من تقدم فى عمليات اللحام حتى الآن . وطول القنطرة ١٨٥٠ قدماً ، فإذا أردنا أن نعمل قنطرة أطول منها عشر مرات فإننا لا نحتاج لأكثر من زيادة فى الوقت وفى مواد البناء .

وكل أملنا أن يعيش قراء هذه المجلة ليروا هذه القناطر الهوائية رؤية عيان .

مستقبل الكشف والاختراع *

من حديث للعلامة الدكتور طومبسن

مع «جورج جراى»

— ما رأيكم فى مستقبل الاختراع ؟

وجهت هذا السؤال إلى العالم الكبير الأستاذ الدكتور « إليهوطومبسون » ، وأفضيت إليه بأنى أتوهم أن الاختراعات الكبيرة ، ومكتشفات العلم الأساسية قد انتهى أمرها ، ولم يبق للأجيال القادمة إلا أن تقنع بالفضلات ، فضحك منى فى رفق ، وهز رأسه كأنما عز عليه أن يتطرق مثل هذا الوهم إلى إنسان عادى ، بله المتصلين بالدوائر العلمية ، ثم أخرج من قمطر كتبه قصاصة مكتوبة بالمكتاب ، والتفت إلى يقول :

— لاشك عندى أن فى الإمكان اختراع آلة تستطيع أن تقرئنا هذه القصاصة ، بل تقرئناها بصوتها العالى ، إذا تراءى للعلماء أن فى وجود مثل هذه الآلة فائدة عملية للناس! فإن أبيت إلا الإنكار قلت لك إنه لاحدود لما يمكن أن يخترعه العلم ويكشفه ، ولابد من ذلك اليوم الذى نرى فيه أحلامنا الحالية حقيقة مادية شائعة يلمسها الناس طراً ، مادام يلوح للعلماء أن فى تحقيق أى حلم من أحلامنا فائدة عملية لنا .

الدكتور يحتكر سبعمائة اختراع !!

كنا جلوساً أمام نضد الدكتور الخصوصى فى معمل أبحاثه ، وعلى مقربة منا يتزل بمستوى الأرض درج خشبى يؤدى بالنازل إلى نموذج من ذلك الجهاز الهائل الذى اخترعه الدكتور وخاصة ليرش به رشاً دقيقاً « البلور الصخرى » المنصهر فى درجة حرارة ٣٩٠٠ فارنهيت ، وقت كلف بعمل (مرآة المائتى بوصة) التى كانت لازمة للتلسكوب المنشأ على الساحل الباسيفيكى ، وقد نجح الدكتور فيما أراد من هذا الجهاز فزادت هذه المرآة قوة « عاكس مونت ويلسون » أربع مرات ، واستطعنا بواسطتها أن نتعمق فى باطن الأرض بلايين الأميال .

---

* نشر هذا الحديث فى احدى المجلات الامريكية التى تعنى بالعلوم الطبيعية

وكان بالغرفة جهاز آخر موضوع أمامنا على النضد ، ذو قطر يختلف عن السابق ، وله عمر يختلف أيضاً عن عمر السابق ، جهاز لايبين للرائى إلا أنه اختراع سخيف فج ؛ فلم يكن إلا عبارة عن ذراع تدير زجاجة « نبيذ » لها لفافة من الحرير ، تدور أمام حامل من المطاط الاحتكاكى فيولد الدوران عنده كهرباء تحدث شرراً عند تفريغ شحنتها ؛ اخترع هذا الجهاز السخيف (الولد طومبسون !) عام ١٨٦٤ — وكان فى الحادية عشرة من عمره — لأنه كان يريد فقط أن يرى وميض نار كهربائية مثل التى قرأ عنها ، من أجل ذلك أنشأ الولد طومبسون هذا الجهاز ، وبه زج بنفسه إلى عالم الكهرباء الغامض .

وبين هذين الجهازين ، يرى المشاهد نماذج لأكثر من سبعمائة (٧٠٠) اختراع وجهاز يحتكرها الدكتور طومبسون فى الولايات المتحدة كلها ، من : « مولدات كهربائية » و « محركات كهربائية » و « مصابيح كهربائية » و « سيمافورات خطوط حديد كهربائية » و « عازلات زبد كهربائية » و « ماكينات كتم الصوت البترولية » و « آلات التصوير بأشعة إكس » ، إلى غير ذلك من سائر المخترعات والأجهزة الهندسية .

الراديو :

فلما انتهيت من إلقاء نظرة على ذلك كله ، عاد الدكتور إلى حديثه يقول :

— إن كل اختراع يفتح الباب لاختراعات جديدة ، أو تحسينات هائلة فيه ؛ فالراديو مثلا فى الأيام الحالية يمكنك أن تعتبره — دون ماحرج — لجأ غير محبب ، إذا قارنته بما سوف يكون عليه فى الأيام القادمة .

فنحن مثلا لم نستطع — حتى الآن — التغلب على الظواهر الجوية التى قد تجعله غير واضح الوضوح اللازم ؛ ولا ريب عندى فى أن هذه المسألة يفكر فيها الكثيرون ؛ وإذا تسرب الشىء إلى حيز التفكير فثق أنه لن يخرج منه إلا ليكون قطعة من التنفيذ !

خطرت ببالى أنا شخصياً معاكسة الظواهر الجوية للراديو ، فرحت أفكر فيما عسى أن يذهب هذه المعاكسة ؛ فأدى بى التفكير فى النهاية إلى إمكان اختراع راديو ذى مفتاح عادى تصدر عنه الإذاعات على موجتين طوليتين بدلا من موجة واحدة .

وهنا أخرج لى الدكتور من جيبه نموذجاً للمفتاح الذى يريد أن يستخدمه فى هذا الراديو ، وأشار إلى ثغرته الصغيرة ثم عاد يقول :

— انظره ! إنه لايختلف عن مفتاح درج المكتب العادى ، ولكنه سيفيدنا كثيراً ، لأنه سيساعدنا على سماع الصوت بالدرجة التى نريد ، فإذا أضفنا إلى ذلك نظام تزاوج الموجات المذيعة ، فأغلب الظن عندى أن سيكون لنا راديو أحسن بكثير من الراديو الحالى .

والآن بعد إذ عرفت هذا ، تظهر لك الفرصة السانحة أمام ذلك الذكى الذى يستطيع أن يخرج فكرة نظام الموجات الطولية الازدواجية إلى حيز التنفيذ ؛ وذلك الذى ينجح فى إخراجها لابد أن ينال الشهرة والمال معاً . لأنه يخرج للعالم شيئاً طالما اشتهاه وأعلن استعداده لمكافأة من يخرجه له .

التلفزة .

ويريد العالم أيضاً . تعميم أجهزة «التلفزة» - أو الرؤية عن بعد - وسيسعى إلى ذلك ما استطاع إليه سبيلا . والمرتسم فى ذهنى الآن أن الناس لن تحتاج - بعد جيل أو جيلين - إلى القيام بتلك الرحلات الطويلة - الشاقة على كل حال - لمشاهدة البلدان مشاهدة عيان وطبيعة ، لامشاهدة جغرافيا أو تصوير ، ولن تحتاج إلى الذهاب لبقعة معينة من الأرض لرؤية كسوف الشمس كما فعلوا فى أغسطس الماضى ، وقت ذهبوا إلى انجلترا الجديدة New England ليروا الكسوف هناك ؛ ويرتسم فى ذهنى أيضاً أن أجهزة التلفزة ستلقى فى طريق الجماهير ، وسيستطع ملايين الناس - وهم جلوس فى بيوتهم - رؤية الكسوف الذى يحدث فى أية بقعة من بقاع العالم .

ولكن متى يتم هذا ؟ ذلك مالا يعرفه الدكتور طومبسون ، ولكنه يعرف أن كثيراً من العلماء يشتغلون الآن بهذه المسئلة . وكما قال شاعر العرب «لابد من صنعا وإن طال السفر» ! أما طول السفر هذا فيمكن أن ندركه بسهولة إذا فهمنا أن نقل صورة « رجل » بالتلفزة ، تحتاج إلى قنال من المواصلات يساوى فى الطول خمسين مرة القنال الذى يحتاجه نقل صوت ذلك الرجل بالراديو . وإذاً فهى ليست مسئلة هينة كما يتصور بعض الناس ؛ وليست مجرد مط فى نظريات الراديو ، كما يعتقد البعض الآخر . ولكن لاشك عندى - برغم هذا - أن سيأتى اليوم الذى تصبح فيه التلفزة فى متناول العموم ، كما هو الراديو الآن . وتنقل فيه صور الناس بنفس الدرجة التى تنقل بها الأصوات هذه الأيام .

الماكينات الحرارية :

ومن الأشياء الأخرى التى يريدها العالم . يدفع فى نظيرها أوفر الأجر ؛ آلة حرارية تكون أكثر اقتصاداً وكفاءة من الماكينات الحالية . ولقد صرح لى الدكتور طومبسون أنه قد استطاع أن يحصل على ثروة طائلة من اختراعه آلة حرارية تسير بالضغط السائل ، اشتهرت فى الأسواق باسم «اليونيفلو» ركبت بحيث يدفع البخار دائماً إلى الأمام ولا يعر راجعاً على السطوح المرورة - أو الساخنة - مما أدى إلى كثير من الاقتصاد فى النفقات التى كانت تتطلبها الماكينات العادية .

الاختراع يصبح مهنة الكثيرين:

ــ وحيث إنه ما يزال فى عالم الاختراع فراغ واسع، وحيث إن الآف الفرص ماتزال سانحة للمخترعين، وحيث إن أصول العلوم أصبحت أقرب إلى الحقيقة والصواب عن ذى قبل، فيمكننى أن أقول ــ دون أن يكون فى قولى غلو ــ إن الاختراع فى مستقبل الأيام سيصبح مهنة يحترفها الكثيرون؛ ولكنى لا أحب أن يفهم من قولى هذا أن مجال الاختراع الفردى قد بدأت دولته تدول بالنظر لانتشار معامل الأبحاث.

«كلا يجب ألا يكون هذا، ولنحاربه إذا كان». هكذا أكد الرجل لى فكرته، ذلك الرجل الذى يحتكر أكثر من سبعمائة اختراع، ولا يزال وهو فى سن الثمانين يقضى الجزء الأكبر من يومه فى المعمل «أجل! سيبقى ميدان الاختراع وقفاً على الجهود الفردية، لأن تنظيم «الشرارة المخترعة» أمر غير مستطاع. وهو فى الحق ليس ذلك المعمل ذو الاستعداد التام الذى يخترع، لكنها «الفكرة الأساسية» التى تخترع، والتفكير الفردى هو الذى يوجد هذه «الفكرة الأساسية»

الفكرة الأساسية:

ثم أخذ الدكتور يشرح لى رأيه السابق فقال:

ــ لا أقصد بالفكرة الأساسية إيحاء ما مطلقاً، أو إحساساً بأن تحسيناً ما ينقص جهازاً من الأجهزة أو اختراعاً من المخترعات، وإنما أقصد بها «تخيل تفاصيل هذا النقص أو التحسين تخيلاً علمياً يشمل الجهاز من كل الوجوه». فأى إنسان مثلاً يمكنه أن يحس أننا فى حاجة إلى آلة حرارية أقدر وأكفأ، وأن التلفزة يجب أن تعم العالم وتصبح فى متناول الجميع، وأن الراديو يجب ألا يكون خاضعاً للعوامل الجوية، ولكن إحساس الناس أجمعين بهذا، ليس معناه أنهم حصلوا عليه! وليس الاختراع عندى إلا مرانة التخيل مرانة علمية شاملة. وكما أن الشاعر لا يكون شاعراً إلا بالخيال، والقصيد بعده، فكذلك «المخترع» لا يكون مخترعاً إلا بالخيال، والجهاز بعده.

المصادفات وأثرها فى الاختراع:

ثم عرج الدكتور على المصادفات وأثرها فى الاختراع فقال: إن الفكرة الأساسية فى الاختراع قد تأتى فى بعض الأحيان كالوميض أو محض الصدفة، أو بدون أى مجهود عقلى من جانب المخترع. وضرب لى الدكتور مثلاً بنفسه، وكيف أن الفكرة الأساسية فى «عملية اللحام الكهربائى» قد جاءت إليه عفو الصدفة، فقال:

- كنت ألقى على طلبة العلوم فى معهد (فرانكلين) بفيلادلفيا محاضرة فى الكهرباء وكيف أن سائر أنواعها المدرجة بالكتب المدرسية ذات طبيعة واحدة وكنه واحد. وكان على النضد أمامى الجهاز الذى يعينهم على فهم ذلك، فأثناء التجربة لفتت نظرى شرارة كهربائية شديدة التوتر، صادرة عن مجموعة من «أباريق ليدن»، فتتبعتها فوجدت أطراف السلوك الأصلية - التى فى خلالها أفرغ التيار شحنته - قد التحمت ببعضها البعض التحاماً جيداً، حتى إنى احتجت لفض اللحام إلى شىء من الجهد لا يستهان به.

وكان هـذا كافياً لثبوت هذه «الفكرة الأساسية» فى عقلى. ومن تلك اللحظة عرفت كيف أصنع جهازاً للحام المعادن بالكهرباء، وتقضت بعد هذا الكشف سنوات قلائل، ثم حانت الفرصة للتنفيذ فنفذت الفكرة، ومن ثم عمت وانتشرت وأخذت مكانها اللائق بها فى عالم الاختراع. ولا يزال النموذج الأصلى الذى صنعته بيدى محفوظاً بمتحف وشنجتون الأهلى.

وضرب لى الدكتور مثلاً آخر عن أثر المصادفات فى الكشف بذلك «المزيج المعين» الذى كان قد مزجه فى أحد دروسه لغرض خاص - وقت كان يدرس فى مدرسة الصبيان العليا بفيلادلفيا - ولكن نسبة المزيج جاءت خطأ أدى إلى حدوث مزيج جديد، لفت نظره، فاختبره، وما كان أروعه مزيجاً! لقد وجد الدكتور - لحسن حظه - أن فى استطاعة هذا المزيج نقل التيارات الكهربائية من (ضغط) إلى آخر، ومن (فولت) إلى (آخر)! ويستطيع القارىء أن يتصور ولا شك، أنه لولا تلك المصادفة، ما كان يمكننا نقل الكهرباء لمسافات بعيدة من ضغط إلى آخر، ومن فولت إلى آخر، بمثل هذه السهولة التى نلاقيها هذه الأيام.

ثقافة المخترع:

ونحن نشاهد الآن أن المخترع الناجح، هو الذى تثقف بثقافة شاملة، وتدرب تدريباً عالياً. فإذا كان العالم يأخذ فى التعقد بمرور الزمن فقد استوقفنى مدى ما يجب أن يكون عليه المخترع الناجح من العلوم فى الأيام القادمة، فأحببت أن أستنير برأى «بطل الاختراع» هذه الأيام؛ فسألته رأيه فتفضل قائلا:

- عندى أن العالم ليس آخذاً فى التعقد بالدرجة التى تتصورها، وأعتقد أن الفرصة ما تزال سانحة لمن يشمر عن ساعد الجد؛ كل ما هنالك أن المخترع الناجح فى الأيام القادمة يجب أن يكون عارفاً مادته جيداً؛ وعلومه التى ستكون أساسية له هى: الكيمياء، والطبيعة، والرياضة، فهـذه العلوم الثلاثة بفروعها جميعاً ستكون ضرورية للمخترع جداً؛ وهو لن يستطيع الاقتصار على هذه العلوم فقط؛ بل إن الثقافة العالية فى سائر العلوم الأخرى ستصبح ضرورية له أيضاً، ولكن بنسبة أقل من الأولى طبعاً؛ وسيبقى

الاكتشافات تحدث لمحض المصادفة ، وستبقى صادرة عن بعض الدوافع والبواعث والمحركات ، وكل ما يجب على المخترع الناجح عند حدوثها ، هو أن يكون فقط قادراً على إدراك واختبار كل ما يمكن أن يؤدى إليه الاكتشاف من الناحية العملية .

وبالنسبة للدكتور طومبسون : فقد كانت معرفته بالكيمياء مثلا هى التى ساعدته على إدراك ضرورة استعمال « الفضة النقية » بدل « الفضة المخلوطة العادية » فى المقاييس الكهربائية، مما أدى بمقياسه إلى التفوق على مقاييس غيره فى مسابقة علمية .

الطب الحديث والاختراع :

ويظن الدكتور طومبسون أن استخدام الكهرباء فى الطب الحديث ، سيفتح الباب واسعاً أمام المخترعين ، ولا شك عنده أن الباب سيفتح على مصراعيه حينما يتيسر للإنسان اكتشاف « الخواص الكهربائية » المخبوءة بالأستار خلف تلك العملية التى نسميها « الحياة » .

« انظر إليهم الآن وقد استطاعوا إحداث شفاء أنواع شتى من الحميات! أليس ذلك بداءة علم كامل وجديد فى الطب الكهربائى ؟ »

كما يعرف أن قليلا من الناس هم الذين يستطيعون سماع أصوات تزيد عدد ذبذباتها على عشرة آلاف فى الثانية، وبالمثل قليلون يستطيعون تحمل (صدمة كهربائية) تزيد عدد ذبذبات تيارها على عشرة آلاف فى الثانية .

وقد اتضح للدكتور طومبسون بعد إذ اختبر ما عسانا نستفيده من هذه المعلومات العامة، أنه إذا سلط مثل هذا التيار الكهربائى على منطقة ما بين (الإبهام) و(السبابة) ، فإن هذا الجزء من اليد يصبح غير حساس — أو متخدراً على حد تعبير الأطباء — وفى هذه الحال يمكن استخدام السكين العادية لقطع اللحم فى هذه المنطقة ، دون أن يشعر الانسان بألم أو توجع غير عادى ؛ ومن هنا يقول الدكتور بأن التيار الكهربائى سريع الذبذبة يمكن أن يستخدم كنوع من (البنج) ، وخاصة فى العمليات الدقيقة التى يصعب فيها التخدير الموضعى بالبنج أو غيره من العقاقير .

كلمة ختامية :

فاذا عرفت بعد كل ما تقدم أن الدكتور طومبسون يخصص من يومه للفنون والقراءة وقتاً لا يستهان به ، استغله جيداً حتى صار مصوراً بالزيت بارعاً ، له عدة صور جميلة ، وموسيقياً لا يكتفى بالعزف على الآلات الموسيقية فقط ، بل يصنعها لنفسه بنفسه ، وهاوياً لا يشق له غبار فى التصوير الشمسى ، وإذا عرفت أنه لا يستسلم لليأس مطلقاً ولا يعرف التشاؤم ، ثم يجىء إلى ذهنك بعد كل ما تقدم أنه الآن العالم الأمريكى العملى الأول ، أدركت ما يجب أن يكون عليه مخترع المستقبل .

في التاريخ القديم :

روما الجمهورية

عن المؤرخ الانكليزي ماندل كريجتون

يظهر أنه لاجديد تحت الشمس حقاً ، ويظهر أيضاً أن حدود الاختراع الفكري في الانسان محدودة كذلك ، وإلا فبأي منطق تفسر تلك الحروب الطاحنة التي يعب بها العالم الآن ، والتي يدلنا التاريخ على أن مثلها بالذات قد حدث في العالم القديم ؟ فإذا كان تاريخ العالم يتكرر ، فما أحرانا أن ندرس التاريخ القديم ، باحثين محللين ، منبتين نافين ، فلا نتعرض بعد لما وقعت فيه الانسانية قديماً .

وحيث إن التشريع في العالم الآن مستمد – قليلاً أوكثيراً – من التشريعين اليوناني والروماني القديمين ، وهذين مأخوذان من التاريخين اليوناني والروماني القديمين ، فما أجدر أن ندرسهما بشيء من التحليل ، حتى إذا استطعنا أن نحصل من مثل هذه الدراسة على فائدة واحدة فقط ، كانت دراستنا ناجحة .

وقد تصدى المؤرخ الإنجليزي الكبير الأستاذ « ماندل كريجتون » لدراسة تاريخ الرومان فكانت « روما الجمهورية » أول بحوثه ، التي نعربها للقارىء فيما يلي :

***

لما صمم الرومان على أن لا يكون لهم ملوك ، سلموا مقاليد الحكم إلى رجال كان الواحد منهم يتولاه سنة واحدة فقط . وأسموه « ديكتاتوراً »[1] ، وظل الحكم هكذا حتى اتضح لهم أن السلطة التي خولوها الدكتاتور ماتزال كثيرة على رجل واحد ، وعز على رجال الحروب أن ينفرد منهم بالحكم رجل واحد فقط ، فقاموا ضده ونصبوا مكانه رجلين من نابهي الضباط يتوليان الحكم لمدة سنة واحدة فقط ، وأسموهما « القائدين » ، وأظهر القواد الذين تولوا الحكم مهارة في تصريف سائر الشئون ، ولما لم تقتصر مهارتهم على شئون الجيش ، أسموهم « المستشارين العامين » – مكافأة لهم – ولم تلغ الدولة نظام « الدكتاتورية » بل احتفظت به لوقت الحاجة ، فعند ما كانت تهدد الأخطار البلاد ، كانوا ينتخبون « دكتاتوراً » مؤقتاً ينتهي حكمه بزوال الخطر ، وبعض هؤلاء الدكتاتوريين المؤقتين استمر حكمه أكثر من ستة شهور ، كان

(١) التعريب الشائع للفظة Dictator ومعناها باللغة الانكليزية « الذي يملي على نفسه » .

فيها الحاكم الأوحد الذى لامرد لحكمه، وكانت حقوقه لا تقل عن حقوق الملوك السابقة؛ أما فى الأحوال العادية «فالمستشاران العامان» هما اللذان كانا يترأسان المجلس النيابى. وهما اللذان كانا يقودان الجيش فى المعارك. واتسعت كثيراً سلطة المجلس فى عهد المستشارين العموميين عما كانت عليه أيام الحكومة الملكية، وصار التشريع لا يسرى ولا ينفذ إلا بعد موافقة الوطنيين.

الصعوبات الأولى:

ولكن الحكم الجمهورى فى روما قد احتاج فى استقراره وتوطيد أركانه إلى وقت ليس بالقليل، وفى الأيام الأولى للحكم الجمهورى لم تكن روما قوية قوتها أيام الحكم الملوكى، فانتهزت المدن اللاتينية الأخرى فرصة تغيير نظام الحكم وهاجمتها كما هاجمها الطسقانيون أيضاً، وحاصروها بحراً وأتلفوا الأراضى وعاثوا فيها مفسدين، فعانت روما كثيراً من جراء ذلك، حتى لقد توهم بعض المؤرخين أنهم استولوا عليها، ولكن روما طردتهم بعد جهد جهيد، وبعد إذ كان (الرومان الدخلاء) [1] فى حال تناهى بؤسها، نظراً لأن أغلبهم كان يشتغل بالزراعة، والحرب من شأنها أن تخرب الزراعات والحقول، هذا على ماتحتم عليهم من الخدمة فى الجيش دون أن تكون لهم أية مكافأة مالية على خدمتهم، وعلى ماتحتم عليهم كذلك من دفع الضرائب الجديدة التى كانت تفرضها الولاية عند ما يتحرج مركزها المالى؛ ومن هنا لاعجب إذا رأينا (الرومان الدخلاء) يغرقون فى الاستدانة من (الرومان الوطنيين) الذين انتهزوا فرصة عوز هؤلاء فحاولوا تمكين نفوذهم فى الولاية عن طريق إذلالهم بالدين، وكان قانون القروض المدنية عند الرومان صارماً للغاية، ظالماً أقصى الظلم؛ إذ أنه كان يجعل المدين ملكاً للدائن يحق له سجنه — دون محاكمة — فى سبيل دينه كما يجوز بيعه رقيقاً، وكانت بيوت (الرومان الوطنيين) تحوى سجوناً ملحقة بها، فلما كثر المدينون غصت سجون بيوت الدائنين!

الرومان الدخلاء يحكمون أنفسهم:

وأخيراً ضاق (الرومان الدخلاء) ذرعاً بتلك القسوة التى كان يعاملهم بها (الرومان الوطنيون)؛ ففى عام ٤٩٤ خرجوا كلهم مجتمعين من روما إلى تل على مسافة أميال قليلة منها، على أن ينشئوا لهم هناك مدينة جديدة. ولما كان هؤلاء (الدخلاء) هم الذين يفلحون الأرض ويقومون بسائر الأعمال اليدوية، فيمكنك أن ترى — غير مخطىء — أن (الوطنيين) أسقط فى أيديهم من خروج (الدخلاء) لما يمكن أن يصيب المدينة بعدهم من تلف ودمار. واجتمعوا يتشاورون

---

(١) هم المعروفون فى الانكليزية باسم Plebeians؛ والمقصود بالتسمية الناس الذين قدموا الى روما اذ ليعيشوا فيها بعد اتسعت حدودها، أما أهالى روما الأقدمون فهم الوطنيون أو tParciiaus

الأمر ، فقرروا فى نهاية ذلك الاجتماع إرسال أحد الحكماء الماكرين [1] ليحاول الضحك منهم بشىء من السفسطة ، فيحملهم على الرجوع . وفعلاً ذهب ذلك الماكر وقص عليهم القصة الخرافية الآتية :

« حدث ذات مرة أن تآمر جميع أعضاء الجسم على « المعدة » قائلين لأنفسهم : بينا نحن الذين نتعب ونشقى ، إذ بالمعدة راقدة على أريكتها وسطنا تأخذ ما نأتى به وتتمتع به وحدها ، دون أن تبذل أى مجهود ، فلنضرب عن العمل حتى نميتها جوعاً أو تشترك معنا . فأضربوا واستمر إضرابهم حتى جاعت المعدة جداً وبدأت تمرض ، على حين كانوا قد بدءوا يجوعون ويمرضون ، تبعاً لجوع ومرض المعدة ، فلما رأوا ذلك عادوا إلى التعاون معها ، وعادت إلى العمل معهم ، فمثلكم مع (الوطنيين) مثل سائر الأعضاء مع المعدة ، إذا أنتم حاولتم إماتتهم جوعاً فسوف تموتون بموتهم »

وكانت هذه الخرافة كافية لأن يعتقد (الدخلاء) بخطل موقفهم من (الوطنيين) ، فاتفقوا مع الحكيم على أن يعودوا إلى المدينة مشترطين شرطاً واحداً ، هو أن يتولى الدفاع عنهم « قواد » ينتخبونهم من بينهم .

ووافق (الوطنيون) على ذلك الشرط ، فرجع (الدخلاء) وانتخبوا منهم ضباطاً أسموهم « الوكلاء العموميين » . فصلحت حال (الدخلاء) كثيراً بوجودهم ، إذ كان فى استطاعتهم تخليص أى (دخيل) من أى (وطنى) ، وكانت بيوتهم (حمى) يلتجىء إليه المطاردون . وكانت أبوابهم تفتح ليلاً ونهاراً ، وأى إنسان يحاول إيذاءهم أو النيل منهم من (الوطنيين) تحكم عليه (الولاية) بتجريده من حقوق (الوطنيين) ، إذ اعتبرت أجسامهم مقدسة تقديس أجسام الرسل والأنبياء .

***

مما تقدم يمكننا أن نستنتج أنه كانت هناك حكومتان تجمعهما حكومة واحدة : حكومة (الوطنيين) ويرأسها (المستشاران) ، وحكومة (الدخلاء) ويرأسها (الوكيلان) .

ولكن رغم هذا الاتفاق فإن كثيراً من الاعتداء قد وقع من إحدى الحكومتين على الأخرى ، مما أدى إلى ثورة المعتدى عليه على المعتدى ، ليأخذ لنفسه بالثأر ، وهكذا وقعت روما فى فوضى داخلية عنيفة انتهت بإعلان انفصال الحكومتين ، وأخذت كل منهما تعمل على حكم نفسها بنفسها فقط .

الصراع بين الوطنيين والدخلاء :

ولقد يمكن أن نظن أن وجود حكومتين مستقلتين داخل أسوار روما ، كان من شأنه ألا

(١) هو المسمى Meninius Agrippa

يجعل روما ولاية قوية لها فى الفتح والغزو ، ولكن الحقيقة غير ذلك ، فإن المائتى سنة الأولى من حياة روما الجمهورية كانت صراعاً مستمراً بين الوطنيين والدخلاء ، ولكن كلا من الطرفين كان يخضع لدستور الولاية كل الخضوع ، فكان يعتبر الطرف الآخر زميلا له فى الحقوق المدنية والسياسية، ولو أنه كان يعمل على معارضته فى بعض الأمور ، ولكنه كان صراعاً سلمياً أكثر منه دموياً ، ولم يذكر أحد مؤرخى روما القديمة أن حرباً أهلية أنشبت أظفارها بين الحكومتين ، وعلى النقيض من ذلك نرى الحكومتين تتعاونان قلباً وقالباً فى تصريف الشئون الخارجية ومحاربة الأعداء .

ما أفاده الرومان من هذا الصراع :

وأية أمة على استعداد للإفادة من تجاريب الحياة ، لايمكن أن تنال من مثل هذا الصراع إلا أحسن الفوائد .

وهانحن أولاء نرى الرومانيين قد تعلموا منها أن يكونوا قساة رحماء فى نفس الوقت، وعلمت كل مواطن — سواء أكان وطنياً أم دخيلاً — ما عليه من الواجبات نحو الولاية ،وأوجدت أمامه عملاً مستمراً يجب عليه أن يؤديه كأحسن ما يكون الأداء .

واحترم الدخلاء أصحاب الولاية الوطنيين ، وعرفوا أنه لا انتصار لهم عليهم إلا بالعمل لما فيه صالح الولاية ليكون هذا دليلاً عملياً على أنهم يستحقون أن ينالوا كل مطالبهم منهم. وتمسك الوطنيون فى بادىء الأمر بامتيازاتهم كل تمسك ، ولكنهم حين لاح لهم شبح خراب البلاد إذا أصروا على موقفهم ، سلموا للدخلاء بمطالبهم ورضوا فانتهى أمر ذلك .

ومن هنا تعلم الرومان فوائد الطاعة والانقياد وحكم النفس والمثابرة ، كما تعلموا أن يكونوا عقلاء فى حياتهم الخاصة ، وفى شئونهم العامة كذلك ، معتبرين آحاد كل من الفريقين آحاداً تكون كلاً لايتجزأ.

وهذه « الحكمة السياسية » — كما أسموها — قد ساعدتهم كثيراً فى أيامهم التى تلت ، حتى لقد أحدثوا فى دساتيرهم بعض تغييرات استوجبتها الحال،دون أن يصدهم عن ذلك تمسكهم الشديد بقديمهم،ودون أن يكون حدوث التغيير طفرة أو أكثر طيشاً .وهو تعلمهم حكمة الفرار وقت إذ يجب الفرار ، وإحداث التغيير عندما يجب حدوثه ، هو فقط الذى جعلهم أهلاً لحكم العالم كله ، عند ما تم لهم فتحه .

ماذا كانت مطالب الفريقين؟

وقبل أن ننتقل من الكلام عن هذا الصراع ، لابد لنا أن نتكلم عن بعض المطالب التى كافح لتحقيقها كل من الفريقين . ظل هذا الصراع مائتى عام ، ويمكن تقسيمه إلى فترتين :

الفترة الأولى تبدأ من عام ٤٩٤ وتنتهى فى عام ٤٥٠ ق . م ، وفيها حاول الدخلاء أن يتخلصوا من المظالم التى لحقتهم .

الفترة الثانية تبدأ من عام ٤٥٠ وتنتهى فى عام ٣٠٠ ق . م ، وفيها حاول (الدخلاء) الاشتراك فى حكم الولاية إلى آخر مايمكن الحصول عليه .

فأما أول محاولة للتخفيف من بؤس وفاقة الدخلاء ، فقد كانت (قانون الأراضى الحربية) الذى أصدره (سبيريوس كاسيوس) عام ٤٨٦ ق . م .

كان (سبيريوس) هذا من الوطنيين وكان مستشاراً عمومياً أدى فى مدة حكمه للولاية كثيراً من الخدمات ؛ أهمها عقد صلح مع المدن اللاتينية التى كانت تضارع روما قوة .

وقد وصلت إلى سمعه أنات (الدخلاء) من عبء الديون الباهظة التى أغرقهم فيها (الوطنيون) ، والظاهر أنه كان رجلاً إنسانياً قبل أن يكون وطنياً ، وإلا فبماذا نفسر اقتراحه على (المجلس النيابى) تقسيم الأراضى الأميرية [1] بين فقراء الدخلاء عسى ذلك يخفف قليلا من بؤسهم وفاقتهم ؟

وكان المجلس كله حتى ذلك الوقت من الوطنيين ، لذلك نراه أقره لعدم إثارة الدخلاء ، ولكنه من القوانين التى وضعت على الرف إلى وقت ما . وقد كره الوطنيون (سبيريوس) هذا ، وفكروا فى طريق يتخلصون بها منه ، فاتهمه بعضهم أمام المجلس بأنه يرمى من إصدار مثل هذا القانون إلى أن يكون رجلا شعبياً ، ثم يقوم على أكتاف الشعب ويعطى الملكية من جديد ، وكانت هذه التهمة كافية لقتله شر قتلة !! عام ٤٨٥ ق.م ؛ ولكن (الدخلاء) الذين من أجل صالحهم قتل (سبيريوس) لم ينسوا هذا القانون ، ولسوف نسمع به مرة أخرى .

كيف قويت شوكة الوكلاء ؟

ازدادت تعاسة (الدخلاء) بعد مقتل (سبيريوس) وتبع ذلك ازدياد خطورة (الوكلاء) ، فقد بدأ (الدخلاء) يعتبرون الوكلاء حكامهم الذاتيين ، وبدأ (الوكلاء) كلما جد خطب يستدعون قبائل الدخلاء كلها لمناقشة ما يجدر بهم أن يفعلوه أو يقولوه . فكان (الدخلاء) يحضرون كلما دعوا ، ويصرفون الشئون التى تهم القبائل كلها ، كلاً وفقاً لمصلحة قبيلته ، وكانوا فى بادىء الأمر يقررون الحلول فقط ولكنهم لاينفذونها ، وطبعاً لم ترق (الوطنيين) من (الدخلاء) هذه الاجتماعات فحاولوا منعها ، فلم يزد ذلك (الدخلاء) إلا تمسكا بها وتعلقاً بأهدابها ، ومن هنا زادت أهمية هذه الاجتماعات . ومن هنا أيضا يمكننا أن نقول كما تقدم إنه صار فى روما حكومتان : حكومة (المستشارين)، وهذه تستشير (المجلس النيابى) ثم تصدر القوانين برضاء الأسر الوطنية ممثلة فى قرار يصدره (مجلس العائلات) ؛ وحكومة (الوكلاء العموميين) التى تستشير (مجلس القبائل) ، وكانت قرارات هذا المجلس ذات أثر ونفوذ ، ولو أن

(١) كانت روما عند ما تحتل أرضا أجنبية تقسمها ثلاثة أجزاء : للوطنيين جزء ، وللآلهة التى كانت تعبدها جزء ، وجزء آخر يصبح من الأراضى الأميرية ، وهو المقصود هنا .

الوكلاء العموميين لم يكونوا يستطيعون وضع أى قانون ، إلا أنه كان فى مكنة (الوكلاء) حماية أى شخص يخرج على قانون يصدره (المستشاران) ولا يوافق عليه (مجلس القبائل) ، ومن هنا يوقف تنفيذ القوانين التى لا يقرها (الدخلاء) بطريق عملية صرفة .

مجلس العشرة :

ولم يكن ممكناً أن تظل هذه الحال طويلا ، ففى عام ٤٦١ ق . م ، اقترح (الدخلاء) إلغاء نظام (الوكلاء) و (والمستشارين) ، وتولية الحكم عشرة رجال ينتخبون من (الدخلاء) (والوطنيين) على السواء ، وعلى هؤلاء العشرة وضع القوانين ، ثم كتابتها وتعليقها للناس جميعاً فى (السوق العمومية) [١] لكى يعرفها الرومان كلهم ، ويعمل بها الرومان كلهم سواسية ، وكان الرومان كلهم يجتمعون فى السوق ، وحتى ذلك الوقت كان إصدار القوانين قد احتفظ به (الوطنيون) لأنفسهم ، لذلك نراهم لم يجيبوا هذا الطلب بادىء الأمر ، وكانت السنوات العشر التاليات صراعاً عنيفاً من الطرفين بمناسبة هذا الاقتراح ، انتهى بفوز (الدخلاء) عام ٤٥١ ق . م .

وانتخب مجلس العشرة فوضع القوانين وعلقها فى السوق كما أراد (الدخلاء) ، ولكن أحد العشرة كان رجلاً متكبراً متعالياً ، (وكان يسمى آبيوس كلوديوس) ، وكان دائماً يناقض آراء المجلس ، فحدث مرة أنه أراد لخادمه فتاة رجل من (الدخلاء) فأوصى أحد أتباعه أن يقول : إن (فرجينا) — وهو اسم الفتاة — ليست حقاً ، ابنة ذلك الدخيل وإنما هى رق من بين عبيده ، وكان (آبيوس) هو المكلف بالفصل فى الأمر ، فما أسرع ما أقر المدعى على دعواه ، وكان (الدخيل) جندياً فحين سمع الحكم أسرع إلى روما من المعسكر ليودع فتاته ، ولكنه بدل أن يودعها عمد إلى سكين اقترضها من أحد القصابين من أصدقائه فى السوق وشج بها بطنها وهو يقول « هذه هى الطريق الوحيدة لإبقائك حرة يابنيتى » .

وهاج هذا الحادث الدخلاء كلهم ، فثاروا ضد (آبيوس) ومجلس العشرة معاً ، وأبعدوهم عن الحكم ، وأعادوا نظام الوكلاء والمستشارين مرة أخرى ، وكان الدخلاء قد اكتسبوا حق الاشتراك فى إصدار القوانين ، فمن اللحظة التى أخلى فيها عن الحكم مجلس العشرة فى عام ٤٥٠ ق . م لم يصادفوا من الذل ماصادفوه من قبل .

المراقبون :

وطوال المدة من عام ٤٥٠ إلى عام ٣٠٠ ق . م ، وهى فترة الصراع بين الفريقين ، كان (الدخلاء)

---

(١) كانوا يسمونه Forum

يحاولون أن يكون منهم بعض من يشغلون مناصب القضاء والحكم ، ولا تقصر هذه الوظائف على الوطنيين ؛ ففى سنة ٤٥٠ لم يكن يحق لهم تولى أية وظيفة رسمية من مناصب الدولة، ولكن ماجاءت سنة ٣٠٠ حتى كان يحق لهم الجلوس على منصة أية وظيفة يرشحون أنفسهم لها وينجحون فى الانتخاب . وبلغ الصراع أشده على منصب (المستشار العمومى) ، فقد بذل (الوطنيون) جهدهم لحرمان الدخلاء من التقدم إليه ، وطال الصراع حوله ، ولكن الهزيمة صادفت (الوطنيين) مرة أخرى ، ونال الدخلاء حق الترشيح لمنصب (المستشار العمومى) ، فلما رأى الوطنيون ذلك ، عملوا على الانتقاص من سلطة (المستشار) ! بأن أشركوا مع (المستشارين) فى الحكم رجالاً أسموهم (المراقبين) ، لا ينتخبون إلا من الوطنيين فقط ، ويتولون منصبهم لمدة خمس سنوات، وتكون مهمتهم مراقبة الناس والبحث عن أخلاقهم وطبع نشرات بتعداد الولاية، ورأى المراقب فى سيرة كل شخص ، وقيمته فى نظر الولاية ؛ ومن هنا ترى تعمد توسيع السلطة التى خولت المراقب بقصد الانتقاص من سلطة (المستشارين العموميين) .

ولكن وجود المراقب ليعد الناس ويقدم التقارير الوافية عنهم ، يدلنا من جهة أخرى على تعلق الرومان وحبهم النظام .

نفوذ مجلس القبائل :

إلى ذلك الوقت كانت روما دائمة الاشتغال بالحروب ، ولما كان (الدخلاء) هم الذين أظهروا نبوغاً فى الحرب أكثر من (الوطنيين) ، فقد ساعدهم ذلك كثيراً للحصول على نفوذ أوسع . وظل هذا النفوذ يتسع حتى طلبوا من (الوطنيين) أن تكون القرارات التى يصدرها مجلس القبائل بمثابة (قوانين للولاية) كما هى الحال فى القرارات التى يصدرها (مجلس العائلات) ! ! واضطر (الوطنيون) إلى إجابتهم لهذا الطلب ، ولكنهم لم ينفذوا شيئاً من القوانين التى أصدرها مجلس (القبائل)، لذلك بقى الصراع مستمراً .

وأخيراً فى عام ٣٧٦ ق . م اعتزم اثنان من (الوكلاء العموميين) أن يكتسبا للدخلاء الحق فى منصبى (المستشارين العموميين) — وهما (كايوس لوسينيوس) و (لوسيوس سكتيوس) — فجمعا (مجلس القبائل) وأصدرا ثلاثة قوانين فى وقت واحد، وطلبا من (الوطنيين) تنفيذها فى الحال . وكانت هذه القوانين الثلاثة فى مصلحة فقراء وأغنياء (الدخلاء) ، لذلك هبوا مرة واحدة عاملين على تنفيذها .

أما هذه القوانين فهى :

أولا — يجب أن يساعد الأغنياء الفقراء على دفع ديونهم .

ثانياً — إذا انتهى الفقراء من تسديد ديونهم تعطى لهم قطع صغيرة من الأراضى الحربية

الأميرية يعطى للوطنيين ، ولا يحق للأثرياء إلا رعاية مواشيهم فى بعض هذه الأرض وزرع القليل.

ثالثاً — يجب أن يكون أحد المستشارين العموميين من الدخلاء .

ويطلق على هذه القوانين الثلاثة عادة اسم (قوانين لاسينيان) . ويمكننا أن نتخيل جيداً كم غاظ (الوطنيين) طلب (الدخلاء) منهم تنفيذها فى الحال .

وانقضت سنوات عشر كلها صراع مستمر ، كان (لوسينيوس) و (سكتيوس) ينتخبان فيها (وكيلين عموميين) عاماً بعد عام ، وكانا يستغلان وكالتهما إلى آخر حد مستطاع ، مما جعل (الوطنيين) يتوقفون عن انتخاب (المستشارين) خمس سنوات كاملة ، بحجة أن ليس هناك فائدة من انتخاب (مستشارين) ، مادام (الوكيلان الوطنيان) كفيلان بحماية كل خارج على القوانين واللوائح التى يصدرها المستشاران ؛ وإذاً فقد اضطر (الوطنيون) إلى التسليم أخيراً بهذه القوانين الثلاثة ، وانتخب أول مستشار عمومى دخيل سنة ٣٦٦ ق . م

نهاية الصراع :

وفى سنة ٣٦٦ هذه ظهر انتصار (الدخلاء) المبين واضحاً . وكان عليهم بعد انتخاب المستشار الدخيل أن يصارعوا (الوطنيين) حتى ينفذوا هذه القوانين الثلاثة فعلاً بعد تقريرها كتابة، ومكر الوطنيون فعملوا على إحراج مركز المستشار الدخيل ليشغل بتوطيده الدخلاء مدة طويلة، يكون فيها قانون الأراضى الأميرية قد تنوسى ! ولكن المكر لم ينفع هذه المرة فانتصر الدخلاء ونفذت القوانين الثلاثة، وصار للدخيل من الحقوق المدنية والسياسية ما للوطنى وفق ما تسمح به العدالة والمساواة وحاجة الحكومة. بل لقد حاز الدخلاء أكثر مما نال الوطنيون ؛ لأن منصبى الوكيلين العموميين كانا باقيين لم يلغيا ، فى حين أنه لم يكن يوجد مثلهما عند (الوطنيين) ، وعلى أنه لابد أن يكون أحد المستشارين منهم ويجوز أن يكون منهم الاثنان ، ومن هنا نرى أن الوطنيين قد فقدوا فى آخر الأمر أغلب الأشياء ، نظراً لإصرارهم على اختصاصهم بها وحدهم.

وفى الحق أن هذا الصراع العنيف بين الوطنيين والدخلاء هو صراع عجيب جداً فيجب أن نذكر أن كلا من الفريقين كان يعيش فى نفس روما ، وأن رجال الفريقين كانوا يقابلون بعضهم البعض فى مختلف الشوارع والطرقات ، والفريقان — على عداوتهما — لا يقتتلان ولا يتحاربان ولا يتحرش أحدهما بالآخر عملياً فى قليل أو كثير . وإنما كان صراعهم سلمياً على قدر ما تسمح به قوانين الولاية ، ولو أن كليهما فكر مراراً فى تغيير هذه القوانين التى تحده وتقعد به عن النصر ؛ كان صراعاً عنيفاً ، ولكنه صراع احتفظ فيه كل من الطرفين بهدوئه ولم يستعجل أحدهما الانتصار ، بل تركه يأتى وقت مايريد ؛ لأنهم كانوا يعرفون أن النصر فى النهاية للأقوى ، مهما يطل زمن الصراع .

والتاريخ لا يحدثنا عن دولة كانت فى صراعها الداخلى ، أعقل ولا أحزم من روما القديمة ، اللهم إلا انجلترا .

الأدب في روسيا

أدب الجرأة والحياة

يجرى فريق من النقاد الغربيين على طريقة مبتكرة لتعريف الآداب وتمييزها من بعضها ؛ فهم لا ينسبون الأدب إلى اللغة التى يكتب بها ، جرياً على القاعدة التى نتبعها حتى اليوم ، بل يعمدون إلى أظهر ميزات أدب من الآداب فيعرفونه بها ، ولما كان لكل أدب ميزة خاصة كانت هذه الطريق شبه مأمونة ، لايخشى منها لبس ولا عثاراً إلا فيما ندر .

وهكذا أصبحنا نطالع فصولا ممتعة فى أدب « الرقة والظرف » لا فى الأدب الفرنسى ، ونقرأ بحوثاً عن أدب « البلاغة والمتانة » لا عن الأدب الأنجليزى ، ونستظهر متوناً من أدب « القوة والجبروت » لا من الأدب الألمانى . . . ولو جرينا على هذه القاعدة ، لجاز لنا أن نحدث قراء « المعرفة » الغراء ، عن أدب « الجرأة والحياة » لا عن الأدب الروسى !

وإذا كان أولئك النقاد قد وفقوا بعض التوفيق فى الأدب الفرنسى والأدب الانجليزى والأدب الألمانى ؛ فإنا لنحسبنا وفقنا كل التوفيق فى تعريف الأدب الروسى ، والأدب الروسى الحديث خاصة ، فهو أدب « الجرأة » وأدب « الحياة » معاً ، ولكنه أدب الحياة أكثر منه أدب الجرأة ، لأنه مطلق فى الأولى مقيد فى الثانى .

ليس من شك أن الأدب الروسى جرىء ، وجرىء إلى حد بعيد ، سواء فى ذلك المواضيع التى يطرقها ، والمذاهب التى يبشر بها ، والأساليب التى يلجأ إليها ، ولكنه رغم هذه الحرية يرتجف فرقاً من شبح سلامة الدولة والتآمر على قلب النظام الاجتماعى الحالى ، فهو يستطيع أن يطرق كل موضوع ، ويستطيع أن يقول فيه كل مايريد ، إلا أنه لايستطيع أن ينقد ، بل يستطيع أن يذكر النظام الراهن فى البلاد الروسية — اجتماعياً كان أم إداريا — بكلمة اللهم إلا إذا أراد الإطناب فى مدحه ، والإغراق فى حرق البخور لرجاله وعواهله .

وإذا الجرأة الأدب الروسى ليست جرأة مطلقة ، وإنما هى جرأة نسبية ، تقيدها المصلحة العامة بقيود ثقيلة ، ولكنها على كل حال جرأة طموحة تفتتح لها فى كل يوم وفى كل ساعة ميادين جديدة ، وساحات لاعهد لها بها من قبل .

وهو أكثر من ذلك كله ، أدب « الحياة » ، لاحياة الأبهة والزخرف ، بل حياة البساطة

والسذاجة ، حياتك وحياتى وحياة أكثر الناس ، إن لم نقل جميعهم ، الحياة العارية عن كل زينة ، البعيدة عن كل كلفة ، الغريبة عن كل تصنع !

ويكاد الأدب الروسى يرسم لنا هذه الحياة العادية رسماً لا يفضله الرسم الفوتوغرافى بشىء، وإنما يقصر عنه ، بما فى الأدب من صور نفسية ، وحالات فكريه لا تقوى عدسات المصور على التقاطها ، ويبرع اليراع فى تمثيلها براعة تختلف باختلاف مقدرة الكاتب ومهارته .

والأدب الروسى من هذه الناحية أدب صحيح بكل مافى هذا الوصف من مدلول ، لأن الأدب الصحيح ينبغى أن يكون ظلاً للحياة ، يماشيها ويعكسها فى أمانة وصدق ، وفى صراحة وجرأة ، وينبغى ألا يقصر فصوله على طبقة من الطبقات ، أو ناحيــة من النواحى ، كما يفعل غيره من الآداب ، بل أن يشمل بحثه جميع الطبقات وأن يعنى بها جميعاً عناية متساوية متعادلة .

وليس بين الآداب الغربية أدب تتوفر فيه هذه الشروط أكثر من الأدب الروسى ، أو مثله ، ولعله من هذه الوجهة أصح الآداب الأوروبية وأصدقها .

— ٢ —

ويتسم الأدب الروسى الحديث بالبساطة فى المعانى لا الأفكار ، وهــذه البساطة نستطيع أن نلتمسها فى الصحف والمجلات ، كما نستطيع أن نتلمسها فى المؤلفات الأدبية والعلمية ، فهى أكبر ميزة للأدب الروسى ، حتى لتكاد تعرفه تعريفاً تاماً ؛ فهو أدب رائق صاف ، لا تعقيد فيه ولا إبهام ، ويندر أن تقع فيه على كلمة غريبة ، أو استعمال مهجور ، لأن الكاتب الروسى يصرف جل عنايته ليكون فى متناول جميع الطبقات ، ولا يفتقر أحد ـ حتى طلاب المدارس ـ لمراجعة القواميس أو كتب اللغة لفهم ما يطالــع ، ولا شــك أن هذه البســاطة أدت أعظم الخدمات للأمة الروسية ، لأنها كانت أقوى عامل على نشر العلم والأدب بين جميع أفرادها ، وهكذا ازداد عدد القراء وازداد ربح حملة الأقلام ، وازداد إخلاص الكتاب لمهنتهم ، فأخذوا ينظمون صفوفهم ويوحدون غايتهم ، فكان لروسيا فى زمن غير طويل ، الشعب الذى أراده لها زعماؤها وعواهلها .

وهنالك ظاهرة قوية تطل عليك بين الســطور ، وهى الرغبة فى الإصــلاح الدائم المتواصل معاً ، الذى يجعل ـ أو بالأحرى يحاول أن يجعل ـ نظام اليوم خيراً من نظام الأمس ، ونظام الغد خيراً من نظام اليوم !

ولست أدرى أى الخصائص تفتن المطالع وتغريه على إدمان المطالعة ؟ ولكنى أعلم وأعترف أنى لم آخذ كتاباً روســياً إلا أتيت على آخره فى جلسة واحدة ، ولعل غيرى من محبى الأدب الروسى يشعرون مثل شعورى هذا .

وأنت تستطيع أن تتناول ما يقع بين يديك من المؤلفات الروسية ، وتستطيع أن تبحث فيها،وأن تبحث فيها جيداً جيداً فلا تقع على أثر لما تجده فى بعض الكتب الغربية من خلاعة وتهتك وفجور ، لأن المراقبة على المطبوعات شديدة ، لاتعرف رفقاً ، ولا تلجأ إلى لين .

وهـذا لايفيد أن الأدب الروسى خال من كتب تبحث فى المسائل الجنسية ، وتشرح فسيولوجية العمليات التناسلية ، فهـذه المؤلفات أكثر ماتجدها فى البلاد الروسية ، ولكنها مؤلفات علمية ، وعلمية خالصة تبحث هذه الأمور الخطيرة بصراحة واحتشام ، وهـذا مايفرقها ويميزها من غيرها من الكتب التى تطرق هذه المواضيع،لاخدمة للعلم ،بل لاستثارة تعواطف وإلهاب المشاعر .

— ٣ —

للأدب الروسى أنصار ، ولهؤلاء الأنصار عقيدة أو شبه عقيدة فى مكانة الأدب الروسى الحديث ، لاتزعزعها آراء ناقد مهما عظمت شهرته ، وقدكنا نعتقد أن الطفرة محال ، ولكن فزعزعت عندناهذه العقيدة ، لأنا ألفينا أنفسنا إزاء أدب اجتاز فى أعوام قليلة ، وقليلة جداً الى عمر الآداب ، ما لم يجتزه غيره فى مئات السنين ، ولقد كان تطوره هذا شبه سلسلة من القفزات ، يندر أن يقوى على بعضها أقوى الآداب الغربية وأنشطها .

وربما كانت قفزته الأخيرة ـ وهى التى أعقبت الحرب الكونية ـ أشد تلك القفزات خطورة وأبعدها أثراً فى الآداب العالمية كلها لا الأدب الروسى وحده ، لأنه إذا كان يتأثر بغيره من الآداب ، فهو يؤثر فى أكثرها أضعاف هذا التأثير .

ولا أشك لحظة أن الأدب العربى نفسه تأثر بالأدب الروسى الحديث ، عن طريق الأدب الفرنسى فى الدرجة الأولى ، والأدب الإنجليزى فى الدرجة الثانية ، وماهذه المجلات الجريئة التى انتشرت فى القاهرة وفى بيروت فى السنوات الأخيرة ، إلا أنصع دليل على هذا التأثر غير المباشر .

وقد تبدو آثار الأدب الروسى الحديث أكثر جلاء وأشد وضوحاً فى الأدب العربى عندما تستقر حرية الفكر فى الشرق العربى استقراراً تاماً غير منقوص .

— ٤ —

ويعد الكاتب الروسى من أسعد الكتاب حظاً فى العالم ، لأنه إذا عرف كيف يدير قلمه بين أنامله ، يستطيع أن يربح أرباحاً طائلة ، قد لا يحلم بها حتى فحول الكتاب والمؤلفين فى غير بلاد « الفردوس الأرضى » .

ولعل الأرقام أبلغ مايكون فى هذا الميدان ، لأنها تدل بوضوح على مبلغ السعة التى يتمتع بها الكاتب الروسى الراضى عن الحال الراهنة ، لا الناقم عليها ، وبعبارة أوضح ، الكاتب الذى يطبل ويزمر للنظام الاجتماعى الحالى فى روسيا ولايذكره إلا بالمديح والإطراء. فبينما راتب العامل المتوسط يتراوح بين المائة وخمسين والثلاثمائة روبل فى الشهر ، وبينما راتب الطبيب يتراوح بين الثلاثمائة والأربعمائة روبل فى المدة ذاتها ، يبلغ ربح الكاتب — والكاتب المتوسط — ألفين روبل ، تنهمر عليه من حقوق التأليف فقط ! ... وفى شهر واحد !!

وقد يرتفع هذا الربح عند كبار الكتاب ، فيبلغ ستة آلاف وسبعة آلاف روبل !

وربما كانت مهنة النشر والتأليف أربح المهن فى روسيا ، ولكنها ـ فى الوقت ذاته ـ أضيقها حرية ، لأن الكاتب يجب أن يرضى زعماء روسيا ، قبل أن يرضى وجدانه ، وقبل أن يرضى قراءه. وويل وألف ألف ويل لمن تحدثه نفسه بكتابة كلمة نقد للنظام الحالى فى روسيا ! !

ولهذا السبب انصرف عدد غير يسير من أعظم كتاب روسيا عن التأليف ، لأنهم ناقمون على الحالة الحاضرة ، ولا يستطيعون أن يظهروا نقمتهم على صفحات الجرائد ، أو يضمنوها بطون الكتب ، ولعلهم يتحينون الفرص ليصارحوا مواطنيهم بما يضمرون .

وأرجح أن ما نطالعه فى صحف الغرب من طعن فى نظام روسيا الحالى ، مكتوب أكثره بأقلام روسية ، أو بإيحاء من رجالات روسيا الناقمين ، وإن لم يكن ممهوراً بتواقيع روسية ، ولا أدل على ذلك من بعض التفاصيل الدقيقة ، التى لا يعقل أن يطلع عليها غير الروسيين الأقحاح .

— ٥ —

ويترأس الحركة الأدبية فى روسيا شبان متحمسون ، يقدسون الحالة الراهنة فى بلادهم ويبالغون فى إطرائها ، وتكاد جهودهم تنحصر فى إصلاح النظام الحالى ، دون التعرض لجوهره.

ومن أبرز هؤلاء : الكاتب الاجتماعى الشهير « كيرشون Kirchon » فهو أنشط حملة الأقلام فى روسيا دون منازع ، لاتراه إلا كاتباً ولاتسمعه إلا خطيباً ، وقد يدهشك أن تعلم أنه لاينتظر محررى الصحف غير الروسية ليسألوه عما يرغبون ، بل يذهب إليهم ويبحث عنهم ليطلعهم على ما يريد لا ما يريدون!

وهو سكرتير « جمعية الكتاب العمال » وله مؤلفات عديدة على جانب غير يسير من الأهمية ، ولعل خيرها مؤلفه عن « الخبز » الذى لاقى رواجاً عظيماً ، بحيث نفدت نسخه ، أو كادت ، بعد شهر واحد من ظهوره .

ولا يتسع لنا المجال لذكر كبار الكتاب الروسيين فى الوقت الحاضر ، وإنما نكتفى

بالإشارة إلى بعضهم ؛ فهنالك الشاعر الكبير « إيفانوف Ivanoff » يذكى أفئدة الشبان بما يكتبه لهم من شعر مرسل على طريقة محدثة ، أحسب أن بعض كتابنا الخياليين يقتبسون عنها ، وينسجون على منوالها ، بمايطالعونه منهافى الأصل أومترجماً إلى لغة أخرى . ويساعده فى مهمته كثير من الكتاب الكبار أمثال « ليونيد Leonid » و « اليونوف Léonoff » و« سيلفانسكى Silvenski »و« بامفيروف Pamphiroff»و«انا كار افيفا Anna Karaveiva»

ومن المستحسن أن لانغفل ذكر النوادى الأدبية فى روسيا ، فهى من الرقى بمكان بعيد، حتى إنه لايعهد برئاسة نادٍ من النوادى إلا لكاتب عظيم ، أومؤلف خطير ، ليدير حركة الأدب ويشجع من يستحق التشجيع من الشبان النابغين .

وهكذا فإن روسيا لا تدع رئاسة مؤسسة من المؤسسات الخيرية والاجتماعية والعلمية والسياسية ، إلا لزعيم من زعمائها ، ولزعيم مخلص بلغ حب روسيا منه أقصى حد ، بحيث لاتؤثر فيه دعاية ولا تستثيره مآخذ .

— ٦ —

ويعهد بتدريس الآداب فى المدارس الثانوية والعالية إلى كتاب قديرين ، لهم فى عالم الأدب مكانة محترمة ، وفى عالم التأليف مقام رفيع ، ويندر جداً أن تجد أستاذاً للأدب ليس له بين أدباء روسيا ذكر نابه أو اسم معروف .

ويمرن ألطلاب على الكتابة والخطابة بإرشاد أستاذ الأدب وتدريبه ، فهو ينتقى لهم المواضيع ، ولكنه يترك لهم ملء الحرية فى معالجتها ، وكثيراً مايرشدهم إلى المؤلفات التى يحسن بهم أن يطالعوها ليوفوا الموضوع الذى يعالجونه حقه من البسط والتفصيل ، وتكاد تكون حرية أستاذ الأدب مقيدة إلى حد بعيد ، لأنه لايستطيع أن يلقن طلابه مبدأ أدبيا لم تقره الحكومة فى برامجها الرسمية ، ويحق للطلاب أن يناقشوا أستاذهم فيمايطرحه عليهم من آراء ، وأن يجادلوه مجادلة علمية ضمن لآداب اللازمة بين أستاذ وتلاميذه .

والحقيقة ن التربية الأدبية لاينالها الروسيون فى المدارس بل فى النوادى ، لأن المدارس تعنى بتهيئة عمال لا كتاب ، وقد ينهى الطالب الروسى دراسته الثانوية والعالية ، وهو ملم بالأدب من شعر ونثر كل الإلمام ، ولكنه لايزاول الأدب كمهنة إلا بعد خروجه من المدرسة ، وبعد أن تقر أهليته لذلك هيئة النادى الذى ينتسب إليه .

ولايبعد أن يتحرر الأدب الروسى مما يعوقه من العراقيل ، عند ماتستقر الحال فى « الفردوس الأرضى » ، ويصبح للحرية الشخصية تلك الأهمية التى نشهدها فى فرنسا وأمريكا ، وربما كان هذا العهد قريباً أكثر مما يتصوره الأدباء الروسيون أنفسهم .

[حلب] إيزاك شموش

الخال فانيا

للكاتب الروسي أنطون تشيكوف

ولد تشيكوف عام ١٨٦٠ م من أبوين رقيقى الحال ، وقد اضطر — وهو لايزال صبياً — إلى العمل لينتشل أسرته من براثن الموت جوعاً ، واختار أن يكون عمله كتابة القصص الفكاهية ، ولم يكن يرجو من ورائه إلا كسب الرزق ، فلم يكن ينظر إلى فنه نظرة فنان ولكن نظرة تاجر مكتسب ، إلا أن نجاحاً صادفه غير وجهة حياته وخلق منه أديباً من أكبر أدباء الروس فى القرن التاسع عشر . وكانت حياته سلسلة متصلة من العمل المرهق والجهاد الشاق ، فتآكل جسمه الريفى على متانة بنيانه ، وقضى مصدوراً .

وقصة الخال فانيا التى نلخصها له من رواياته المسرحية الناجحة :

***

نحن فى حديقه بيت ريفى جلس فيها حول مائدة الشاى طبيب يدعى « استروف » وامرأة عجوز هى « مارينا » والطبيب رجل أعزب ساخط يشكو من الشكوى من حياته ، فهو يسلخ عمره بين المرضى يعالج أدواءهم ويضمد جروحهم ، نهاره مشغول بالعمل وليله مقطوع بتلبية الاستغاثات ، ثم إنه بعد هذه التضحيات الجسام التى يبذلها للإنسانية لا يدرى إن كان سيذكره أحد ممن أفنى شعلة حياته ليضىء لهم الحياة .

وقد أتى اليوم خاصة ليعود الأستاذ « سيريا كوف » . والأستاذ مريض عنيد يأبى إلا أن يشخص مرضه بنفسه ، ويصر على أنه مصاب بالروماتزم ، فى حين يؤكد الطبيب أنه مصاب بداء المفاصل !

يجلس الطبيب مفكراً فى خواطره الحزينة ، فيدخل عليه « فينتساى » شقيق زوج الأستاذ المذكور القديمة ، ولا نلبث حتى يظهر لنا جلياً أنه هو الآخر يشكو من حياته ومن الأستاذ؛ أما حياته فلأنها جافة مرة لا تحفظ له ذكرى جميلة من الماضى ولا تبشره بأمل زاهر فى المستقبل ، وأما الأستاذ فلأنه قلب نظام الدار بتصرفاته وطرق حياته الشاذة ، ولكن هذا إن أمكن أن يفسر لنا سخطه عليه فلا يمكن أن يكفى سبباً لبغض مر يدفنه له فى صدره ويطفحه على لسانه ، فإذا سمعناه يتحدث بلهفة عن زوج الأستاذ الجميلة (الجديدة) فهمنا بعض الفهم ، وإذا سمعناه يتحدث عن الأستاذ متهماً إياه بأنه أفقده ربيع حياته وهو يخدعه بعلمه المزيف وقيمته التى كان يظنها فى السماء وهى فى أسفل الأرض ، فهمنا كل الفهم . والأدهى من ذلك

أن قربه من هيلانا – زوج الأستاذ – مع ، يأسه منها أصاباه بنكسة خلقية، فأمسى كسولاً مهملاً سكيراً، وكان نشيطاً مجداً مستقيما .

وإذا هو فى سخطه يدخل الأستاذ« سيريا كوف » وزوجه هيلانا وابنته صونيا (ابنة أخت فينتساى) ، والأستاذ حديث العهد بالقرية ، وهو لم يقصد إليها إلا مضطراً بدافع الفقر، وهكذا قنع بأن يقيم فى هذا البيت الذى ورثه عن زوجه القديمة المتوفاة . . . يسرع الأستاذ بالدخول إلى غرفته ويبقى الجميع يتحدثون، ويدور بينهم حوار يكشف لنا الستر عن نفوسهم . فالطبيب له مبادىء ثابتة ، هو ميال للنبات ينعى على الانسان كسله وجبنه ، إذ يهلك الغابات ويحرقها ويحرم الوجود جمالها ، ويغير على حقوق الأجيال القادمة ، تلك الأجيال التى هى موضع اهتمامه وقطب آماله ، أما فينتسكى (الخال فانيا) ، فهو على النقيض من ذلك ، لا تترك غرائز السخط والهدم فراغاً فى صدره لغيرها ، لذا هو يسخر من الطبيب ومن الأجيال القادمة التى يعمل حسابها . فاذا تحدث إلى هيلانا أبدى لها أسفه على حياتها وأشفق بها من الكسل والملل اللذين يصيبانها بسبب زوجها ، وهى تضيق بحديثه ذرعاً وترد عليه ساخرة .

« آه ! الكسل والملل ! جميع الناس يرمون زوجى بكل سوء . . . وجميعهم يرعوننى بعطف وحنان ! لها زوج عجوز ! يالها من عاطفة ويالى من شديدة الفهم لها ! إن كل الأمر – كما قال ستروف – أنك نزاع لإفناء كل شىء من غير تمييز، فكما تفنى الغابات تفنى الإنسان . وبهذا لا تبقى على ظهر الأرض أمانة أو سذاجة أو تضحية، لماذا لا تستطيع أن تلحظ امرأة غريبة بهدوء ؟ لأنه تستقر فى قرارة نفسك عبقرية التخريب ... ليس عندك رحمة لغابة أو شجرة أو امرأة ... »

ولكنه يزور لهذه الفلسفة ولا تحفل هى بازوراره . . وتستطرد حديثها متناولة مواضيع وملاحظات شتى ... بعضها عن الريف وبعضها عن الطبيب ، والبعض الآخر عن صونيا وحبها الطاهر للطبيب . . ولكن ماله هو وملاحظتها . . . فإن عنده الأهم . عنده هذا الحب الملتهب فهو يصرح لها به ... إلا أن أطماع حبه ضئيلة لا تتناسب مع شدة حرارته ... فهو يقنع بأن تسمح له برؤيتها ، وأن تتحمل الإصغاء إليه ... ولكنه فى كلامه يعلو صوته ، فتجفل هى وتهمس فى أذنه :

« بصوت منخفض وإلا سمعنا أحد » ، ويرد عليها بحرارة « دعينى أحدثك عن حبى ... لا تهزئى بى ... وحسبى الحديث سعادة كبرى » ، إلا أنها تضيق ذرعاً حتى بالحديث ، وتقول له وهى تختفى عن عينيه « حتى هذا ثقيل »

* * *

فى سكون الليل ، وفى ساعة متأخرة منه . كان « سيربرياكوف » جالساً مع زوجه لا يرمق له جفن ولا يسكن له ألم ، والأستاذ لا تقتصر آلامه على جسمه الناحل ، فإن نفسه مضطربة قلقة ،

وخياله طائش لا يدعه يستريح ، فهو يتأفف من شيخوخته ، أضعاف ما يتأفف من مرضه ، وأى مرض هذه الشيخوخة ؟ لقد أنهكته وجعلته بغيضاً للقلوب ثقيلاً على النفوس ، لا يذكره لسان إلا بالسخط عليه والشكوى منه . وهذه زوجه أقرب الناس إليه تجزع من شكواه المتكررة وتضيق ذرعاً بأناته وثرثرته . وهو – إلى كل ذلك – فقير يتألم من الفقر ، ويتحسر على جهده العلمى الضائع ، وعلى الشهرة التى نشدها فما استجابت له ، فإذا دخلت ابنته لم يلق منها إلا اللوم ، وهى تلومه من أجل الطبيب الذى تحبه والذى يضايقه بعناده ، وبينما هو موزع بين هذه الخواطر المؤلمة يدخل الخال «فانيا» ويلح فى أن تنصرف هيلانا وصونيا لينااما ، على أن يسهر هو معه ! ويصرخ الأستاذ فزعاً ، إذ كيف يمكن أن يبقى مع من يمقته مقتاً ذريعاً ؟ ... فإذا ترفقت به الأم مارينا وأظهرت له الحنان سار معها طائعاً إلى غرفة نومه كالطفل الغرير ، وتخرج كذلك صونيا ، ويبقى فيلتسكى مع هيلانا ، ويجدها متبرمة بحياتها تتألم لحال زوجها الذى لا يأمن لها ، وتشكو من ابنة زوجها التى تخاصمها لأوهى الأسباب وتتأفف من أمه التى تتكبر على الجميع لما تحسه فى نفسها من قوة الفهم وسعة الثقافة ، وتلومه هو على كرهه المفرط زوجها . ما هذه البغضاء القاتلة ؟ حقاً إن العالم لا تهدد طمأنينته الميكروبات والجرمون ، نصف ما تهدده البغضاء . ثم إنها تطلب منه أن يصلح من أمر هذا البيت المشوه !

هو ! ولكن كيف يفعل ذلك وهو لا يدرى كيف يصلح من أمر نفسه ؟ وبينما هى تحادثه ينفضح أمامها وتلاحظ أنه سكران سكراً خفيفاً ، وعلى كل حال فهو لا ينكر نقائصه وعيوبه ، ولكنه من جهة أخرى يعلن فى غير ما حرج أن حبها هو المسئول عن كل ذلك ... وتضيق بحديث حبه فتخرج .

ويجلس هو إلى نفسه يحاسبها : كيف أنها عبدت هذا الأستاذ فى الماضى عبادة بطل من الأبطال ؟ وكيف أنها بذلت عن رضاء خير ما فيها فى سبيل خدمته وتوفير الراحة له ؟ .... ويقطع الطبيب عليه حبل تفكيره بدخوله وهو يهذى فى سكره ، ويتهم الخال فانيا بحب زوج الأستاذ ، وينصرم حبل الجدل بينهما إذ تقبل عليهما صونيا ، وتندفع الفتاة تلوم خالها على سكره وقد كان مستقيماً فاضلاً ، ولكنها تخفف من غلوائها إذ ترى الدمع يلمع فى عينيه ... وتسمع صوته الضعيف يقول لها ، « آه لو ... لو كنت تعرفين » ؟ وتسأله فى لهفة : «ماذا يا خال إذا كنت أعرف ؟» ، ويرد عليها وهو يهم بالخروج « إنه لمؤلم ... إنه لقبيح ... لا شىء ... سأقوله لك فيما بعد .. لا شىء .. إنى ذاهب!»

وتمشى إلى الطبيب تلومه لوماً خفيفاً على سكره .. وتقول له إذا كان يحب البناء وينعى على الإنسان تخريبه مخلوقات الله الجميلة ، فكيف يسمح لنفسه أن يفنى جسمه وهو هبة من الله بالخمر والعربدة ؟ وتحنو عليه وتحدثه ... بل تلمح إلى حبها ، ولكنه يصدمها صدمة قاسية ، فإذا سألته ماذا يفعل لو كانت لها أخت تحبه ؟ أجابها بأنه ليس له فى الحب مجال ... ويختفى أمام من

من امام عينيها . وهكذا تصدع قلبها بمثل ما تصدع به قلب خالها فى نفس المكان ، إلا أن نفسها لا يعلق بها ما يعلق بنفسه من السخط والبغض . وتدخل عليها هيلانا وتتصافحان وتتصافيان وينساق بينهما الحديث فتؤكد هيلانا للفتاة أنها لم تتروج أباها طمعاً فى شىء وإنما حباً فيه ، فقد كانت تحبه كما يحب الإنسان عالماً من العلماء ، وظنت أن هذا الحب كفيل بتوفير السعادة لها كزوجة له فخاب أملها . وهى تعترف بأنها ليست سعيدة ، وتصرح لصونيا ـ رداً على سؤالها ـ بأنها تود لو كان لها زوج شاب ... ثم تتحدثان عن الطبيب فى إعجاب ... والظاهر أن الحديث أهاج عواطف هيلانا بحيث أحست رغبة للعزف على البيانو ، ولكن زوجها لم يسمح لها بذلك فلم تفعل .

* * *

نحن فى غرفة جمعت الخال فانيا وهيلانا وصونيا . . . وهيلانا لاتنى عن التذمر والشكوى ، وصونيا تنصح لها بالعمل فهو الدواء الشافى للملل والضجر . . وتقول إن العطلة والملل معديان وإنهما قد سريا منها إلى خالها وإليها وإلى الطبيب ، وهنا يخرج فانيا ليقطف لها باقة من الزهور . وفى خلوة المرأة بالفتاة تعترف لها هذه بحبها للطبيب . . . ما العمل ؟ إنها تشك فى مبادلته لها الحب ، ولولا حرصها على تعلة أمل لحاولت معرفة الحقيقة ، وتقترح هيلانا عليها أن تحاول معرفة ما فى صدر الرجل ، فإن كان حباً لها كان بها ، وإن كان جفافاً اضطرته إلى أن يعدل عن غشيان الداربتانا ، وتوافقها الفتاة بقلب خفاق ، وتقصد هيلانا إلى الطبيب وهى تحمل هذه النية ولعلها تحمل معها عاطفة أخرى تغريها على التحدث إليه ! . . . وينكشف لها الأمر فإذا الطبيب لا يميل للفتاة . . فلما تقترح عليه العدول عن المجىء . . يرفض ! ويفوه بتصريحات لعلها كانت تتوقعها جميعاً . . فهو الآخر يحبها ويريد منها أن تلتقى به فى خلوة . . ولكنها ترد عليه رداً لم يدل على نفور وربما لم يدل على عدم ميل . . ويلح عليها ، بينما الخال فانيا يقف بالباب يشاهد ويسمع ، فإذا دخل غير الطبيب الحديث فى اضطراب ، وخرج لا يلوى على شىء ! وتستغيث هيلانا بفانيا وتلح عليه أن يحمل زوجها على الرحيل لأنها ماعادت تطيق جو هذا البيت ولكنه لا يأبه بها ويكتفى بأن يقول لها إنه شاهد وسمع . . .

ويدخل الأستاذ ومعه حماته القديمة (أم فينتسكى) ويعرض اقتراحاً ببيع البيت والأرض لشترى بثمنهما (فيللا) فى فنلندا ، فيتصدى له الخال فانيا معترضاً وينور عليه ، ويتهمه بإفساد حياته أيام كان مخدوعاً فى علمه ، مثبتاً له ، ويقرأ له ويعمل يومه من أجله . . والآن ها هو ذا يحاول طرده من البيت الذى كان له أكبر الفضل فى وجوده ، ويزداد هياجه فيحاول قتل الأستاذ . . إلا أنه لحسن الحظ لم يفلح . . وبعد كل ذلك تصرخ هيلانا وتقول إنها تؤثر الموت على مثل هذه الحياة فى هذا المكان . . فيزمع الأستاذ الرحيل .

* * *

يدخل الخال فانيا مضطرباً ويسرع خلفه الطبيب إستروف ، ونفهم مما يدور بينهما أن

الخال اختلس منه بعضاً من المورفين ليقضي على حياته ، والطبيب يقول له إذا أردت الموت فأمامك الغابات ، فاقض على نفسك بما أنت قاض . ولكن رد إليّ المورفين أولاً حتى لا أتهم في قتلك والآخر يمانع في ذلك أشد الممانعة . . وهو يحرق الأرم لأنه فشل في قتل الأستاذ ويتألم أشد الألم لأنهم لم يقدموه إلى المحاكمة اعتقاداً منهم في حماقته . . أيحسب هو من الحمقى ولا يحسب منهم ذلك الأستاذ الذي يختفي تحت اسم الأستاذية جهلاً وغباء ؟ أيحسب هو من الحمقى ولا تحسب منهم تلك المرأة التي تتزوج من عجوز وتخونه مع طبيب ؟ ! والطبيب يسمع كل ذلك ولكنه لا يحفل به فهو غارق في اليأس إلى قمة رأسه . . . . وعند ما يهم بإنذار الخال … باستعمال القوة إذا لم يرده له المورفين تدخل صونيا ولا تلبث أن تفهم ما هنالك وتراع له . وكانت إلى ذلك مجروحة الفؤاد بعد أن علمت بانصراف قلب الطبيب عنها ، إلا أنها بالرغم من ذلك كله تقبل على خالها تهدىء من خاطره وتلح عليه أن يرد للطبيب المورفين وتعزيه بأنه ليست أقل شقاء ولكنها أجلد وأشد صبراً . . . أمامهما العمل . . وفي العمل عزاء وسلوى .

فإذا اقتنع ورد السم للرجل سحبته من يده إلى أبيها لتصلح ما بينهما من الأمر .

وتدخل هيلانا على الطبيب وهو منفرد . . . هي راحلة . . وينتهي كل شيء ويلحق بعالم الأحلام . . فقط تود ألا يذكرها بسوء وأن ينظر إليها نظرة لا تعلو ولا تسفل عن حقيقة أمرها . . ويحدثها هو عما بثته فيهم جميعاً من حب العطلة واليأس . . ولكن الوقت لا يتسع لذلك فهي راحلة ، وهنا لا يتمالك أن يهوى على خدها بشفتيه . . ولم تمانع ولم تفكر في الممانعة فإن ساعة الوداع كالنوم المغناطيسي تكشف الخبايا وتبطل الإرادة . . وهي تتلفت يمنة ويسرة . . ثم تمنحه قبلة . . ولو مرة في العمر !

انتهى كل شيء ! هاهو ذا الأستاذ سيربرياكوف يصافح فانيا وقد تصافيا ... وهاهو ذا يغيب مع زوجه الجميلة . . ويخرج بعده الطبيب . . وتخلو الحديقة من أزهارها . . وتعود الفتاة وخالها إلى العمل . . إلا أنه لا يقاوم دمعه . . فتعزيه وتهون عليه وتقول له وهي تغالب ألماً أشد من ألمه :

« سوف نستريح وسوف نصغي إلى الملائكة . . سنشاهد السماء كلها في بهاء . . وسنرى الشر والألم يغمرهما حنان يملأ الوجود وتمسي حياتنا هادئة ناعمة رغدة . . إني أومن بذلك ياخال . . إني أومن بذلك . . إنك لم تذق لذة في حياتك ، ولكن صبراً ياخال فانيا صبراً ! سوف نستريح . . سوف نستريح » .

نجيب محفوظ

٥ - القواعد الجديدة في العربية *

للأستاذ مصطفى جواد [بغداد]

٦٣ - قياس المبالغة من اسم الفاعل مطرد والمبالغة من أخلاق البشر التي لا محيص لهم عنها ، والباعث عليها الحب الغالب أو الكره الأصم ، ولا نحسب أن لغة من لغات البشر منزهة عنها أو مجردة منها . ومن المبالغات التي تعترى المفردات « مبالغة اسم الفاعل » ، وما حملنا على ضم هذا القاعدة إلى قواعدنا إلا تجرؤ جماعة من النقاد على استغلاط من قاس على صيغ المبالغة ؛ وفي ذلك ما فيه من جمود الذهن ونكران النفس والتخلي عن الحق والقضاء على العربية ، أترى أنهم مستجاز لهم أن صاغوا المبالغة إذ احتاجوا ، وأننا لا نباح ذلك ؟ ومن ذا الذي حرم علينا الاشتقاق ومنعناهُ ؟ قال ابن عقيل في شرح الألفية « يصاغ للكثرة : فَعّال ومِفعال وفَعول وفُعُل وفَعيل وفَعِل ، فتعمل عمل الفعل على حد اسم الفاعل » ، وقال ابن خالويه في شرح الفصيح : « العرب تبني أسماء المبالغة على اثني عشر بناءاً : فعال كفساق [1] وفعل كحيذر ، وفعال كغدار وفعول كغدور ومفعيل كمطير ومفعال كمعطار وفعلة كهمزة لمزة وفعولة كلولة وفعالة كعلامة وفاعلة كراوية وخائنة وفعالة كبقاقة ومفعالة كمقدامة [2] » . قلنا : ومفعل نحو مجرم ومسعر ومكر ومفر ، و « فعل » كحول وقلب ، وفعول كقيوم ، وفيعل كصيدح وصيرف وفيصل وغيهب وفيلق وضيفن وعيلم ، وسمعت هيازع بالعراق تقول « كيتب » للكاتب ، وتشبع الفتحة فيصير « فيعالا » كصيداح وغيداق ، و « فاعل » بفتح العين كخاتم وطابع وقالب (على لغة) ، و « فاعول » كفاروق وهاضوم و « فعيل » كسكيت . أما عد ابن خالويه « مفعال ومفعالة وفعول وفعولة وفعال وفعالة » صيغاً متباينة فليس بمقبول لأن كل صيغتين لصيغة ، والفرق بينهما هاء المبالغة .

والمتعصبون لجمود الأذهان ينكرون أن نقول « رجل كسول » لجهلهم اطراد هذه القاعدة البينة ، ويدعون أنه لا يكون إلا للمؤنث . والقاعدة العامة التي يدرسها الناشىء

---

* أول البحث في ج ١٢ من « المعرفة » سنة ١٩٣٢ و ج ٢ : يونيو سنة ١٩٣٢ (السنة الثانية) وجزء ٥ ص ٥٥٠ من السنة الثانية أيضاً ، و ج ١ من السنة الثالثة .

(١) كذا ما في المزهر ، وظاهر الاوزان يدل على أنه فسق كعمر ، ووزنه « فعل »

(٢) في الاصل « مجزامة »

« أن فعولاً بمعنى فاعل يستوى فيه المؤنث والمذكر وقد يجوز إدخال الهاء عليه لتحقيق التأنيث – كما قدمنا – » وكيف لهم بنكران قول الراعى عبيد :

طال التقلب والزمان ورابه كسل ويكره أن يكون كسولا (١)

ومن الذين وقعوا فى هذا الغلط « ابراهيم اليازجى » فقد كان على سعة علمه كثير الأوهام، قال: « ويقولون رجل جلود أى صاحب جلد . . . وكذا رجل شفوق ورحوم ونصوح ، وكل ذلك خطأ ، والصواب : جليد وشفيق ورحيم ونصيح (٢) »، وتابعه فى ذلك صاحب « تذكرة الكاتب » المنكر أن كسولاً تأتى للمذكر ، وصاحب كتاب « المنذر » وهو دونه علماً، فنقول: هذا كلام لايجوز أن يجرى لأنه لهو وتسلية ، فالقاعدة المطردة هنا قد قدمناها، أما « نصوح » لمذكر فقد وردت فى كلام العرب بالمعنى الذى أنكره اليازجى ، قال عدى بن زيد العبادى:

من لقلب دنف أو معتمد قد عصى كل نصوح ومفد (٣)

وأما الرحوم والشفوق فمثل « الجزوع والودود والعموب والطروب »، وكلاهما من باب واحد، وأما الجلود فهو مثل الرؤوف إن عددناه من الباب الخامس، وليست طبيعة العربية بمستوجبة لهذا التحجر بمعنييه (٤) ، وما نفر الناس من العربية إلا هذا الضغط على المتعلمين وسد سبل القياس الواسعة اللاحبة ، والعود أحمد . « بغداد » مصطفى جواد

(١) جمهرة أشعار العرب ص ٣٤٤ .
(٢) لغة الجرائد ص ٤٣
(٣) الاغانى جزء ٢ : ص ١٢٨
(٤) أى قولهم (تحجر) بمعنى صار (كالحجر) و (تحجر عليه الشيء) جعله ضيقاً عليه .

البارون عمر رولف

بقلم الأستاذ إحسان سامى حقى

أستاذ الأدب العربى بجامعة عليكرة [الهند]

مازالت نقطة الخلاف تتباعد وتتسع بين مسيحيي الغرب ومسلمى الشرق - من حيث الدين - منذ القرون الوسطى حتى اليوم، حتى أصبح من العسير أن يتصور معها اتحادهما أو اجتماعهما فى يوم من الأيام على نقطة واحدة؛ ولكن الجهود التى بذلها أخيراً بعض المسلمين - وأخص منهم بالذكر المحامى الخواجه كمال الدين، الذى كان يدعو إلى الاسلام من غير تفريق بين ملة ونحلة أو مذهب وفرقة، بالدعاية للإسلام بالطريق العلمية فى أوربا - أنتجت نتيجة حسنة وأثمرت ثمراً صالحاً، حيث أصبحنا نرى الأوروبيين أو أكابرهم بدءوا يدخلون فى الإسلام تباعاً، وإنى أذكر من هذه الكثرة ثلاثة من الشخصيات البارزة:

الأول اللورد هدلى، والثانى خالد شيلدريك، والثالث البارون عمر رولف. وقد جمعتنى الصدف فى حيدر آباد بخالد شيلدريك منذ شهرين، فوجدت فيه حمية وتعصباً للإسلام؛ ومن الغريب فى هذا الرجل أنه لم يكتف بأن اعتنق الإسلام، بل إنه قد وقف حياته للدين. فصدته وهو يقوم بالتبليغ فى انكلترا، وهذا الرجل قد اعتنق الإسلام بعد تحقيق وتدقيق منذ عشرين سنة؛ ولايزال إلى يومنا هذا بنفس الحماس والعقيدة التى كان عليها يوم اعتنق الإسلام.

وبينما لايزال خالد شيلدريك فى الهند، إذ بنا نسمع بقدوم البارون عمر، وقد كان من حسن طالعى أيضاً أن اجتمعت به فى عدة اجتماعات واحتفالات ودعوات أقيمت تكريماً له، فوجدت منه أيضاً نفس ما وجدته فى «خالد» من الحمية والتعصب الزائد للإسلام، ويزيد عليه بأنه - مع ماهو عليه من غناء وسعة وبسطة فى العلم والجسم - بسيط جداً جداً، حتى إنه يرى الجلوس على الأرض خيراً من الجلوس على الكرسى، ويفضل الأكل باليد على الأكل بالملاعق والشوك، ويرى اللباس الفضفاض خيراً من اللباس الأوربى، وقد استحكمت بينى وبينه الصداقة فى يومين، فأصبحنا وكأننا أصدقاء منذ أعوام.

ينتمى البارون من جهة الأب إلى أسرة سكسونية عريقة فى المجد، وينتمى من جهة أمه إلى الكونت خونبورغ، الذى يتصل بالكونت جليش. ومما يقال عن الكونت جليش أنه اشترك فى الحروب الصليبية زمن الإمبراطور فريدريك الثانى ملك ألمانيا، الذى عرف بصداقته الخالصة

للإسلام ، وتزوج من امرأة عربية إلى جانب زوجته الألمانية ، فكان من أحفادها البارون عمر.
ولد البارون عمر فى مدينة براغ فى الثامن والعشرين من شهر ابريل سنة ١٩٠١ من أبوين كريمين ، وكان أبوه الدكتور كريستن (بارزن إهرنفلز) ، يشغل منصب أستاذ الفلسفة فى الجامعة الألمانية فى براغ ، وكان محباً للعلم بجميع فروعه ، حتى إنه أصبح يعد من الأعلام فى العلوم الطبيعية ؛ كما أن أبحاثه الفلسفية ونظرياته فيها أصبحت قاعدة لهذا العلم ، لا فى ألمانيا فحسب ، بل فى مدارس فينا وفرانكفورت وبادوا وروما وغيرها ، وقد أشار الأستاذ إيتن أحد أساتذة جامعة كولومبيا فى كتابه المعروف (Austrian Theoryof Eaton) إلى أهمية معلومات والد البارون فى العلوم الطبيعية ، وليس هذا وحده مما أولع به وأجاده ، بل إن له بجانب اسمه إلى أئمة هذه العلوم ، اسماً فى الشعر الروائى والموسيقى وفوق ذلك أبحاثه فيما وراء الطبيعة ، ومع أن البارون كان هو الوارث الحق لرآسة عائلته فقد تنازل عن حقوقه هذه لأخيه الأصغر ، وانصرف هو بكليته إلى الفنون والعلوم الطبيعية ، فدار الزمان دورته ، ورجع الحق إلى بيت أهله حيث أعيدت رئاسة العائلة إلى ابنه البارون عمر ، لأن أخيه لم يعقب .
نشأ عمر وربى فى بيئة قد جمعت كل العلوم والفنون ، فتأثر بوالده واقتبس عنه العلوم الطبيعية والفنون الجميلة ؛ كما أنه فى الوقت نفسه استفاد من عمه – الذى كان يشغل أخيراً رئاسة الجمعية الزراعية الإمبراطورية وعضوية مجلس الشيوخ – أشياء عملية كثيرة . وقد عمد على المذهب الرومانى الكاثوليكى وربى على المذهب البروتستانتى ، إلا أنه ما كاد يبلغ العاشرة من عمره حتى رأى نفسه مندفعاً بروحه وجسمه نحو الإسلام وشعوبه ، وكان ذلك سنة ١٩١٠ حينما احتلت إيطاليا طرابلس الغرب ، وسمع بما تقاسيه الشعوب الإسلاميـة من المظالم الأوربية . وقد تجسم هذا الشعور فيه ، حتى ظهر عليه أثناء حياته المدرسية ، ومع أن الحرب العالمية منعته من متابعة التحصيل فى الجامعات من جهة ، ومن إتمام النصاب التمرينى الزراعى الذى كان بدأه من جهـة أخرى ، فقـد استطاع أن يهيء نفسه ويعدها لإدارة ضياع العائلة . وفى سنة ١٩٢٣ انتخب مديراً فنياً للبعثة التى أرسلتها إحدى شركات السينما الأمريكية الألمانية (Continental Film Co New-York — Berlin) إلى البلقان وآسيا الصغرى ، فكانت هذه هى المرة الأولى التى يدخـل فيها بلاداً إسلامية ، كان يحن إليها من اثنتى عشرة سنة . وفى سنة ١٩٢٧ عاد مع زوجته إلى ضياعه (dïehcenau) على ضفاف الدانوب ، ولم ينقطع عن أشغاله العلمية ، بل اشتغل بالتأليف فنال صيتاً حسناً ، ومن سنة ١٩٢٨ وهو يعمل فى جريدة إسلامية ألمانية ، ولـكنه لم يسمع بوجود مسجد فى برلين إلا أخيراً سنة ١٩٢٩ ، فلما بلغه ذلك اتصل بالمـكاتبة بإمام المسجد الدكتور الشيخ محمد عبد الله ، وفى السنة نفسها أعلن إسلامه على يده ،

[البقية على الصفحة ٢٣٢]

خواطر المحرر

رقابة الناشرين :

لسنا نقصد من هذا العنوان ما يفهم القارىء منه لأول وهلة، وهو وضع رقابة حكومية على الناشرين تجيز لهم طبع ما تراه متفقاً ومبادئها، ملائماً مزاجها، وتمنع ما تراه بعينيها هى — وقد تكون عين السخط والغضب — مخالفاً ما تشتهى وتريد، مباينا العرف أو المجتمع كما تعتقد؛ لسنا نريد هذا النوع مطلقاً لأنه غل للتفكير، وقيد للعقل، وتحكم فى العلم لا يجيزه إنسان مثقف، فضلاً عن رجل عادى حر التفكير.

وإنما نريد حماية النشء القارئين، بل حماية الباحثين المثقفين، فهؤلاء وأولاء يعانون الأمرين فى قراءة الكتب — القديمة التى يقوم بطبعها جهلاء الناشرين — قراءة صحيحة، فضلا عما يعانون فى فهمها فهماً دقيقاً. ومرجع ذلك فى حقيقة الأمر إلى سبب جوهرى تحققناه بالتجربة والاختبار، ذلك هو سوء التصحيح العلمى واللغوى، ورداءة الترتيب والتبويب، ووجود القص والبتر والخلط، وانعدام الفهارس المساعدة الممهدة لدراسة الكتاب، فإن أولئك الناشرين يعمدون إلى الكتب القيمة الرائجة — التى تعتبر مرجعاً للكاتب والعالم والأديب — فيطبعونها طبعاً يتحرون فيه قلة الإنفاق ليتيسر لهم منافسة المطبوع منه — إذا وجد — فى مطبعة بولاق أو مطبعة دار الكتب أو ما يماثل هاتين المطبعتين اللتين تتحريان الدقة والعناية المستلزمتين الجهد والمال.

ووجود رغبة كهذه كفيل بإخراج الكتاب مشوهاً مبتوراً مغلوطاً، وفى هذا ما فيه من الجناية على العلم والأدب والتاريخ، وليتصور القارىء معى كتاباً مملوءاً بالأخطاء اللغوية والنحوية، مشوهاً مبتوراً، داخلة فصول أخرى منه فى فصول وليكن الكتاب لابن خلدون أو ابن الأثير أو الجاحظ أو الشهرستانى أو الفارابى أو ابن الهيثم ... أو غير هؤلاء من أعلام العرب المبرزين، يقع فى يد قارىء — أيا كانت قيمته العلمية — فماذا؟ يفيد من هذا الكتاب، وماذا يكون حكمه على المؤلف المسكين؟ هل يرميه بالجهل وفى يده دليل على صحة دعواه؟ أم يرمى نفسه بعدم الفهم، وقد يكون متمكناً مما يقرأ؟ أم إنه يفطن إلى سر المسئلة فيعرف أن التقصير كل التقصير يرجع إلى شره الناشر وجهله؟ الحق أنهم قليلون جداً أولئك الذين يدركون هذه الحقيقة، وأقل من هؤلاء أولئك الذين يعنون بدراسة هذه المسئلة، فيخسر العلم والأدب والتاريخ، بل تخسر الإنسانية قراء قد يكونون فى يوم ما علماء المستقبل.

لست مغاليا إذا قلت إنى أعرف كثيرين من الشباب الناهضين، يودون دراسة المؤلفات العربية القديمة، ولكن يمنعهم من ولوج بابها، عدم الفهم الناتج عن رداءة الطبع وسوء التصحيح وعدم التبويب والترتيب، يضاف إلى ذلك كله الاختزال والخلط والملاحظات فى أكثر المؤلفات المطبوعة فى أكثر المطابع الأهلية.

ولست أرى حلا لهذه المشكلة سوى فرض الرقابة الأدبية – لا الإدارية – على أولئك الناشرين والسبيل إلى تحقيق ذلك يكون بما يأتى :

تعهد الحكومة إلى «دار الكتب» بمراقبة مطبوعات هذه المطابع ، فلا تجيز لها طبع كتاب من الكتب القديمة – التى مات مؤلفوها – إلا بتصريح خاص ، يشترط للحصول عليه أن يتعهد الطابع بتصحيحه تصحيحاً – إن لم يكن دقيقاً فلا أقل من أن يكون قريباً إلى الدقة ، وأن يثبت – إلى ذلك – أن لديه مصححاً فنياً يوثق به ، وليكن هذا المصحح من المتخرجين فى الأزهر أو دار العلوم أو الجامعة ممن لا يجدون عملا ، فيضطرون إلى تزجية الوقت فى غير ما يفيد.

وما نظن هذا الذى نقترحه غريباً ، فإن وزارة المعارف تشترط لصرف الإعانة السنوية للمدارس الأهلية ، وجود المدرسين الفنيين من حملة الشهادات المعترف بها لدى الوزارة. وما نظن الكتاب القيم بأقل شأناً من مدرسة ، إن لم يكن خيراً من مدارس عدة .

وليلاحظ القارىء أنه لو نفذ هذا الاقتراح نكون قد أصبنا عصفورين بحجر واحد:

الأول : تخريج قراء مثقفين ، بتمهيد القراءة الصحيحة وتيسير سبلها لهم فى الكتب

الثانى : إيجاد عمل مشرف لطائفة من شباب الأمة المثقفين .

فهل لنا أن نطمع فى تحقيق ذلك ، حتى نستطيع الوقوف إلى جانب المستشرقين الذين يدلون علينا بعلمهم الذى حصلوه من كتبنا العربية التى عنوا بطبعها ؟ ذلك ما نتوجه به إلى وزارة المعارف المهيمنة على الثقافة مخلصين .

البارون عمر رولف

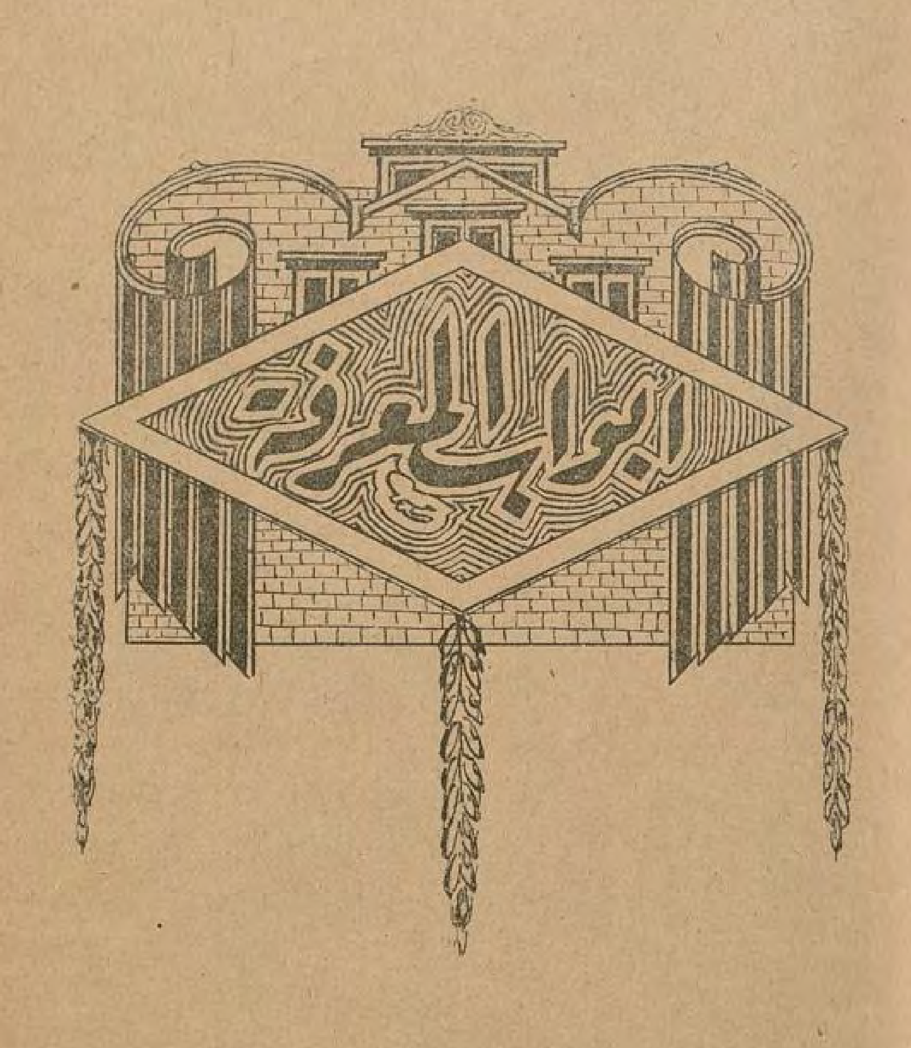
[بقية المنشور على الصفحة ٢٣٠]

وفى نفس السنه أيضاً زار مركز التهذيب الاسلامى فى يوغوسلافيا المتاخمة لبلاده ، وفى سنة ١٩٣١ أسس فى فينا جمعيـة للطلبة تعرف ب (Federation of the Oriental Culture) ؛ وفى سنة ١٩٣٢ ألقى محاضرة عن الإسلام فى مدينة براغ ، كان لها وقع عظيم فى النفوس ، وفى السابع من شهر سبتمبر من السنة نفسها أصيب بفقد والده ، الذى وإن كان لم يعتنق الاسلام ، فقد كان يحث ولده ويشجعه على نشاطه فى البحث فى الإسلام والعمل به .

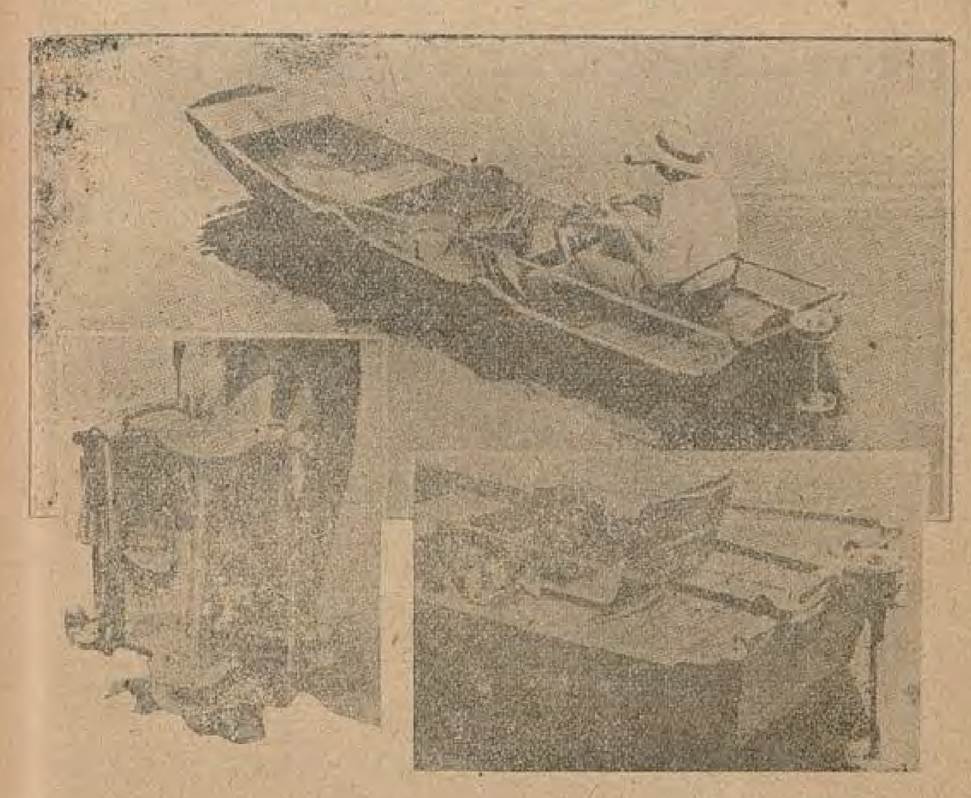
وفى الحادى عشر من الشهر المذكور والسنة نفسها ، أسس بمعونة الدكتور « زكى على » وتحت رعاية بعض رجال المفوضية المصرية فى فينا جمعية (الاتحاد التهذيبى الاسلامى فى أوستريا) (Federationcf The Islamic culturefor Austria) وانتخب هو رئيساً لها ، فكان من ذلك الخير كله للمركز التبشيرى الاسلامى فى برلين بمعاضدته له . وسيقيم البارون فى الهند بضعة أشهر ثم ينزح عنها إلى بلاده . وقد وعدنى بأن يزور مصر فى فرصة أخرى ؟

عليكرة [الهند]

إحسان سامى حقى


ابواب المعرفة

العلوم والفنون

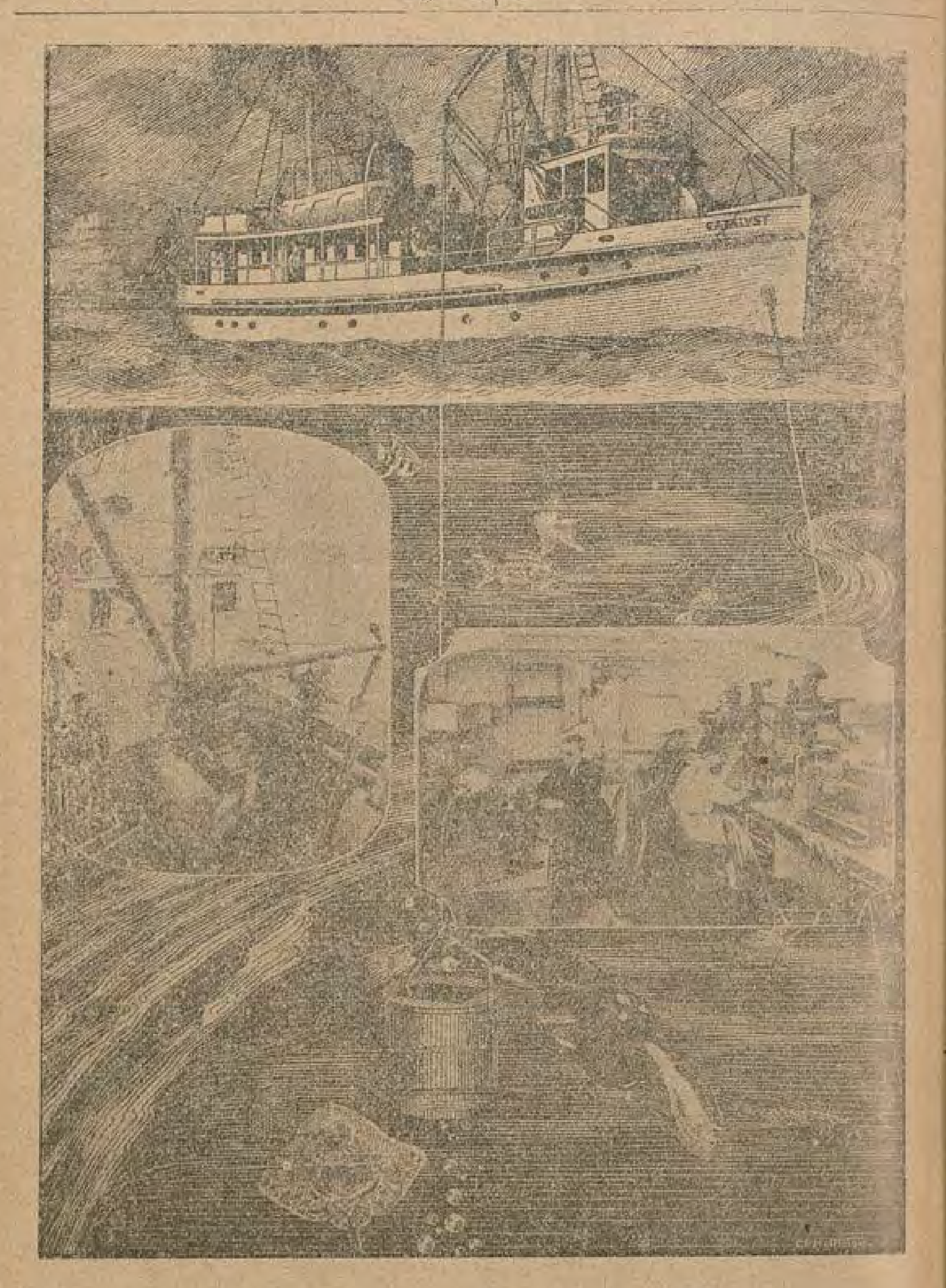


التجديف بالرجلين

فوق هذا الكلام يرى القارىء ثلاثة أوضاع لقارب صغير للنزهة اخترع حديثاً . فى الصورة العليا يرى مخترع القارب الذى يسير بمجاديف تحركها الرجلان ، وقد صار من السهل عليه أن يشعل غليونه باحدى يديه ، حين تكون الأخرى ممسكة بالصنارة !! والصورتان الأخريان لإظهار ميكانيكية الدفة والمجداف

غطاء من القطيفة يسهل الطيران

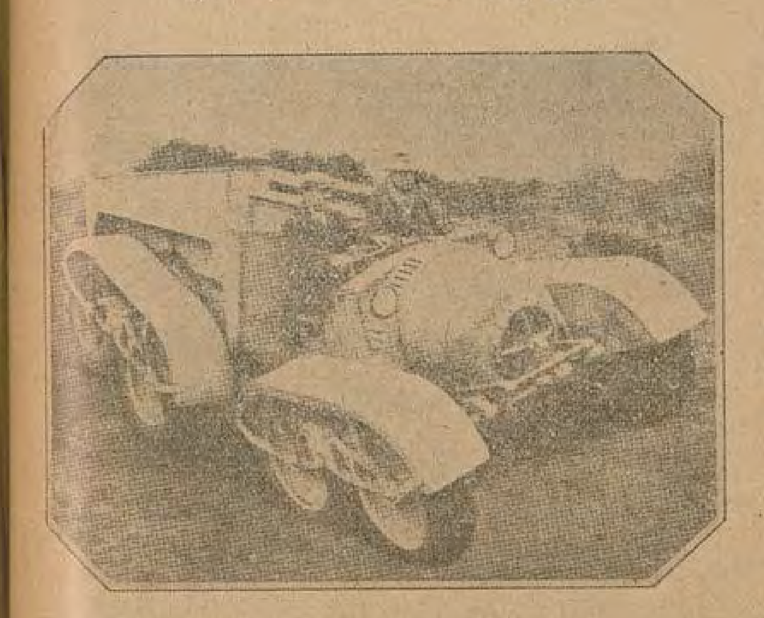
إلى يمين هذا الكلام يرى القارىء أنف طائرة وضعت عليه قطعة من القطيفة لتساعد فى نقل الحرارة من جدر [المولد الحرارى] فيسهل بذلك قيامها



معمل عائم لاكتشاف أعماق المحيطات

هذا رسم يبين « الـكتاليست » وهو معمل تجارب عائم تابع لجامعة واشنطون ، يسير به العلماء لقياس أعماق المحيطات ، للدراسة العلمية والعملية معاً . فالرسم الذي الى اليسار يبين الجهاز الميكانيكي الحديث الذي يستخدم في هذا الصدد ، والذي الى اليمين جزء من المعمل على ظهر السفينة حيث يجري العلماء دراستهم ، وفوق صورة السفينة المعمل .

نوع جديد من سيارات النقل الحربية



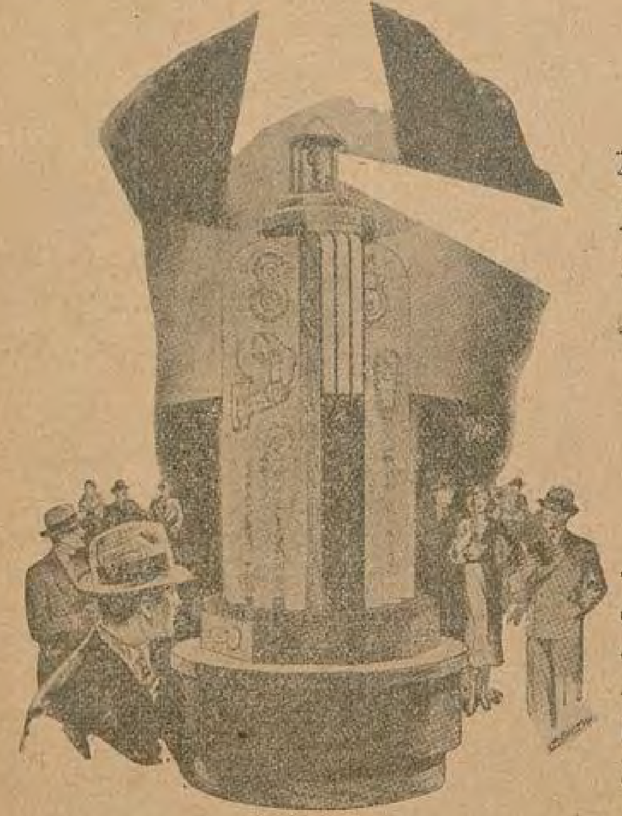
هذه صورة نوع جديد من سيارات النقل الحربية الإنجليزية له ثماني عجلات، تسير كل منها بمفردها أوتوماتيكياً حسب مستوى الأرض التي تقع عليها في سيرها، وقد نجحت تجربة هذه السيارة وستعمم في أعمال نقل الجيش البريطاني.





آنية من المطاط

هذه صورة أطباق وأكواب من المطاط تمتاز من الأطباق والأكواب الزجاجية والصينية بأنها غير قابلة للكسر، وتتحمل درجات الحرارة العالية. وقد شاع استعمال هذه الآنية في المطاعم الشعبية في أمريكا.



نافورة مركبة جداً

هذه صورة فنية لنافورة الحركة التى تكلم عنها بعض العلماء أخيراً. ويرى القارىء واضحاً ، أربعة وعشرين حركة ميكانيكية يظن العلماء استحالتها، ويظن الفنان غير ذلك

قناع غازى

فى أسفل هذا الكلام يرى القارىء صورة أحد المتسابقين بالسيارات من الانجليز جالساً فى مكان القيادة وهو يرتدى قناعاً غازياً يحميه من بخار « اول أكسيد الكربون » المحترق ، ولا شك ان هذا القناع سيقابل بالترحاب من هواة السباق لأنه ينقذهم من هذا الغاز كريه الرائحة .





فوق هذا الكلام (الى اليسار) ترى صورة فونوغراف يلقى التعليمات والتنبيهات على فريق من المعدنين وهم يستمعون اليه . وتحوى خطبه كثيراً من التحذيرات والالتفات يقدمها لهم في الصباح الباكر قبل بدء العمل . والمظنون أن شيوع استعمال هذه الطريقة ، سيقلل من أخطار التعدين داخل الارض .

قبعات توافق رأس أى إنسان

ورد إلى انجلترا هـذه الأيام نوع جديد من القبعات ، ليست له أقيسة مختلفة ، أو أشكال متباينة ، وإنما صنع بحيث يلائم الشكل المطلوب وحجم أى رأس من رءوس البشر ! وهو مصنوع من لباد عجيب إذا سخن يتشكل بشكل الرأس وعند ما يبرد يجمد محتفظاً بشكل رأس اللابس.

نوع جديد من الماء

اكتشف نوع جـديد من الماء يزيد فى الثقل على الماء العادى بمقدار عشرة فى المائة. وينتظر العلماء أن يقلب كشف هـذا الماء المكاييل والموازين والمقاييس رأساً على عقب. وقد وجد أنه أصلح من ماء البحر لغسل المـلابس ولو أنه أكثف بكثير من ماء البحر . وهو مثل ماء البحر مكون من ذرة من الأكسجين مع ذرتين من الأيدروجـين ، ولـكن الذرات الأيدروجينية ليست من صنف الذرات الأيدروجينية التى نعرفها. وخاصة فى الوزن فهى أثقل مرتين من الذرة العادية ، وقد أطلقوا عليها اسم « ذرات الأيدروجين الأيزوتوبية » .

رش الشوارع بماء الزجاج يريح السيارات

أجريت فى بعض الطرق الزراعية فى تشيكوسلوفاكيا عدة تجارب لاختبار فـكرة إمكان الاستفادة العلمية من ماء الزجاج الأسمنتى ، فأدت هذه التجارب إلى نتيجة مرضية ؛ إذ اتضح أن استخدام هذا المزيج يريح السيارات كثيراً ، لأنه يجعل الأرض ملساء كالحرير . وطريقة استعمال هذا المزيج سهلة للغاية ؛ فما علينا إلا أن نرش به الأرض وقت ما يكون (وابور الزلط) يجرى عمله فيها ، ثم نرشها به مرة أخرى عند ما تطلى بالقار .

الصابون العادى يزيل البوية بسهولة

يمكن أن تزال البويات بسهولة عن أى جزء من جسم الداهن باستخدام الصابون العادى . ذلك بأن يدلك الجزء الذى ينتظر أن تصل إليه البوية بصابون عادى لا يمتاز إلا بأنه فى حالة مرهمية ، ثم يشتغل الداهن كما يشاء ، ولتصل إليه البوية كما تشاء ؛ فما عليه فى نهاية الأمر إلا أن يغسل يديه بالماء فيزول الجزء المدهون بالطبقة التى عليه من الصابون حاملة معها كل ما تجمع عليه من البوية .

برشامة الاسبيرين تتحول إلى مداد سرى !!

من غريب ما اكتشف من المدهشات الـكيميائية التى كان يستخدمها الألمان لصالحهم فى الحرب ، ما كشف عنه أحد العلماء أخيراً بقوله : إن بعض الألمان من الأسرى أيام الحرب العظمى كان يرسل إلى بلاده خطابات يصرح بها قلم المراقبين الحربى ، لأنها لا تحوى أى خبر له علاقة بالحرب ، ولم يكن يبين عليها أى نوع من المداد السرى ، كما لم تحم حولهم أية شبهة نظراً لبعدهم عن المواد الـكيميائية التى يمكن أن يستخرج منها المداد السرى ؛ ولـكن اكتشف هذا العالم أن الاسبيرين وهى – برشامة ألمانية الأصل ولم تعم العالم إلا من عهد قريب – إذا أذيبت فى الماء ينتج عنها نوع من المداد السرى لا تكشفه إلا الأشعة البنفسجية ، فانظر كم يحذق الألمان الـكيمياء !

مملكة المرأة والبيت

المرأة في نظر الشرائع

هل تعلمين أيتها المرأة أن الأقوال الآتية قيلت عنك ؟

يقول الأوربيون « إن الله عند ما أراد أن يخلق حواء من آدم ، لم يخلقها من عظم رجله لئلا يطأها ، ولا من عظم رأسه لئلا تسود عليه ، ولكن خلقها من ضلع من أضلاعه لتكون مساوية له قريبة من قلبه » .

ويقول أحد شعراء الفرس الأقدمين : « إن الله عندما أراد أن يخلق المرأة جمع رقة النسيم ، وأريج البنفسج ، ونور الشمس ، وابتسامة الربيع ، وخلق منها المرأة »

وهل تعلمين أنه في سنة ١٥٦٧ ميلادية صدر قرار من البرلمان الاسكتلندي بأن المرأة لا يجوز أن تمنح أية سلطة على أي شيء من الأشياء ، مع أنه كان للمرأة عند قدماء المصريين مقام ممتاز ، فكانت تعقد العقود وتقوم بالأعمال التجارية ، وتنهمك في الأمور السياسية ؟

وأغرب من هذا أن البرلمان الانجليزي أصدر قراراً في زمن هنري الثامن ملك انجلترا يحذر على المرأة أن تقرأ كتاب العهد الجديد ، أي يحرم على النساء قراءة الإنجيل وكتب رسل المسيح !!

أين هذا من وضع الصحابة المصحف الأول الذي كتب في خلافة أبي بكر رضى الله عنه عند امرأة هي حفص أم المؤمنين ، ثم كان نسخ المصاحف التي وزعت على الأمصار في خلافة عثمان عن ذلك المصحف ؟ ولم تخل البلاد الإسلامية من نساء يحفظن القرآن حفظاً جيداً من عصر الصحابة إلى عصرنا هذا .

هذا غريب دون ريب ، فإن العرب كانوا يئدون البنات عند ولادتهن في الجاهلية ، وكانوا يسيئون معاملة النساء ، وقد شابههم في ذلك الألمان ، وربما فاقوهم ، فقد كانوا يقامرون بزوجاتهم في النرد . كما أنه حدث في القرن الحادي عشر أن المحاكم الكنسية سنت قانوناً ينص على أن للزوج أن ينقل زوجته إلى رجل آخر لمدة محددة وفق ما يشاء الرجل المنقولة إليه المرأة .

عجباً أن يتعسف بعض الرجال مع المرأة إلى هذا الحد ، مع أن الحقوق متبادلة ، أو يجب أن تكون متبادلة بين الرجل والمرأة ، وأن يكونا أليفين .

على أن المرأة لم تعدم من يناصرها ، ولن تعدم من يؤازرها من النوع النشيط ؛ فقد قال فولتير الفرنسي : « تقدر النساء على كل ما نقدر عليه ، وما بينهن وبيننا من الاختلاف إلا أنهن أكثر منا لطافة » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . « إنما النساء شقائق الرجال » .

وقال تعالى « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا »
وقال أيضاً : « هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها » .

***

فى مشروبات الصيف

شراب البرتقال :

الطريقة : ١ - يقشر البرتقال ويفصص . ويقسم الفص إلى نصفين ، ثم يعصر مقدار آخر من البرتقال وتؤخذ عصارته ثم يغلى قليلا ويرفع من على النار إلى أن يبرد .

٢ - توضع عليه قطع البرتقال المذكورة ويصب عليه قليل من ماء الزهر ، ثم يوضع على النار ثانياً حتى يغلى ثم يصفى جيداً ويوضع فى (قوارير) للحفظ إلى وقت الاستعمال .

والطريقة العادية المستعملة فى المنازل : هى أن يعصر البرتقال ويوضع عليه السكر ويترك على النار حتى يغلى ، ثم يبرد ويحفظ فى الزجاجات .

خشاف الكمثرى اليابسة :

١ - تغسل الكمثرى ، وتجفف وتقطع إلى قطع رقيقة ، ثم توضع هذه القطع فى إناء من الفخار غير القابل للرشح ويصب عليها الماء المغلى وتترك ليلة .

٢ - تنشل قطع الكمثرى من الماء ويضاف إليه السكر حتى يصير شراباً . وإذا أريد تناول الكمثرى فلتترك فى الماء وتقدم كخشاف .

فى عمل المبردات :

عمل اسفنج بالليمون . - : المقادير : ليمونتان ، وعدد خمس قطع جلاتين ، وبيضة ، ونصف لتر ماء بارد ، وملعقة سكر مكنة .

الطريقة :

١ - يغسل الليمون ويجفف ويدلك السكر بقشر الليمون (كما لو كان سيبشر)

٢ - يوضع الجلاتين فى الماء ويذوب على النار ثم يصفى .

٣ - يضاف السكر الناعم وسكر المكنة المدلوك بقشر الليمون إلى الجلاتين ، ثم يضاف

إليه بياض بيضة ، ويستمر فى خفق (رب) هذا المزيج حتى يصير سميكا .

٤ - يوضع فى القالب ويترك فى محل بارد حتى يجمد ويقلب فى الأطباق .

(ملاحظة) إذا أريد استعمال هذا المزيج سريعاً ، يمكن وضع القالب بما فيه فى إناء به ثلج أو فى ثلاجة .

فى عمل النشاء البارد

لقمصان الرجال الأفرنجية والياقات (الأزياق) وما يماثلها :

المقادير

ا - ملء ملعقة كبيرة من أجود أنواع النشاء الأبيض (نشاء الأرز)

ب - نصف رطل من الماء البارد (نحو كوبة ماء عادية)

حـ - نصف ملعقة صغيرة من البورق (البوركس)

ء - أربع نقط من زيت النفط (التربنتين) ليسهل سير المكواة .

طريقة العمل:

١ — يوضع زيت النفط فوق النشاء .

٢ — يغلى نحو ملعقتى شوربة من الماء ويذاب فيها البوركس .

٣ — يوضع البوركس المذاب فى إناء ويوضع عليه نحو كوبة من الماء البارد .

ويلاحظ رج الراسب حتى لايتلف نسيج الملابس ويسبب بقعاً تلمع بعد الكى .

٤ — يصب هذا المزيج تدريجاً على النشاء ويذاب فيه بعناية .

٥ — يصفى المزيج بخرقة نظيفة ، ويكون بعد ذلك صالحاً للاستعمال ويكفى لنحو ثلاث ياقات إفرنجية) أو أربع .

وإذا أريد تنشية أشياء أكثر فتضاعف المقادير المذكورة بالنسب المحددة هنا .

ملاحظة : لاتوضع الياقات أو أى شىء آخر فى هذا المزيج إلا إذا كان نظيفاً جداً وتام الجفاف وليس به أثر ما من بواقى النشاء السابق .

ثم تعصر وتلف فى قطعة من الشاش مدة نصف ساعة على الأقل قبل أن تكوى . أما إذا أريد كيها عقب إشباعها من النشاء ، فتعصر قليلاً ثم تكوى فى الحال . ويلاحظ أن تكون درجة حرارة المكواة مرتفعة .

بين المناظرين

. . . محرر « المعرفة » الغراء.

نشكر سيادتكم على ما قمتم به من الخدمات الجليلة للعلم والأدب ونشر الثقافة الإسلامية فى الأقطار العربية، وخاصة اهتمامكم بنشر الأخبار عن أحوال العرب فى المهجر النائى.

وبعد، فقد وقع بصرنا على مانشرته « المعرفة » فى عددها الحادى والعشرين، عن ملخص المنشور الذى أصدره السيد حسن بن جديد الحبشى تحت عنوان « المناصب ومكائد الرابطة »، فوجدنا فى تعليقكم فى « مكتبة المعرفة » على ماجاء فى المنشور عدة تحريفات نلفت نظركم إليها وهى:

جاء فى ملاحظة « المعرفة » وتعليقها على المنشور المقال الآتى:

« . . . ومنها يفهم أن حزب « الإرشاد » (؟) الذى أعلن فى برنامجه الرسمى أنه لم ينشأ لأغراض سياسية قد لعب به رؤساؤه، وأداروا دفته إلى الأعمال السياسية التى تنحصر فى معاكسة الهيئات الحاكمة، وذوى المناصب الرفيعة من الباعلويين، مع أن للباعلويين على زعماء هذا الحزب خيراً كثيراً ... اهـ »، ووجه التحريف ظاهر فى هذا التعليق، إذ أن كاتب المنشور هو السيد حسن بن جديد، أحد أفراد « المناصب »، المهضومى الحقوق، وهذا الخلاف واقع فيما بينهم « أى بين المناصب وغير المناصب » وكلهم من آل باعلوى ولا دخل للسادة الإرشاديين فى هذا الموضوع، وأن تلك الحركة - نعنى بها « محاولة إسقاط المناصب ومعاكسة الهيئات الحاكمة » - هى مايعمل لها بعض ذوى الأغراض من آل باعلوى، غير المناصب، أى من رجال الرابطة لا « الإرشاد »، وهو ظاهر من عنوان المنشور نفسه.

وأما الإرشاد فهى جمعية جامعة عامة، فيها كل مسلم يغار على الدين، وأغلب أعضائه من العرب الحضارمة والوطنيين الأندونيسيين، لاتتداخل فيما بين المناصب وغير المناصب من خلاف.

وغاية الأمر أن الإرشاد تكره مدعى احتكار الفضائل والولايات والقرب من الله بدون الوسائل المشروعة، ومبادؤها ظاهرة مسطرة فى قانونها، وما حادت عنها قيد شعرة.

فأهم أغراضها نشر التعليم الدينى العربى (وهذا أقامت له المدارس الكثيرة)، ومحاربة البدع وإقامة السنة؛ فنشرت لذلك المناشير والرسائل.

هذا مااحتواه المنشور من الموضوع. فنرجوكم نشر هذا فى مجلتكم الغراء، ولكم مناجزيل الشكر، ولا زلتم ذخراً للعروبة والسلام.

[سورابايا . جاوة] هادى الدباء

بريد المعرفة

نشر فى هذا الباب نبذاً من المقالات التى تصلنا صالحة للنشر
ولكننا نضطر إلى إغفالها نظراً لضيق المقام .

القصة فى الأدب العربى

مقال طريف للأديب محمد السيد يرد به على القائلين بانعدام القصة فى الأدب العربى ، قديمه وحديثه . ويستدل على وجودها — منذ وجدت العربية — بأسباب وجيهة يعرفها السواد الأعظم من العارفين بالأدب العربى .

ثم عرج على وظيفة القصة فى الآداب الحديثة فقال : أستطيع أن أدعى أن وظيفة القصة من الأدب إنما هى تصوير دقائق الحياة ورسم أصولها وفروعها ، رسماً منظوراً محلى بالألوان البديعة الزاهية مشوباً بالتهاويل الجذابة الرائعة . . . ثم من ذا الذى يرى تلك الصورة ولا يأخذه سحرها . . فيقبل عليها إقبالا ، إلا أن يكون سقيم الأذن ضعيف الوجدان ؟ .

الأدب أصل الثورات

يحدثنا التاريخ أن الانقلاب الروسى الأخير ، ما كان ليحدث لو لم تنبعث أفكار الثورة عن (تولستوى) و (ديستويفسكى) ، تلك الأفكار التى أظهرت للشعب الروسى مخازى الأرستقراطية ومساوئها ، وما كانت الثورة الفرنسية لتحدث لو لم يقم (فولتير) و (روسو) و (منتسكيو) يصيحون فى العامة صيحاتهم التى جمعت بين السخرية اللاذعة ، والنقد المر ، والمبادىء الاجتماعية المبتكرة ؛ وكل ثورة فى العالم يظهر لنا أنها لا تقوم إلا على أساس الأدب الجديد ، والمبادىء المبتكرة ، ونحن ندعى أننا فى عهد ثورة فكرية متأججة ؛ فهل تثبت لنا ذلك أشتات الكتابات الأدبية التى نقرأها الآن فى الصحف والكتب ؟ قد تكون هناك ثورة ؛ ولكنها ليست متأججة ، بل قد نجرؤ فنقول : مالها من أوار . وهكذا تخدعنا الثورة ضد الألفاظ القديمة ، فنعتقد أنها قد تناولت أيضاً الأفكار القديمة ؛ وخطل هذا واضح كل الوضوح .

[من مقال للأديب جمال الدين الشيال بكلية الآداب]

الاختلاط بين الجنسين

الاختلاط بين الجنسين هو السبيل إلى السعادة المنشودة ، لأنه يهذب النفس ، ويسمو بالروح إلى درجة الكمال ، ويساعد الإنسان على إجادة اختيار الرفيق ، ويشجعه على السير بجد ونشاط فى تحقيق شئونه الحيوية ، لإقرار السعادة فى منزله ؛ والحب عندى شيء مقدس ، يجب أن نغالى فى تحقيقه لضمان السعادة . ولكن قبل أن نرفع أصواتنا لنصرة الحب ، يجدر بنا أن نهذب الفتى والفتاة ، منذ الطفولة ، ليشبا على خلق متين ، وآداب رفيعة وأحاسيس سامية .

(من مقال للأديب محمد عبد القادر حسن بالإسكندرية)

محاكاة المصريين للأجانب

ليس التقليد غريباً بين الناس ، ولكن الغريب تقليد المصريين للأجانب المستمصرين ، فإننا مع الأسف لم نقلد الأجانب فى فضيلة من الفضائل ، وإنما قلدناهم بل أغرقنا فى تقليدهم فى كل ما يمت بصلة إلى الرذائل ؛ قلدناهم فى تعاطى المخدرات وشرب الخمور ، وحاكيناهم فى الميسر والفجور ، متناسين أن الشرق رب المدنية الروحانية ، والنواميس السماوية ، التى تمنع كل تلك الرذائل ؛ جرفنا تيار الفساد ، ولم نصمد فى طريقه ، لأننا ضعفاء مغلوبون على أمرنا .

وضعفنا فى هذه الناحية يرجع إلى اعتقاد منا بأن أخلاق القوى هى الفضيلة ، وهى التى يجب أن تسود ، ولو كانت رذيلة ؛ ولعمرى ما أعر المحاكاة العمياء ! وأغلب الظن عندى أن كثيراً من المصريين ، يعرفون هذا ، ولكنها معرفة لا تفيد ، لأنها نظرية فقط ، والجانب العملى منها معدوم . فمتى نصبح من رجال الأعمال ؟ !

(من مقال لأحمد حفنى ناصف)

الأدب فى مصر

ليست الطبقة المتوسطة وحدها — وهى التى تقتصر على القراءة فى هذه الأيام — بقادرة على إذاعة الأدب ونشره والارتقاء به إلى الدرجة التى ننشدها له . وليس للطبقة الفقيرة ميل فطرى نحو الأدب . كذلك الطبقة الغنية ألهتها ملاذ الحياة وملاهيها عن الأدب . وإذاً فلن يكون عندنا أدب راق إلا إذا كفلت وسائل الحياة للأديب . ومن أين يكفل له النشر وسائل الحياة إذا كان لا يجد القراء الكثيرين الذين يشجعونه هو بإقبالهم . فيعود بدوره لتشجيع الأديب ؟ فإذا أردنا أن يكون لنا أدب راق يستطيع أن يقف وقفة الند مع الآداب الحديثة الغربية ، فما علينا إلا أن نغرس فى نفوس الفقراء والأغنياء — على السواء — الميل للقراءة والشغف بالاطلاع .

(من مقال للأديب حسين المهدى الغنام)

جاوا ومناظرها

أرسل إلينا السيد صالح الحامد العلوى الشاعر الجاوى المطبوع ، قصيدة وصفية بديعة فى (جاوا ومناظرها) نقتطف منها مايلى :

كل حسن الدنيا لديك يهون فهى عين وأنت منها النون
فيك مرأى تحار فيه العيون عجب فوق ما تخال الظنون
يستفز الخواطر الشعرية
من رواب مخضلة وأراضى تستقى من ماء بها فياض
وحقول مبتلة وغياض ورياض محفوفة برياض
هى للنفس غاية الأمنية

الوداع

قطعة طريفة من الشعر المنثور يصور لنا فيها الأديب (ع . عمر) مأساته مع فتاته التى أحبها وأخلص لها الحب، بل خطبها وبدأ يصور لنفسه ما سوف تكون عليه حياته المستقبلة معها، ثم شاءت الظروف القاهرة أن تفر (عصفورته من يده) إلى صياد آخر، رمى لها بدل الحب (دراهم ودنانير) ؛ وفيها يصور لنا حقيقة حب الناس للمال وتفضيلهم إياه على غيره بقوله :

كنت مخدوعاً حين ظننت أن الأخلاق رأس مال يعتمد عليه.. . كنت واهماً حين ظننت أن الثقافة والعلم مما يأبه له الناس ... كنت جاهلاً حينما سخفت فكرة أن المال هو كل شىء. عندأهل هذا الجيل أن المال هو الأخلاق، هو العلم، هو الثقافة، هو الجاه، هو الحب، هو المجد ، هو كل شىء . المال محبوب الجميع ومعبودهم ، تنحنى أمامه أرفع الرءوس وتخفق له أطهر القلوب.

رثاء هر

نشرت الصحف عن هر أنه أنقذ أسرة بأسرها من الحريق ، إذ اقتحم الغرفة المشبوبة على أهلها وهم فى سباتهم، فما زال بهم حتى أيقظهم ، فلاذوا بالفرار . ثم تعذر عليه الخروج فذهب ضحية الوفاء ؛ فلام يقتصر الرثاء على بنى حواء؟

فكر الأديب (محمد غنيم) فى هذا ، وعز عليه أن تروح هباء حياة هذا الهر النبيل، فرثاه بقصيدة طريفة نقتطف منها ما يلى :

تضحية صامتة اللسـان نادرة فى ذلك الزمان
لأنت هر جليل الشان تندبه فصيلة الجرذان!
لو قوبل الإحسان بالإحسان أقيم تمثالك فى ميدان
وكنت رمز الوفاء والتفانى وأدرج جسمك فى أكفان

مكتبة المعرفة

الضاحك الباكى — مطبعة الهلال

تأليف الأستاذ فكرى أباظه

تقرأ عنوان كتاب فكرى أباظه « الضاحك الباكى » . فيخيل إليك أنك حين تبدأ تصفحه سيميتك من الضحك ، فإذا به يستمطرك دموعك ويملأ قلبك ألماً وهماً. قد يجوز هذا ، ولكنى أنصحك أن تقرأه بنفسك وتتغاضى عما أقول عنه فى هذه الأسطر القليلة الآتية ، فكتاب « فكرى » حقيقة يضع لكل قارئ صورة من عقليته وثقافته مطبوعة على ورق .

وأنت تستطيع الحكم من هذا ، على ما لشخصيته من قوة واتزان ، تجلت فى لباقة وفكاهة فى قدرته على التحليل المنطقى ، وصدق الملاحظات الدقيقة ، والدراية التامة بأحوال الوطن العزيز من عام ١٩١٧-١٩٣٢ ؛ فمن تحليل اجتماعى ، إلى أدبى ، إلى اقتصادى ، إلى سياسى . يتجول بك فى كل ناحية بلطف ورقة حتى يصل بك إلى صخرة الحقيقة ، فإذا ما أوقفك أمامها وجهاً لوجه ، هداك إلى أسلم السبل ، أو أشار بهذا أو بذاك ، ثم يتركك فى غير تقيد لتعمل فكرك وتتخير بعقلك الخاص بعد أن نصحك وحذرك .

وبقدر ما يظن أن هذا الكتاب للخاصة ، فإنه كتاب أفيد ما يكون للعامة ؛ ومما لا ريب فيه أن الطبعة الأولى من « الضاحك الباكى » قد نفدت ، وحصل الأستاذ المحامى كثيراً من قروش الثمن المتواضع ، فهل ينفد صبر « فكرى » ويخاطر مرة أخرى بدراهمه إذا طالبناه بأن يخرج لنا سفراً آخر ، يقول لنا فيه كيف وفق إلى معرفة هذا الأسلوب البديع ؟ اللهم لا تهده إلى التخلص من طلبنا بالاعتذار بأن ذلك موهبة خلقية حتى نعدى منه أسلوباً وخفة روح .

الشعلة — مطبعة التعاون

للدكتور أبى شادى

الدءوب جميل ، والثبات أجمل ؛ والشكوى لعليل ، والصبر أكمل ؛ ذلك ما يعرفه الشاعر النهر الدكتور أبو شادى ؛ وهو لا يعرفه فقط ، بل يأخذ به ويعتقده ؛ وهو لا يعتقد به فقط ، بل يريد أن يعتقده سائر شباب الجيل الحاضر ، وبخاصة الشعراء الحديثين ، على أنه سر النجاح وأصل الفوز ؛ ويا نعمت المحاولة ويا نعم المبدأ ! أما الاعتقاد فجميل ؛ وأجمل منه محاولة إذاعته .

ولكن الأجمل من هذا وذاك ،تلك « الشعلة » التى تعيننا كثيراً على فهم شاعرية الدكتور الدافقة وقابليته لقرض الشعر . استمع إليه وهو يقول فى الإهداء :

اثنان هذا الشعر تحفل روحه ... بهما : حنانك أنتِ ، ثم حنانى
رددته نغم الحياة فإن نأت ... بنواك عاد نشيده فرثانى
فإذا بسمت فكل شعرى خالد ... وإذا عبست فكل شعرى فان

لتعرف أنه يقرض الشعر لا لغنم سوى إرضاء « المفرد المؤنث ! »

ثم استمع إليه وهو يقول لنا فى المقدمة «إذا كنت أعنى بنشر هذا الشعر الذى هو من فلذات قلبى وعرائس خواطرى ؛ فليس للتكسب ولا للشهرة ، ولا لأى اعتبار آخر دنيوى ، ولا للذة معنوية مألوفة ؛ فإن الحافز الوحيد لى هو إحساسى أن هذه الكلمات تحمل أجزاء روحى،وتؤلف صحائف نفسى،وتنطوى على صورة من المثل الأعلى الذى أتعشقه ، أو على أقرب خيال له . لذلك أعرضها بروح صوفية على من تجاوبت بينى وبينهم أصداء نفوسنا، فاندمجت عواطفنا المشتركة فى وحدة صافية ، فهذه المتعة الصوفية — متعة التجاوب النفسانى والاندماج الروحى — هى التى تحفزنى إلى نشر هذا الشعر كيفما كانت قيمته الفنية ».

فن كل هذا تستطيع أن تعرف كيف ولماذا أخرج الدكتور هذا الديوان .

والكتاب محلى بتصدير وإلمامة فى فلسفة الشعر من قلم الشاعر المؤلف، وهو مطبوع فى حجم وشكل ونظام زميلتنا الغراء « أبولو » . فأهلا بديوان أبى شادى الجديد ، وأهلا بالمثابرة ؛ فإنها حقاً طريق النجاح .

أنفاس محترقة : للشاعر محمود أبو الوفا

يا له من عنوان يضطر القارىء إلى الإمعان ! إن فيه لأصدق بيان عن أبى الوفا، ولكن من أى الجهات ؟ إن للشاعر وجهة معينة ، أو هو متأثر بمبدأ خاص يغلب على سجيته الشعرية . وماذا يضيره فى نظر نفسه ، إذا كان مطبوعاً على الصراحة، والسماحة، والإطلاق؟ وهل عرفنا إنساناً هذا شأنه ولم يكن غريباً فى محيطه الذى يعيش فيه ؟ أبو الوفا يقول فى رثاء نفسه :

كأننى فكرة فى غير بيئتها ... بدت فلم تلق فيها أى إقبال
أو أننى جئت هذا الكون عن غلط ... فضاق بى رحبه المأهول والخالى

أبو الوفا مرهف الحس ، ولذلك ترى شدة تأثره بآلام الحياة يخرجه أحياناً عن نفسه الهادئة الراضية بما قسم الله لها ، فتلحظ فى بعض أشعاره حنقه الشديد حتى على أعز الناس لديه ، فهو يقول :

أبى وفى النار مثوى كل والدة ووالد أنجبا للبؤس أمثالى

واسمعه يفرض عقاباً ثم يحتاط لفرضه فيقول :

ما كان ضرك لومن غير صاحبة قضيت عمرك، شأن الزاهد السالى

كمن قال :

« إذا كان الربيع ولم أمتع برؤيته فلا كان الربيع »

وتكملة الشطر الأخير « شأن الزاهد السالى » احتياط تام من الشاعر ويقظة مستملح

ولكن مع هذا ، هل راعى أبو الوفا فلسفة الحياة ؟ ! يخيل إلى أنه انحاز فى هذا التعبير إلى جا

الغزالى فى فلسفة الصوفية التى لا تتفق وحالنا الراهنة .

والشاعر فى غير هذا الموضع يناشد أملاً فى الحياة ، لا يمكن أن يشذ عن طبيعتها ، ف

اجتماعى وجدانى ، يقول :

لو كنت قد قدرت فى أولاى آخرة المآب

أو كنت أعلم أننى أدعو الحسان فلا أجاب

لملأت باللذات أو طابى جميعاً والعياب

ثم اسمعه يقول فى « وقفة الوداع » :

ترفق أيها النائى اختياراً لقد خليتنى أحيا اضطراراً

أى أحيا اضطراراً على أمل ؛ فهو يغالط حتى نفسه ، ويحيا على أمل يتصوره لنفسه

أن الذى نأى عنه نأى باختياره .

والقارىء لقصيدة « وقفة الوداع » يحس قوة تأثر نفس الشاعر فى ألوان متعددة ، فيدر

الإنسان عنه لماذا هو مرهف الحس ، دقيق الشعور ، شديد الانفعال ، شأن ابن الطبيعة السمح

مع أنه يعتقد بنحس طالعه فى الحياة ، وتلحظ هذا فى « لن أسىء » :

لن أسىء الظن فيك أبداً فإذا شئت عطاءً فامنعى

إنما اللوم على النحس الذى كلما أذهب ألقاه معى

إلى أن قال : ولو أنى تلمس التبر يدى حول التبر تراباً أصبعى

وكما يذهب الشاعر إلى أقصى حد فى التسامح وعزة النفس ، يذهب كذلك إلى أقصى ح

فى المبالغة فى التعبير ، ولو كان مجازاً خرافياً . كما فى « لن أسىء » هذه وتجده ، مبدعاً إلى ح

بعيد جداً فى قوة الإقناع بالشىء العملى من ناحية أخرى ، و « ذكرى » تدل على ذلك ، فهو يقول

الحب يصقله العتاب هيهات تسمعنى رباب

زعمت بأنى أشيب يالى من التهم الكذاب

أفلا يكون البدر بدراً إن تغشاه السحاب؟

أولا يسمى الصبح صبحاً يوم يلطمه الضباب؟

ما أقدر أبا الوفا على ملك عبقريته وتحكيم عقله مراراً فى وجدانه ، ولكن ترى هل هو شذ عن هذه القاعدة فى «عبث»؟إذا كان قد فعل ذلك فلماذا ؟! الحق أنه «عبث» من غوامض الشاعر ، إذ كيف يكون عبثاً؟وكيف يكون فيه أمل؟وكيف تقرر فيه حقائق ؟ هذه بلا ريب ناحية جديدة يجب أن نفكر فيها، وأن نناقش الشاعر رأيه صراحة .

وبينما نراه كذلك تجده فيلسوفاً من الطبقة الممتازة حيث يقول :

حرر طباع الناس من أدرانها وهناك لست ترى من استبداد

هذا قول جامع نريد الشاعر أن يكثر منه،وأن يضرب لنا الأمثال العملية شعراً لعصرنا الزاهر بالاختراعات والمنتجات العقلية المتنوعة والمدهشة ، وأن يتحرر ولو قليلاً من ذاتيته، حتى تشع روحه الحرة على القوميات ، والفكاهات ، وأن يكثر من الاجتماعيات والقصص ، لأن موهبة شعرية كالتى اختص بها أبو الوفا ، حرام أن تقصر على جانب واحد ،أو أن يحتفظ بها فى ثنايا الأوراق،إن لم يستطع حبسها فى صدره الوثاب استحياءً منه وتواضعاً .

ولسنا ندعى أنابهذه العجالة قدوفينا الشاعر بعضاً من بعض مايستحق من التقدير، وإنما قصدنا أن نتناول ناحيةمن نواحى شعره غير التى تناولها حضرات من كتبوا عن « أنفاس محترقة » لأنها - والحق يقال - تشتمل على جوانب كثير من الخيال الرائع والوصف البديع ، مما يدل على سمو نفس صاحبها ، وقد نعود فى فرصة أخرى إلى مناقشته بعض آرائه .

جان دارك — فى سبيل الوطن

بقلم الأستاذ غانم بك محمد

الأستاذ الفاضل غانم بك محمد، رجل تقلب فى وظائف التعليم، وعركته الحياة وعركها ، ولما كان معلماً قبل كل شىء ، فإن من صفات المعلم المصلح أن ينتهز كل فرصة تسنح للإصلاح. والإصلاح أساسه التضحية ،فلا غرابة إذن فى أن يحب غانم جان.فقديما قيل« شبيه الشىء منجذب إليه »،والذى يستيقظ مبكراً إلى فهم سر الوجود،والعمل على تسهيل مهمة الحياةعلى الغير، هو الانسان الذى يستحق الحياة ، وهو الفرد الذى عرف سر الطبيعة فأسرع إلى تحقيق مراميها ، وفوق هذا فإن الشىء يكون مستملحاً إذا أتى مفاجأة فى أوانه ، والأستاذ غانم بك أخرج هذا الكتاب القيم عن حياة جان دارك بمناسبة ذكراها هذا العام ، فهو كما ترى نهاز للفرص النبيلة كيما يكون إصلاحه فعالا منتجاً .

ولقد توخى فى تبويب الكتاب ذكر الحالات الواقعية التى نشأت عنها أعاظم الأمور

بأسلوب جزل ولغة سهلة عذبة، ويهمنا أن نذكر هنا بعض ما كتب عن جان دارك فى خاتمة الكتاب من أقوال بعض أعلام المؤرخين :

قال سنت بيف (١٨٠٤ — ١٨٦٩م) : « إنك من أى النواحى نظرت إلى جان دارك، ومهما بذلت فى كبح تحمسك لها ، ألفيتها شخصية مؤثرة لاتجد فى التاريخ كله من هو أكثر استحقاقاً منها للرثاء والعطف والإعجاب، ولعل السر فى أمر جان ، راجع إلى ما فى تاريخها من حوادث أغرب وأروع من الحوادث التى يخترعها الخيال الخصيب ؛ فحين يقرأ المرء حوادث حياتها ويتعرف ظروفها، تأخذه الروعة ، وتساوره الحيرة ، لأنه بينما هو موقن أن الوقائع صحيحة لاريب فيها، يجدها وقعت على صورة لم يألفها إلا فى الخيال ، والخيال فى حدوده الواسعة الرائعة »

وقال هنرى مرتين : « إنه لم يظهر فى تاريخ العالم كله شخصية تماثل شخصيتها » وقال ليون دنس: « إن قصتها كبقية قصص الأنبياء والرسل ستظل منقوشة على صخرة التاريخ الخالد » .

أمثال المتنبي وحياته بين الألم والأمل

طبع فى مطبعة حجازى

تأليف الأستاذ أحمد سعيد البغدادى

سفر قيم يضم بين دفتيه أمثال أبى الطيب المتنبى، جمعها المؤلف الفاضل فى رسالة واحدة شغفاً بها ، وخدمة لطلاب الأدب، لأنها أسمى مانطق به شاعر من الحكم الجليلة .

تأمل المؤلف المتنبى من خلال شعره فوجده شاعراً كبيراً لازمه حظ نكد ، وبائساً فقيراً يحمل آمالاً يضيق بها الفضاء ، وجده رجلاً قضى حياته فى حرب بين همته وحظه ، فكلما حاول بهمته بلوغ قمة المجد دفعه حظه عنها إلى أبعد حد ، ثم لايزال عنها يصد ، وإليها يرتد ، حتى أرغمته الأيام بعد ذلك على الرضاء بالخيبة ، رأى شاعراً مجيداً يمدح فيطنب ، ثم لايجد من مادحيه إلا الجفاء، فيخرج عنهم غير عائد إليهم ؛ ومن هنا وجد المؤلف نفسه فى حاجة إلى معرفة المتنبى من ناحيتى آلامه وآماله ، لتكون مقدمة لمجموعة أمثاله التى هى ترجمان نفسه وخلاصة تجاريبه ، فأدى به الأمر إلى دراسة متعبة قليلة المصادر والمراجع كما يقول .

ولكى يكون هذا السفر الصغير كبير الفائدة ، ألحق به المؤلف قطعاً مختارة من شعر المتنبى تساعد القارىء كثيراً على تفهم نفسية هذا الشاعر الأوحد، فوفق فى ذلك كله توفيقاً نحمده عليه، ولهذا لانملك أنفسنا من الإعجاب بجهود صديقنا الفاضل الأستاذ البغدادى .

والكتاب يقع فى مائة وعشرين صحيفة من القطع الكبير وهو جيد الطبع والورق .

ذكرى حافظ ـ شرح القصيدة العمرية

للأستاذ مصطفى الدمياطى بك

رساله فى تسعين صحيفة من القطع الكبير، وضعها مصطفى الدمياطى بك بدافع الصداقة التى كانت بينه وبين حافظ رحمه الله ، يشرح فيها المؤلف القصيدة العمرية الكبرى التى كان المرحوم «حافظ» قد نظمها فى سنة ١٩١٨، مدفوعاً بعاطفته الدينية القوية ، وإعجابه الذى لاحد له بأمير المؤمنين العادل عمر بن الخطاب . والقصيدة تقع فى ١٨٧ بيتاً من الشعر الراقى السلس الفصيح، فى لغة صحيحة، ودقة معنى ، وصوغ مطبوع، وقصص حسن، مما جعلها فى المنزلة الأولى من الشعر الخالد . وقد شرحها المؤلف الفاضل شرحاً وافياً يساعد النشء فى فهمها على الوجه الصحيح، وأهداها إلى روح حافظ ، وحلاها بالقصيدة ذاتها مشكولة واضحة الحروف لتسهل مراجعتها .

ولاشك أن مثل هذه الرسالة تستحق إقبال القراء .

الهلال فى أربعين سنة

أهدتنا إدارة زميلتنا الغراء « الهلال» كتابها « الهلال فى أربعين سنة » ، وهو يقع فى ١٦٤ صحيفة من الحجم الكبير، وهو جيد الطبع والورق ، ويحتوى على :

(١) تاريخ مجلة الهلال ومؤسسيها وما قيل فيهما ، (٢) تطور العالم فى الأربعين سنة الماضية ونظرات إلى المستقبل ، (٣) مختارات من مجلدات الهلال فى أربعين سنة .

ولا شك أن هذه الهدية النفيسة تعتبر حلقه اتصال وربط بين الماضى والحاضر، وسجلا قيما لتاريخ العالم فى الأربعين سنة الماضية ، ونحن من جانبنا نثنى على هذا المجهود الطيب .

٢١ صناعة

كتاب يقع فى نحو ٣٥٠ صحيفة من الحجم المتوسط على ورق عادى، ويحتوى على عشرين صناعة وصناعة ؛ شرحها مؤلفه الأستاذ حسنى يوسف شرحاً وافياً وبأسلوب مقبول . ويقول المؤلف عن هذه الصناعات إنها سهلة تدر ربحاً ، ولا تتطلب مالاً كثيراً . ويقينه أن لو قرأه الشباب العاطل لخرج منه بنتيجة مشكورة يستطيع بها أن يحارب البطالة .

والكتاب يطلب من المؤلف بعنوانه بالمبيضة رقم ٨ بالجمالية وثمنه ١٥ قرشاً وفى الخارج ٢٠ قرشاً .

تقويم الهلال ١٩٣٣

مجلد ثمين يقع فى ١٤٤ صفحة من الحجم الكبير، مطبوع على ورق مصقول ، ومزدان بالصور

والمناظر الجميلة ، وبه أبحاث علمية وأدبية طلية ، تقف منها على أحدث الاختراعات والاكتشافات ويطلعك على الآراء الصائبة فى مختلف العلوم والفنون. وهو ثالث تقويم يصدر عن إدارة الهلال الغراء

تاريخ العالم القديم

كتاب من الحجم المتوسط يقع فى نحو ٢٣٠ صحيفة ، مطبوع على ورق عادى ، وينقسم إلى ثلاثة أقسام : الأول بسط فيه مؤلفه الفاضل الأستاذ عبد الفتاح السرنجاوى تاريخ مصر القديم وعلاقتها بدول الشرق القديم ، والثانى يشمل تاريخ الإغريق وقيام دولة البطالسة ، والثالث يحوى تاريخ الرومان من تأسيس روما إلى سقوط الدولة الغربية ؛ وفى آخر كل قسم عدد من الأسئلة والرسوم الأثرية والتخطيطية التى تساعد الطلبة على فهم ما فيه .

شرح التكميل لخاتمة التسهيل

رسالة فى ثمانين صحيفة من القطع الكبير للأستاذ العالم الجليل السيد عبد الله بن محمد بن حامد السقاف العلوى مفتى حضرموت ، على منظومة العلامة الجليل الشيخ محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغفار باكثير الحضرمى ، وهى رسالة فى فن الخط ، تفيد القراء كثيراً ، وخاصة طلاب العلوم العربية .

رحلة إلى الثغرين: الشحر والمكلا

كتيب جميل فى سبعين صحيفة من القطع الكبير يحوى مشاهدات ومناظر واجتماع وسياسة وتاريخ وفكاهة ، لصاحبه الكاتب الاجتماعى السيد محمد بن هاشم بن عبد الرحمن بن عبد الله ابن حسين بن طاهر العلوى أحد زعماء النهضة الحضرمية الحديثة ، وهو يحوى المحاضرة القيمة التى ألقيت بنادى الشبيبة المتحدة بتريم (عدن) .

قائمة مكتبة الهلال

أهدتنا مكتبة الهلال بالفجالة بمصر ، قائمة كتبها الأدبية لعام ١٩٣٣-١٩٣٤ م ، فوجدناها كعادتها تحوى أنفس الكتب من علمية وأدبية وتاريخية ودينية وروائية ومدرسية . وهى ترسل بالمجان لمن يطلبها ، ولها أيضاً قائمة كتب مدرسية ترسل بالمجان لطالبها كذلك .

فى العدد القادم

عصر اسماعيل — وحى الأربعين — علم النفس النظرى والتعليمى — الضحايا — الخط الكوفى — حافظ وشوقى (هدية الجهاد) — صلاح الدين وشوقى . . . وغيرها مما لم تتم قراءته بعد .

بين المعرفة وقرائها

الأشعة فوق البنفسجية

(مهمشة . مصر) محمود محمد عيد — ماهى الأشعة فوق البنفسجية ؟ وما هو الحمام الشمسى ؟ وما كيفيته ؟ وهل يكون فى العراء ؟

(المعرفة) قلنا فى ص ٢٩ من العدد الماضى : إن الشمس تمدنا بأنواع عديدة من الأشعة تختلف عن بعضها البعض فى الطبيعة والأثر، فهناك :(١) الأشعة النهارية،وهى التى نسميها عادة «ضوء النهار» ، وهذه مكونة من ضوء تراه العين بسهولة ، (٢) الأشعة الحرارية وهذه يمكن أن نراها أيضاً، ولكنها لاتؤثر فى أجسامنا إلا من حيث الإحساس بالحرارة والرطوبة ، (٣) الأشعة البنفسجية ، وهذه لاتستخدم فى غير المسائل الطبية (٤) أشعة رونتجن، (٥) وهناك الأشعة فوق البنفسجية . وهذه كلها موجودة مستقلة إحداها عن الأخرى فى الضوء الذى يصلنا مباشرة من الشمس، ولكن العين المجردة لاتستطيع أن تراها . ومن هنا تعرف أن الأشعة فوق البنفسجية هى جزء من ضوء الشمس بحالته الراهنة وتحصل عليها منه مباشرة بما يسمى الحمام الشمسى .

أما الحمام الشمسى فهو تعريض الجسم لأشعة الشمس مدة معينة فى منطقة خلوية . ولكن ليس المقصود بالتعرية تعرية الجسم كله ، فقد قلنا فى ص ٣٢ : إن فاعل الحمام الشمسى عليه أن لايعرض لأشعة الشمس إلا رأسه ووجهه وأعلى صدره فقط . فكأننا قلنا لك ارتد ثياب البحر واجلس فى الشمس من ١٠ دقائق إلى ١٥ دقيقة ، بحيث يكون وجهك فى عين الشمس، وبحيث لا يكون الحمام بعد العاشرة صباحاً ولا بعد الثالثة مساء ، فإذا اجتمعت السحب فى الجو فحجبت الشمس عنك . فما عليك إلا أن تقف أمام جهاز الأشعة الصناعية فوق البنفسجية على نحو مافصلناه فى المقال.

ثمن آلة سينما وإيجار الفلم

(حدائق القبة . مصر) محمد شمت — ماهو ثمن آلة سينما وإيجار الفلم العادى فى أسبوع؟ وكم يتكلف مشروع السينما بالتقريب ؟

(المعرفة) سؤالك غير واضح ، فماذا تريد أن تعرف ؟ هل تريد آلة سينما فوتوغرافية (كاميرا) ، أم آلة عرضية لعرض الأشرطه ؟ كذلك لم نفهم ماذا تعنى بمشروع السينما، هل تقصد إنشاء دار عارضة أم (استديو) أم توكيل أفلام ؟ نرجو أن توضح ذلك كله فى رسالة أخرى .

هل يسع القلب حب اثنين

(القاهرة . مصر) آنسة س . ص - يقال إن القلب لا يسع إلا حب واحد . وقال تعالى « ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه » ، فكيف يتزوج الرجل أكثر من واحدة؟ وهل من يتزوج أكثر من واحدة يقصر حبه على واحدة فقط ؟

(المعرفة) أثبت علم النفس الحديث أن انتباه الإنسان لا يمكن حصره إلا فى شىء واحد ، فاذا قيل لنا اعتراضاً على هذا مثلا : إن زيداً من الناس يمكن أن يمشى ويقرأ فى وقت واحد ، رددنا عليه بأن ذلك الانتباه يتذبذب بين القراءة والمشى .

وكذلك الحال فى الزواج ، فلا يمكن الزوج فى الواقع أن يحصر انتباهه فى زوجتين معاً ، بل إنه نظراً لاتحاد الهدف دائماً ينقسم الانتباه بينهما بنسبة ما فى كل منهما من مميزات مما يحب الزوج ، ومن هنا يقسم قلبه بينهما بنسبة تقسيم الانتباه . وهذا ما يردون به على أنه « ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوف واحد »

وليس يشترط فى الزواج دائماً أن يقوم على الحب ، إذ الزواج هو واجب اجتماعى ودينى ، قد يكثر أن يؤديه الإنسان أداء ميكانيكياً دون نظر إلى العاطفة .

هذا إلى أن ذلك الذى يتزوج واحدة ، ثم نراه لا يكتفى بها ويبنى بغيرها ، لا يمكن إلا أن يكون فعل ذلك نتيجة كراهيته شيئاً ما ، أو جملة أشياء فى زوجه الأولى ، وأراد أن لا تكون هذه الأشياء سبباً فى العيشة النكداء الدائمة ، فبحث عن واحدة أخرى ليس بها هذه الأشياء ، ومن هنا نرى أنه لابد له أن يعطى الجزء الأكبر من قلبه - أو قلبه كله - إلى الجديدة ، وهو بإزاء القديمة ، ليس مكلفاً شرعاً ، إلا بالعدل بينها وبين الجديدة فى كل ما يتعلق بالحياة المنزلية ، من مأكل ومشرب وكسوة وعلاقة شرعية ، وهذا هو المعقول ، إلى جانب كونه الواجب الدينى .

ورد أن النبى - صلى الله عليه وسلم - كان يقسم بين نسائه ويعدل ثم يقول : « اللهم هذا قسمى فيما أملك ، فلا تؤاخذنى بما تملك ولا أملك[١] » ، أى محبة القلب ، وفى الحديث - فى ضرورة القسمة الحقة فى غير شئون القلب - « من كانت له امرأتان فمال إلى إحداها جاء يوم القيامة وأحد شقيه ساقط »[٢] .

---

(١) أى يتوقته بالتسوية بين النساء لا مجامعته ، لأنها مبنية على النشاط ، كذا فى شرح الوقاية
(٢) شرح شرعة الاسلام لسيد على زاده ص ٤٦٩

فهرس

الجزء الثانى من السنة الثالثة

أبواب المجلة

شكر

نتقدم بجزيل الشكر إلى حضرات الأساتذة الزملاء الأفاضل الذين تقبلوا العدد الأول من السنة الثالثة قبولا حسناً، وأطروه إطراء شد من عزمنا وآزر عضدنا، وقد كان بودنا أن نسجل على صفحات «المعرفة» ما تفضلوا بقوله فيها. ولكن ضيق المقام يمنعنا هذه المفخرة، فنعتذر لحضراتهم شاكرين .

هدية السنة الثانية

في التربية والتعليم

تأليف

الأستاذ الكبير أحمد فهمي العمروسي بك

هي دائرة معارف عامة في التربية والتعليم لكبير المربين الأستاذ الفاضل أحمد فهمي العمروسي بك . تناولت أغلب مباحث التربية وموضوعاتها التي ثار البحث حولها في الماضي والحاضر ، بأسلوب سهل، وعبارة مفهومة، وشرح كامل ؛ وتقع في (٣٢٠) صحيفة من القطع الكبير ، والكتاب واضح الحروف، جيد الطبع . متين الورق ومحلى بـ (٣٢) صورة على ورق مصقول . ثمنه (٤٠ قرشا) يضاف إليها (٥ قرش) أجرة البريد ، ويطلب من إدارة «المعرفة» هو مجلدة ينبغي ألا تخلو منها مكتبة أي مدرس أو أديب .

لفت نظر

كتب إلينا بعض قرائنا ومشتركينا الأفاضل يطلبون عددي مارس وإبريل سنة ١٩٣٣، وقد غاب عن أذهان حضراتهم، أننا أعلنا في ص ١١٦٠ من عدد فبراير سنة ١٩٣٣ــ وهو آخر أعداد السنة الثانية ــ أننا استعضنا عنهما بكتاب « في التربية والتعليم » للأستاذ أحمد فهمي العمروسي بك ، وما نظنه إلا هدية قيمة ، هي لهم خير عوض عن هذين العددين .